الطبعة الثانية

نور الحياة

سلسلة دراسات فى كلمة الله

الكتاب الأول

فى السلوك المسيحى

التدين المضاد

... ومقالات أخرى

دكتور جميل نجيب سليمان

اســـم الكتـــاب : نور الحياة
الكتـــاب الأول : فى السلوك المسيحى
المـــــــــؤلف : الدكتور جميل نجيب سليمان
gamilnsoliman@yahoo.com
الطبعـــــــــة : الأولي ٢٠٠٧ / الثانية ٢٠١٠
الناشـــــــــر: بيت مدارس الأحد القبطي
ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤
المطبعـــــــــة : مدارس الأحد، ٧٠ شارع روض الفرج
رقم الإيـــداع : ١٣٢٢٣ / ٢٠٠٧
الترقـــيم الـــــدولي : ISBN 977 - 5334 - 23 - 3

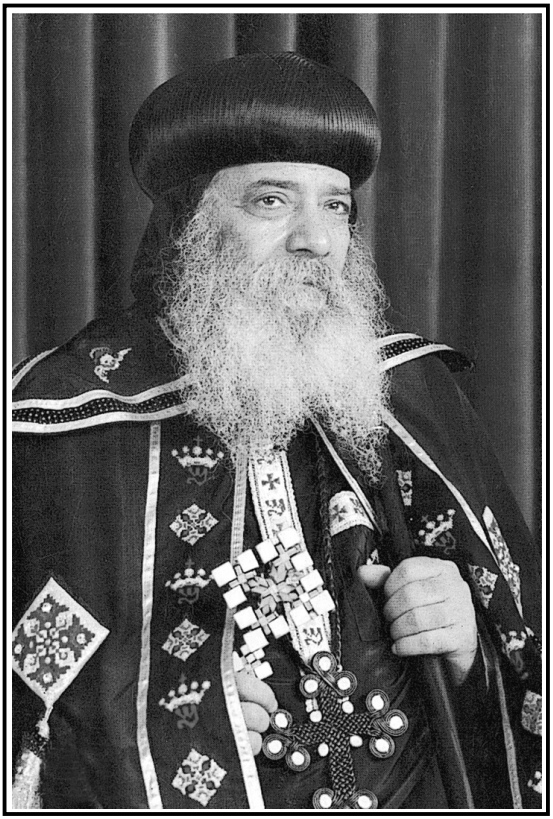

صاحب القداسة والغبطة

البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ (١١٧)

المحتويـــات

١ – **عندما يضيع الطريق** ٩

+ التدين المضاد ١٠

٢ – **مخاوف البداية وأخطارها** ٣١

+ قبلات العدو ٣٢

+ حملان وسط ذئاب ٤٠

٣ – **هو الطريق** ٤٥

+ اتبعني ٤٦

+ بذل الذات ٥٥

٤ – **التزامات الإيمان** ٦٣

+ حياة التدقيق ٦٤

+ النمو ضرورة إيمانية ٧٩

+ قضية الغفران بين عمل الله وعمل الإنسان ٨٨

+ الموضع الأخير ٩٧

+ كيف نطلب وكيف يستجيب؟ ١٠٤

+ هل تختلف آلام المؤمنين ؟ ١١٠

+ مواقف لاختبار الإيمان ١٢٠

٥ – ثمار الحياة المسيحية ١٢٧
+ افرحوا ١٢٨
+ جدية الحياة المسيحية ١٣٩
+ الإيجابية سمة مسيحية ١٥٠
٦ – محاذير فى الطريق الروحى ١٦٥
+ ساعة الضعف ١٦٦

كلمة الى القارئ

المقالات التى يضمها هذا الكتاب نشرت علي مدي السنوات الأخيرة في بعض دورياتنا القبطية الشهرية في الداخل والخارج.

ولأن القارئ لا يحتفظ عادة بأعداد المجلة بعد الانتهاء منها، وحتي لو احتفظ بها فربما لا يعود إلي عدد منها مرة أخري؛ من هنا تأتي أهمية جمع المقالات ذات التوجه الواحد في كتاب بالنسبة للكاتب والقارئ معا.

فمن ناحية يتكامل الخط الفكري للكاتب كما تتكامل الموضوعات بالتقائها معا في ساحة واحدة، ومن ناحية يتوفر للقارئ الجاد بصورة عامة، خاصة إذا كان خادماً، مرجع يمكن العودة إليه كلما شاء.

* * *

وقد اخترنا لهذه السلسلة من دراسات الكتاب المقدس عنوان **"نور الحياة"** لأنها تتعلق أساسا **بالمسيح** النور الحقيقي (يو١:٩)، نور الحياة ونور العالم (يو٨:١٢ ، ٩:٥ ، ١٢:١٠) وأيضاً **كلامه** الذي هو روح وحياة (يو٦:٦٣) ونور للطريق (مز١١٩:١٠٥) المؤدي إلي الحياة الأبدية (يو٦:٦٨).

والكتاب الأول من هذه السلسلة – وهو الذى بين يديك – موضوعه **"السلوك المسيحي"** (الذي لن يكفيه كتاب واحد). وقد جمعنا مقالاته فى عدة فصول تؤلف معاً بناءً روحياً متكاملاً يبدأ بالتحرر من **ألوان التدين الزائف** ومعها **مخاوف البداية الجديدة** التى يثيرها إبليس الكذاب عدو كل خير لتعويق خلاصنا كى نسد آذاننا عنها ونتبع الرب، الذى **هو الطريق الحقيقى** ومَن ينبغى أن نبذل ذواتنا لأجله كى نحفظها إلى حياة أبدية، وبعدها تأتى **التزامات الإيمان، فثمار الحياة الجديدة**، وفى الختام نسوق التحذير من **ساعة الضعف** بعد أن استنرنا وذقنا الموهبة السماوية.

وستضم سلسلة "**نور الحياة**" بالتتابع كتبا تتناول **شخص الرب، والمسيح في حياة الكنيسة والخدمة، وقضايا إيمانية**، وغيرها.

* * *

لقد كانت وسيلة تعليمنا، نحن المؤمنون، علي مدي الدهور هي الكلمة المكتوبة يلهمها الروح لمن يكتبونها من الأنبياء والرسل في العهدين ومن بعدهم معلمي الكنيسة. وهكذا تعلمنا من خلال الخدمة أن الكلمة مسموعة ومقروءة هي مجال لعمل الله في الخادم والمخدوم.

وفيما يتكلم المعلم والواعظ ويكتب الكاتب فكل منهم متوسل إلي الروح القدس لكي يوجه الكلمة إلي من يحتاجها كما يهيئ العقول والقلوب لكي تستقبل كلمة الله بما تستحقه من الاحتفاء والاحتواء والادخار في الأعماق والاستخدام عندما يحين الحين.

والله أسأل أن يستخدم هذا الجهد المتواضع لمجد اسمه، بصلوات أبينا صاحب القداسة البابا أنبا شنوده الثالث معلم الكنيسة.

* * *

ما سبق كانت كلمتنا إليك في **الطبعة الأولى** (٢٠٠٧) من هذا الكتاب، التي نفدت منذ بعض الوقت. وهذه هي **الطبعة الثانية** مدقّقة ومنقّحة ومضاف إليها مقالات جديدة.

وأملنا أن تمتد الفائدة إلى قطاعات جديدة من القراء، تجدد علاقتها بكلمة الله التي هي **نور الحياة**، وتستعيد لياقتها الروحية ويستقيم سلوكها الروحي، ليظل توجّهها دوماً ناحية مخلصها والتوطّن في المجد الأبدي.

عندما يضيع الطريق

+ التدين المضاد

التديُّن المضاد

يبدو من غير المستحسن أن نستخدم كلمة **"الدِّين"** (أو **الديانة**) عند الحديث عن الحياة المسيحية. فهذه الكلمة لم تَرِد في الكتاب (في نسخته العربية) إلاَّ في موضعين. ففي رسالته إلى أهل غلاطية يكتب القديس بولس: **"فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في (الديانة) اليهودية** Judaism**، أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأُتلفها. وكنت أتقدَّم في (الديانة) اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي، إذ كنتُ أوفر غيرة في تقليدات آبائي"** (غل ١:١٣و١٤)، وهو يشير هنا إلى انتمائه الأول وتمسُّكه بالناموس. ومعلِّمنا يعقوب الرسول يكتب في رسالته: **"الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم، وحِفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم"** (يع ١:٢٧)، وهو هنا يقصد الممارسة الدينية الصحيحة أو المثالية.

فالمسيحية ليست دِيناً من الأديان جاء بعد "الديانة اليهودية"، فهذا المفهوم ليس له جذور في الكتاب. فما يذكره " العهد القديم" هو علاقة الله بشعب رعاه بالشريعة والآباء لحفظ الإيمان إلى أن يأتي المسيَّا بـ "العهد الجديد"؛ أي

الخلاص، وإرسال الروح القدس، وتأسيس الكنيسة، والحياة الجديدة، حتى المجيء الثاني للرب.

وحتى كلمة "**المسيحية**" لا يذكرها الكتاب. وعندما دُعِيَ التلاميذ **مسيحيين** لأول مرة في أنطاكية (أع ١١:٢٦)، كان ذلك لنسبتهم إلى شخص المسيح كمؤمنين به. وبالتالي تنتسب كلمة "المسيحية" إلى المسيح، **وتُعبِّر عن رسالة الخلاص والعهد الجديد ونوال الحياة الأبدية**.

ونحن نستعمل كلمة "**التديُّن المسيحي**" هنا تجاوزاً، ونقصد الحياة المسيحية أي **الحياة في المسيح**، وتمييزها عن أنماط عديدة زائفة تحوم حولها أو تقترب من أحد جوانبها أو تتصل بها بشكلٍ ما دون أن تعبِّر عن جوهرها النقي الأصيل، **أي أن ترتبط بالمخلِّص ارتباطاً شخصياً**. فكل الديانات مستقلة عن مؤسسيها (أي يمكن اتِّباعها وممارسة التزاماتها دون حاجة إلى مؤسسيها)؛ أما **الحياة المسيحية فهي لا تُختبر إلاَّ بالمسيح**. والتديُّن المسيحي رغم أنه يحتوي على عبادات وممارسات تتشابه في الظاهر مع ما في الأديان، ولكنه يختلف في جوهره. إنه تعبيرٌ عن إيمان بشخص المسيح "**رئيس الإيمان ومُكمِّله**" (عب ١٢:٢)، الذي "**بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه**" (عب ١١:٦). **وإذا خلا تديُّننا أو أي من جوانبه من المسيح، فَقَدَ معناه وصار ضرباً من النشاط الجسدي الذي يهدف إلى إتمام الفرائض وإرضاء الذات أو الناس، ولا يختلف إذن عن أي عبادة حتى الوثنية منها**.

وقد ساق المسيح مَثَل الفريسي والعشار (لو ١٨:٩-١٤) لكي يكشف أنماطاً من التديُّن خادعة في ظاهرها، ولكنها أعمال ميتة غير مقبولة، ونشاط ذاتي خالٍ من الإيمان والحب تدفع إليه العادة، أو الحاجة (للخروج من تجربة أو ضِيقة)، أو المنفعة (كطلب الصحة أو النجاح)، أو غيرها من الظروف الطارئة

والضغوط المختلفة؛ وكلها ـ سواء وعت النفس أم لم تَعِ ـ ليست مُقدَّمة لله الذي تدَّعي أنها تؤمن به، وإنما لإله مجهول، أو ـ في الحقيقة ـ للذات الشاعرة ببرها.

ولخطورة الأمر على الحياة الروحية وإمكان تزييفها، سنحاول هنا أن نعرض لبعض ألوان التديُّن المضاد (أو المناوئ للإيمان) رغم اتصاله بالدِّين بشكلٍ ما، وكيف نكتشفه ونتخلص منه لتنقية حياتنا الإيمانية من الشوائب أو تعديل مسارها، بحيث تقصد في كل نشاط لها وجه المسيح.

(١) التديُّن الشكلي

ويمكن أن يُطلق عليه أيضاً التديُّن السطحي أو الظاهري (المظهري) أو الحَرفي، وهذا أكثر الأنواع شيوعاً في أوساط المتدينين. وهو يُحوِّل الحياة الروحية إلى مجموعة من الممارسات يصير إتمامها هدفاً في حدِّ ذاته، وهي تُؤدَّى كنشاط جسدي بحت، ربما استغرق وقتاً وجهداً، ولكن الروح غابت: فالصلاة وقراءة الكتاب بالشفاه وبأداءٍ آلي مستقل عن الذهن فضلاً عن الروح، أي بدون وعي أو فهم: **"هذا الشعب... يُكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً"** (مت١٥:٨، مر ٧:٦)؛ وفي الصوم ينشغل المتديِّن الشكلي بنوع الطعام دون أن يشغله نسكه وصدق توبته وضبط حواسه وحرارة صلواته؛ والاعتراف يتم بدون ندامة أو توبة؛ والتقدُّم للتناول كما لقومٍ عادة ومهما كانت درجة استعداده ودون تغيير للحياة.

وتتميم هذه الفرائض يُحقِّق رِضا المتدين الشكلي عن ذاته، وربما نظر إلى الآخرين منتقداً: **"... أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة"** (لو ١٨:١١).

وفي أيام المسيح كان الكتبة والفرِّيسيون هم عماد هذا اللون من التديُّن.

فرغم أنهم المشتغلون بالدين ونصوصه، ومنهم تؤخذ الشريعة والفتوى، لكن تدريجياً صار الدين حرفتهم لا حياتهم، وحدث الانفصال بين ما يقولونه وما يفعلونه (مت ٢٣:٣)؛ فهُم "**يحزمون أحمالاً ثقيلة عَسِرة الحَمْل ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يُحرِّكوها بإصبعهم**" (مت ٢٣:٤)، وهم **حرفيون** مهتمون بالصغائر ومتحلِّلون من جوهر الناموس: "**تُعشِّرون النعنع والشبث والكمون، وتركتم أثقل الناموس: الحق والرحمة والإيمان**" (مت٢٣:٢٣)، وهم **مظهريون**: "**وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس... ويحبون المتَّكأ الأول... ولِعلَّة تطيلون صلواتكم**" (مت ٢٣:٥و٦و١٤)؛ وبانفصال الظاهر عن الباطن وانزلاق الحياة الباطنية إلى الفساد، صاروا نموذجاً **للرياء**، فقال عنهم الرب: "**تُشبهون قبوراً مُبيَّضة تظهر من خارج جميلة، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم أيضاً: من خارج تظهرون للناس أبراراً، ولكنكم من داخل مشحونون رياءً وإثماً**" (مت ٢٣:٢٧و٢٨).

ولأن **الرياء** كان آفة الحياة الروحية زمان المسيح، وصارت العبادة مُقدَّمة **لإرضاء الناس**، فقد حذَّر الرب منه في توجيهاته عن العبادة: "**احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدَّام الناس... ومتى صلَّيت فلا تكن كالمرائين... ادخل إلى مخدعك وأغلق بابك**... فمتى صُمت فادهن رأسك واغسل وجهك، **لكي لا تظهر للناس صائماً، بل لأبيك الذي في الخفاء**" (مت ٦:١و٥و٦ و١٧و١٨).

وهكذا صارت "**الفريسية**" عنواناً لهذه الأنماط الشكلية من التديُّن والمتدينين الذين يقول عنهم الرب: "ليس كل مَنْ يقول لي: يا رب يا رب، يدخل ملكوت السموات؛ **بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات**. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: يا رب يا رب، أليس باسمك تنبَّأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أُصرِّح لهم: **إني لم أعرفكم قط!** اذهبوا عني يا فاعلي الإثم! (مت ٧:٢١-٢٣).

ويقول الكتاب عن السالكين بالحرف: "... **أن الحرف يقتل ولكن الروح يُحيي**" (٢كو ٣:٦)، وأن الأداء الآلي للعبادة بهدف إتمامها بأية صورة هو جهد باطل. **فالله لا يهمه كمّ الممارسات، وإنما بأي روح تتمّ**. وصلاة العشار القصيرة الممتلئة بالندم وطلب الرحمة قَبِلها الله عن صلاة الفرِّيسي التي يُغلِّفها البر الذاتي والإحساس بالرضا لمجرد أداء الفروض.

وعادة ينشأ التدين الشكلي في وسط يحفل بالدين ويستنكر الانحراف (ولو ظاهرياً). فعندما يبلغ الإنسان سنّ الشباب لا يستطيع أن يُجاهر بالخطية إرضاءً للعائلة أو لتفادي اللوم أو تغيُّر النظرة إليه؛ ولكن يظل ميله إليها كامناً أو مكبوتاً في قلبه، وأقوى من أن يدعه يسلِّم حياته إلى الله بالتوبة والجهاد من أجل حياة القداسة، ويصير اللجوء إلى التدين الظاهري الحل لهذه الإشكالية.

وقد يبدأ المؤمن بداية صحيحة، اختبر فيها حلاوة العشرة مع الله، ومارَس التوبة زمناً؛ ثم جُرِّب بشهوة الجسد أو محبة المال أو تعظُّم المعيشة، أو الافتخار تحت وطأة الهموم، أو الانزلاق إلى معاشرات رديئة أفسدت حياته. ولأنه لا يستطيع الانسلاخ من سلوكه الديني الذي عرفه عنه الناس والكنيسة، فإنه يواصل ممارساته بصورة شكلية محتفظاً بمظهره في المجتمع الكنسي، محترساً ألاَّ يصدر عنه ما يشي بخيانته. ولكن حتى إن خفيت الخيانة عن الناس فإن "**كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا**" (عب ٤:١٣).

ربما كان التدين الشكلي أخطر من الانحراف الكامل وأكثر منه شيوعاً. فالبُعد الصريح عن الله يحمل في طياته الحاجة إلى الله، وقد يأتي الوقت وتحدث المواجهة وتتم التوبة (المرأة الخاطئة كمثال – لو ٧:٣٦–٥٠). أما التدين الشكلي – إذ يتخلّص من تبعية المسيح ونفقتها العالية – فإنه يمنح لصاحبه إحساساً خادعاً بالبر وتخديراً للضمير، وتتحوَّل العبادة المظهرية إلى وسيلة لتجنُّب اللقاء الشخصي بالمسيح. ومن هنا فإنه يرى أن دعوات التوبة ليست

موجَّهة إليه، وإنما إلى "الخطاة"، وهو ليس واحداً منهم. وقد أدان المسيحُ الفرِّيسي وبيَّن أن كل جهاده باطل، بينما توبة أكبر الخطاة وشعوره بحاجته إلى الله وطلب الرحمة كفيلة بأن تحنن قلب الله "الذي يُبرِّر الفاجر" (رو ٤:٥) كي يغفر له خطيته ويُطهِّره من كل إثم.

وقد يسمح الله لمثل هؤلاء الأبرار في أعين أنفسهم بتجربة كبرى تكشف لهم عن خواء حياتهم من الإيمان وتقودهم إلى تغيير نهجهم وتوبتهم واتضاعهم ودخولهم إلى العمق لتذوُّق الطعم الحقيقي لحياة القداسة، حيث يُستخدم سيف الروح وسائر أسلحة الحرب المقدسة (أف ٦:١٣-١٨).

وبالنسبة للمؤمنين الذين انحرفوا إلى الرياء تحت ضغط الجسد، فستظل نفوسهم مرهقة قلقة بفعل تبكيت الروح القدس، حتى تنهض من كبوتها وتفر من الشهوة، وبالتوبة تعود كي ترتاح في الله الذي كانت قد تغرَّبت عنه.

(٢) التديُّن الطائفي

في هذا التدين ينفصل الشعب عن الكنيسة ليُشكِّل طائفة أي تكتُّلاً اجتماعياً، ويترتب عليه أن يصير الانتماء المسيحي أمراً اجتماعياً لا إيمانياً، ويستخدم "الدين" لخدمة مصالح الطائفة لا لخدمة الكنيسة. وفي التدين الطائفي يختلط الديني بالقومي، وهدف الحياة الأبدية بالمطالب الأرضية والحقوق الاجتماعية؛ ويُنظر إلى الأسقف والكاهن لا كممثل للمسيح وراعٍ للكنيسة، وإنما كممثل للطائفة يحمي مصالحها الزمنية. وهكذا يتوارى الإيمان ويختنق، وينتعش النفاق والتظاهر، وتصير العبادة فروضاً شكلية تؤدَّى بلا روح.

وأشهر الأمثلة في هذا المجال الحروب المسمّاه بالصليبية التي امتدت ما يقرب من قرنين وتستَّرت بالصليب لتغطية الأطماع والمصالح. كما أن الصهيونية تُسخِّر آيات الكتاب لتحقيق أهدافها للاحتلال، وتستخدم في سبيل ذلك كل الأسلحة المضادة للقانون الإلهي. وفي أيرلندا الشمالية ظلت الحرب مشتعلة بين

الكاثوليك والبروتستانت طويلاً، ولم يستطع اشتراكهم في المسيح الواحد والوطن الواحد أن يمنع سيل الدم. والحرب الطائفية في لبنان التي استمرت ١٥ عاماً نموذج آخر لاستغلال الدين ظاهرياً في الدفاع عن الإيمان والمقدسات، وفعلياً للذود عن المصالح والأنصبة.

التدين الطائفي ضار جداً وهو في حقيقته عدو لله والإيمان والكنيسة، وتغذيه الأنانية والبغضة والتعصُّب الذي هو إنكار صريح لوصية محبة القريب. وهو يقسِّي القلب ويبرر حتى القتل، فهو الذي جعل اليهود لا يحتملون كلمات استفانوس، بل: "حنقوا بقلوبهم وصرُّوا بأسنانهم عليه... وأخرجوه خارج المدينة ورجموه" (أع ٧:٥٤و٥٨)، وهو الذي جعل "شاول راضياً بقتله" (أع٨:١). ومن ناحية أخرى، فالطائفية والتطرُّف والتعصُّب تؤجِّج عوامل الانقسام بإثارة تعصُّب الآخرين على مستوى سائر الطوائف وعلى مستوى الوطن.

إن علاج الطائفية هو في العودة إلى الإيمان الحقيقي الذي يجعل من الله وكلمته المُعلنة في شخص يسوع المسيح محور الحياة الوحيد، وتصير العبادة لله وحده لا للأهواء والمصالح التي مآلها إلى التراب، والعودة إلى الانفتاح بالحب على كل البشر بديلاً عن استئصالهم لتبقى الطائفية وحدها، وأن يحل الاتضاع محل الإحساس بالتفوُّق والتعالي وامتلاك الحق المطلق.

(٣) تديُّن الغيرة الجسدية أو التديُّن الطائش

الغيرة يمكن أن تكون فضيلة، فالرب غار على اسمه (حز ٣٩:٢٥)، وعلى بيته: "**غيرة بيتك أكلتني**" (مز ٦٩:٩، يو ٢:١٧)، وبولس الرسول يقول: "**حسنة هي الغيرة في الحُسنى**" (غل ٤:١٨).

ولكن الغيرة الجسدية (أي التي بحسب الجسد) (غل ٥:٢٠، يع ٣:١٤) تُحرِّكها الأهواء والذات، وهي كالطائفية يدفعها التعصُّب وضيق الأفق إلى اللجوء إلى العنف والقوة (حتى المسلحة) للدفاع عن الدين. وأيام المسيح دخل الرب قرية للسامريين فلم يقبلوه، فطلب ابنا زبدي من الرب أن تنزل نار من السماء لتفني القرية، فانتهرهما السيد قائلاً: "... لستما تعلمان من أي روح أنتما! **لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليُهلِك أنفس الناس، بل ليُخلِّص**" (لو٩:٥١-٥٦). وفي أوائل الخمسينات من القرن الماضي لجأ بعض الشباب المتحمس إلى اختطاف البطريرك بالقوة من مقره لعدم رضاهم عن أدائه، وهدَّدوا سلام الكنيسة.

والغيرة الجسدية تُجسِّم خطايا الآخرين وتتغافل عن الخطايا الشخصية، فالذين أمسكوا بالحجارة ليرجموا الزانية كانوا كلهم خطاة: "مبتدئين من الشيوخ" (يو ٨:٩)، والرب هو الذي كشف زيف غيرتهم.

الغيرة الجسدية والاندفاع والعنف لا تجتمع مع الحياة المسيحية. فالرب لم يحمل سلاحاً، بل "ولا كيساً ولا مزوداً". وعندما ضرب بطرس بالسيف عبد رئيس الكهنة دفاعاً عن السيد، انتهره قائلاً: "**رُدَّ سيفك إلى مكانه. لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون!**" (مت ٢٦:٥٢).

المسيحيون المدَّعون وحدهم هم الذين يلجأون إلى العنف والانتقام، وربما إلى القتل، مدفوعين بغيرة طائشة حمقاء ينسبونها كذباً إلى الدين. **أما المؤمنون الحقيقيون فهم مستعدون أن يضعوا حياتهم من أجل الآخر، لا أن يرفعوا عليه السلاح. وهم قد يحتجُّون أو يعترضون، ولكن دون أن يتجاوزوا وصية المحبة بأي حال: "اغضبوا ولا تخطئوا"** (أف ٤:٢٦).

(٤) التدين الاجتماعي

أي يصير الدين عند البعض **الرباط الذي يضم الجماعة**، لا لحساب الله والحياة الأبدية، وإنما لحساب الحياة الحاضرة **وإشباع الحاجة الاجتماعية إلى الآخر**. فتصبح الكنيسة مكاناً للِّقاء، لا مع الله، وإنما مع الناس؛ أي تتحوَّل إلى ما يشبه النادي الاجتماعي. ويُستفاد هنا برحلات الكنيسة وحفلاتها ومبارياتها الرياضية كوسيلة للتسلية والتعارُف.

وهذا اللون من التدين أوضح ما يكون في كنائسنا في المهجر، حيث تضطر الغربة الكثيرين (حتى ممَّن لم يختبروا الإيمان) إلى اللجوء إلى الكنيسة للقاء أقرانهم في "الوطن" و"الدين". وتصير العبادة "نشاطاً جانبياً". والبعض قد يكتفي من الكنيسة بساعتها الاجتماعية التي تعقب القداس.

أن تصير الكنيسة صدراً حانياً للغرباء ومجالاً للقاء الأحباء، فهذا مقبول؛ أما أن يصير هذا هو دورها فقط، فهذا اختزالٌ مُهين لوظيفتها. فالكنيسة هي بيت الله وميناء الخلاص وحصن التوبة وساحة عُرس الخروف، حيث مائدة الرب التي تجتمع فيها السماء مع الأرض. **وعلى رعاة الكنيسة أن يخدموا هؤلاء "الاجتماعيين" الواقفين بالباب، لكي يتقدموا لاختبار حياة أعظم كثيراً من مجرد التسلية ولقاء الأصدقاء: "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب"** (مز ٣٤:٨)، **حيث يسعون للقاء المخلِّص المنتظِر عودتهم، وربما تعلَّموا أن يجلسوا عند قدميه لسماع كلمة الحياة كما كانت تفعل مريم التي اختارت النصيب الصالح** (لو ١٠:٤٢).

(٥) التديُّن الأخلاقي

متدينو هذا النمط عندهم الدين منظومة من الأخلاقيات. لقد استغنوا عن المسيح وصليبه، واستبدلوا بهما الجدية والأمانة والنظام والصدق والذوق واللياقة والاجتهاد في العمل وإتقانه، والرحمة بالحيوان والمحتاجين، يُضاف إلى

ذلك رِضىً عظيم عن النفس واعتداد بالذات وتعالٍ على "الخطاة".

في الغرب تحوَّلت الحياة المسيحية إلى القيم المذكورة في الحياة اليومية (أي: الجدية والأمانة والنظام والصدق... إلخ) ـ مع بقاء جوانب الحياة الجسدية ـ لتكون هي السائدة؛ أما الحق والإيمان والعبادة ومعرفة كلمة الله، فقد تراجعت من الحياة العامة لتنحصر داخل جدران الكنائس.

إن مشكلة الأخلاقيين أن لهم صورة التقوى، ولكنهم غارقون في ذاتيتهم بما يحرمهم من التبعية الحقيقية لشخص المسيح ومحبته، وإفراز الأخلاقيات المسيحية كثمار طبيعية لحياة حسب الروح (غل ٥:٢٢و٢٣). ومعلِّمنا بولس يؤكِّد: **"إن أطعمت كل أموالي، وإن سلَّمت جسدي حتى أَحْتَرِق، ولكن ليس لي محبة، فلا أنتفع شيئاً"** (١كو ١٣:٣).

الحياة المسيحية أكبر وأشمل وأعظم من مجموعة أخلاق قد ترضي صاحبها، ولكن لن تؤدِّي به إلى الحياة الأبدية. الحياة المسيحية دعوة للخلاص من الخطية واقتناء الحياة الجديدة التي يثمرها الروح القدس في المؤمنين.

إن التسامي بالحياة المسيحية لتصير الحياة المستحيلة غير العملية، أو اختزالها في منظومة أخلاقية على مستوى الحياة الحاضرة فقط، هو تطرُّف لا يؤدِّي إلاَّ إلى حرمان الإنسان من التمتُّع بالخلاص، وحرمان العالم من "نور العالم" (يو ٨:١٢).

(٦) التديُّن العقلي

وهو النهج الذي يحكم فيه الإنسان المتدين الموهوب فكرياً على الأمور الإيمانية بالعقل وحده مستخدماً طرق التحليل والنقد والتفكير العملي البحت. الدين عنده هو إشباع العقل وإخضاع الإيمانيات للمنهج العقلي، فيقبل ما يراه معقولاً ويرفض ما يجاوز المنطق أو حدود الحواس (مثل المعجزات). ويتميَّز

المتدينون العقليون أنهم متّزنون جامدون، يرفضون مغامرة الإيمان، وبالتالي فهم يقاومون التأثُّر بنداء التوبة، ولا يرون ضرورة لحَمْل الصليب أو قبول الاضطهاد بأي حال.

من المؤكَّد أن هذا النهج لن يوصِّل إلى الله. فالإيمان ليس ضد العقل وإنما هو فوقه. والعقل نعمة إلهية ولكن له حدوده: "**فإني أقول بالنعمة المعطاة لي، لكل مَنْ هو بينكم: أن لا يرتئي فوق ما ينبغي أن يرتئي، بل يرتئي إلى التعقُّل، كما قَسَمَ الله لكل واحد مقداراً من الإيمان**" (رو ١٢: ٣). والكتاب لا يمتدح البسطاء لبساطتهم والجهال لجهلهم، وإنما لقبولهم السهل لشخص المسيح دون انتقاد. ولكن الدراسة والبحث مطلوبان "**فتشوا الكتب**" (يو ٥: ٣٩)، على أن يقترنا بروح الصلاة وطلب إرشاد الروح القدس: "**لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله**" (١كو ٢: ١٠)، والإنسان الطبيعي لا يقدر أن يعرف ما لروح الله "**لأنه إنما يُحكم فيه روحياً**" (١كو ٢: ١٤).

ونحن مدينون للقديسين العلماء الذين أثْروا حياتنا بكتاباتهم وتفسيراتهم لكلمة الله، وهي نتاج العقل المتوشِّح بالروح القدس، وفي مقدمتهم القديس بولس وآباء القرون الأولى: إيرينيئوس، وكليمندس، وأوريجانوس، وأثناسيوس، وكيرلس، وباسيليوس، وإغريغوريوس، وذهبي الفم، وأغسطينوس، وغيرهم. وهم الذين تصدُّوا للمبتدعين واستخدموا كل قدراتهم الروحية والجدلية لحماية الإيمان.

ولكن البعض يفتش في كلمة الله لا لمعرفة الحق أو استنارة الذهن أو للاتحاد بالله؛ وإنما ليُقارن ويُقابل ويُحلل، وربما للردّ على من يختلفون معه في المذهب أو الدين. إن عقله مشغول بالدين والكلمة؛ أما القلب والمشاعر فهي مستقلة ومحجوبة بالإرادة عن عمل الروح القدس. هؤلاء ينطبق عليهم قول معلمنا القديس بولس في بداية فصله الشهير عن المحبة: "**إن كانت لي نبوَّة، وأعلم جميع**

الأسرار وكل علم... ولكن ليس لي محبة، فلستُ شيئاً" (١كو ١٣:٢).

وجزء من الحياة الفرِّيسية كان دراسةً وعلماً، ولكنهم لم يلمسوا وصية بإحدى أصابعهم. فهُم هنا للفتوى والتشريع والتعليم، وأيضاً لإنزال العقاب بالمخالفين للشريعة، دون أن يكونوا تلاميذ مخلصين للشريعة، لهذا حقَّت عليهم الويلات (مت ٢٣، لو ١١).

وفي العالم الغربي انفصل علم اللاهوت عن الحياة الروحية، وصار من الممكن أن يكون أستاذ الكتاب المقدس عالماً كبيراً في تخصُّصه في النواحي التفسيرية ولغات الكتاب الأصلية واللاهوت المقارن وغيرها، دون أن يحفظ الوصايا التي يحللها علمياً.

هذا نوع من الاهتمام بالدين من زاوية واحدة، وهو اهتمام مطلوب، ولكن يأتينا صوت الله منبِّهاً: **"كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك"** (مت ٢٣:٢٣، لو ١١:٤٢). و**"تلك"** هنا هي الحياة في المسيح..

(٧) التديُّن العاطفي

هذا أيضاً لون من التديُّن الجزئي، وأصحابه طيبون ذوو عواطف رقيقة، ويسهل التأثير عليهم. فهم يحبون الجو الديني وحضور الكنيسة وسماع كلمة الله. وهم متجاوبون وكثيراً ما يُعجبون بالعظات، ولكن سرعان ما يفقدون تأثيرها. والقصص والمشاهد التي تلمس عواطفهم قد تستدر دموعهم، ولكن ما أسهل أن تسقط من ذاكرتهم. ومعجزات القديسين تستولي على ألبابهم، ولكن هذا الإعجاب والتأثر لا يدوم، وهكذا عواطف دون نمو، وتأثُّر لا يمتد إلى خطوات إيجابية نحو تسليم الحياة، وسماع لكلمات الكتاب دون أن تُحفظ في القلب وتُختبر. وها هو الشاب الغني يأتي مندفعاً بعاطفته يسأل الرب: ماذا

يفعل ليرث الحياة الأبدية؟ فلما طلب منه المسيح أن يبيع كل أملاكه ويعطيها للفقراء، لم يحتمل وتراجع ومضى (انظر مت ١٩:١٦-٢٣).

فالعواطف تشهد على القلب المستعد، والدموع هي سلاح القديسين. **ولكن بدون خضوع الإرادة وتسليم الحياة تصير مثل هذه الاستجابات كفقاعات الهواء، مآلها أن تتلاشى.** وكما أن الزرع دون عمق أرض ينمو سريعاً، ولكنه يحترق تحت وطأة الشمس الشديدة (مت١٣:٥و٦و٢٠و٢١)؛ **هكذا العواطف وحدها لن تصمد للتجارب. وربما اكتشف الانسان أنه إن لم يمتلك الرب كل الكيان، فلا نجاة.**

(٨) التديُّن الطقسي

هذا لون شائع في الكنائس التقليدية التي لا تستغني فيها العبادة عن الطقوس. وهذه ليست شكليات، وإنما عنصر مُكمِّل للصلوات، ويتم من خلاله مخاطبة كل جوانب الكيان الإنساني روحاً وقلباً وعقلاً وحواساً، فضلاً عن التعامل مع الصغار والكبار. ولكن أن يُختزل اهتمام العابد في الطقس وحده فيصير هدفاً في ذاته يُجرِّده من علاقته العضوية بالعبادة الروحية، هذا يجعل التديُّن قاصراً منقوصاً ويحرم المصلِّي من التمتُّع بالشركة الكاملة.

ويضم هذا النمط من التدين كثيرين من أصحاب المواهب الفنية كالرسم والموسيقى والترنيم، ومنهم مَن يتقنون الأعمال الطقسية (مثل الشمامسة والمرتلين) دون إدراك روحها، ودون أن يصلُّوا بالذهن أيضاً متابعين المعاني (في الألحان مثلاً)، واهتمامهم أكثر على إتقان الأداء لا التسبيح الذي هو عمل الملائكة.

ونحن نحتاج في كنائسنا للمتخصصين الدارسين للطقوس الذين يعرفون الصلوات والألحان واللغات والأصوام والأعياد وسائر المناسبات والترتيبات

الخاصة بكل منها. **على ألاَّ تستقل هذه الجوانب كلها عن العبادة بالروح، وإلاَّ فقدت معناها وحدودها وصارت أشكالاً بلا روح. وعلى أن يكون كل "الطقسيين" أشخاصاً روحيين يتقنون الصلاة ويحفظون كلمة الله، ويُمارسون التوبة ويعبدون الله كحنَّة النبية بأصوامٍ وطلبات ليلاً ونهاراً** (لو ٢: ٣٧).

ويتصل بهذا اللون من التديُّن هؤلاء الذين قَصَروا علاقاتهم المسيحية على حضور الكنيسة فقط في المناسبات الكنسية كالأعياد السيدية وأعياد القديسين وزيارات الأديرة؛ حيث لا تتيح الأعداد الكبيرة من الحاضرين في هذه الظروف فرصة حقيقية للصلاة والاتصال بالرب؛ فينصرفون إلى لمس الصور وإيقاد الشموع. ولكن ماذا يمكن أن تفيد هذه بغير الإيمان؟

إن الكنائس والأديرة ليست مزارات، إنها مكان الصلاة والتوبة، وأعظم ما فيها "حضور المسيح". فإذا دخلنا وخرجنا دون أن نلتقيه نكون قد أخطأنا الهدف. وإذا كان أقصى ما نلناه لمسة صورة أو قارورة زيت أو قطعة خبز، نكون كمَن دُعِيَ لحضور حفل عشاء مع الملك، فضلَّ طريقه إليه ولم يأخذ غير الفتات.

(٩) تديُّن القدرة والعطاء

ممارسو هذا التديُّن يتصلون بالدين من زاوية العطاء المادي. فهم مقتدرون أصحاب أعمال ويملكون الكثير. وهم يقدِّمون أموالاً وأدوات وموادًا وخيرات للكنائس والأديرة والمؤسسات الدينية الأخرى، خاصة تلك المهتمة بالفقراء والأيتام. وهم موضع التقدير والحفاوة والاهتمام في الوسط الكنسي بما يقدِّمونه من الإسهام المادي. وكثيرون مِمَّن يملكون هم مؤمنون أتقياء متضعون يحيون التوبة، ويشعرون أن كل ما لهم هو حقٌّ للرب فيُقدِّمونه له عن طيب خاطر. والكتاب يحفل بأمثلة كثيرة من هؤلاء، فرجال الله إبراهيم وأيوب وداود كانوا أغنياء وأصحاب سلطة، ولكنهم ظلوا نماذج رفيعة في الإيمان.

ولكن عندما يكتفي القادرون بأن يعطوا الله الماديات ـ وهي فائضة عندهم

ـ بينما حياتهم جسدية غير مُدقِّقة ويتجاهلون التوبة، يكونون قد فقدوا الاتجاه الصحيح. فالله يُنادي: "**يا ابني أعطني قلبك، ولتُلاحظ عيناك طرقي**" (أم ٢٣:٢٦). ومعلِّمنا بولس الرسول يُحذِّر: "**إن أطعمت كل أموالي... ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً**" (١كو ١٣:٣). فالله لا يهمه حجم العطاء قدر ما يهمه الحب الذي يدفع إليه: "**تحب الرب إلهك... من كل قدرتك**» (لو١٠:٢٧)، وهو رأى أن الأرملة صاحبة الفلسين: "**ألقت أكثر من جميع الذي ألقوا في الخزانة**" لأنها "**من إعوازها ألقت كل ما عندها، كل معيشتها**" (مر١٢:٤٣و٤٤).

إن المال بركة، ولكن محبته أصل لكل الشرور (١تي ٦:١٠). ويمكن للمال أن يخدم خلاص الإنسان لو هو نفَّذ وصية الرب: "**اذهب بِعْ كل ما لك وأعطِ الفقراء، فيكون لك كنزٌ في السماء، وتعالَ اتبعني حاملاً الصليب**" (مر ١٠:٢١).

(١٠) التديُّن الاحترافي

هذا الانحراف يمكن أن يتعرَّض له البعض مِمَّن يعملون في الحقل الديني، مثل الرعاة والمرتِّلين والشمامسة وأعضاء المجالس الكنسية وصانعي القربان وموظفي الكنيسة وغيرهم. وقد تبدأ خدمة هؤلاء حارة روحية حتى وإن تناولت أموراً مادية. ولكن مُضيّ الزمن والانشغال عن محاسبة الذات يحوِّل الخدمة إلى وظيفة (كما كان الحال مع الفرِّيسيين) تستقل بالتدريج عن خدمة المسيح لتصير لخدمة الذات والأرض والعالم وزيادة الرصيد. ويتحوَّل الارتباط بالدين بالنسبة للبعض إلى مصدر للقمة العيش، لا يحتملون أن يقاسمهم فيها آخر، كما يتحوَّل الأداء ـ بما فيه الصلوات الطقسية ـ إلى نشاط آلي هدفه الكسب، كأداء الموظف النشيط المتقن لحرفته أو فنه والذي لا يعرف مبدأ

"مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا" (مت ١٠:٨).

وقد نشير هنا إلى هؤلاء الذين يتاجرون باختبارهم الخلاصي مع المسيح. فبعد أيام السمو الأولى مع الإيمان الجديد وهم يكادون يطيرون من بهجة اللُّقيا مع الرب وانتشالهم من الموت، ثم بالتفاف الناس حولهم لتُمجِّد الله؛ تدور رؤوسهم بالشهرة والاهتمام بهم والهبات التي تنهال عليهم ويتحوَّل إيمانهم إلى رأسمالهم.

ربما احتاج الرعاة والخدَّام والمبشِّرون الذين يدورون في نفس مواقعهم دون نمو حقيقي، وتحوَّلت خدمتهم اضطراراً إلى الرياء، أن يتوقَّفوا من حين إلى حين لمراجعة حياتهم وخدمتهم في خلوة قد تطول بانسحاقٍ يحنن قلب الله ليهبهم قوة روحية تجدِّد خدمتهم.

بالطبع فهناك في الحقل الديني مَن يظلون على بكارتهم وخدمتهم الباذلة التي يتجدَّد شبابها بالروح مع كل يوم، وتؤتي ثمارها التي يتمجَّد بها الله. وسرُّهم هو اتضاعهم واتصالهم الدائم بالروح مصدر القوة.

(١١) تديُّن التجارة والتربُّح

هذا تديُّن بعض المستفيدين مادياً من النشاط الديني وهم كثيرون، مثل مَن يصنعون ملابس الخدمة، أو يقومون بأعمال البناء والنجارة والكهرباء، أو المتخصِّصين في عمل حجاب الهيكل والمنجليات ورسم الأيقونات، أو مَن ينتجون الشرائط أو الأقراص الصوتية والأفلام الدينية، أو أصحاب المطابع والمكتبات وناشري الكتب والصور الدينية، أو مورِّدي المواد الغذائية، أو الباعة حول الكنائس وفي أعياد القديسين، وغيرهم.

هؤلاء في خطر ألاَّ يلتقوا بالمسيح، ويكتفون بالاستفادة المادية من ورائه واستغلال الدين في التربُّح.

إنهم بالفعل يؤدُّون خدمات مطلوبة ولا يُستغنى عنها، ولكن أن يصير هذا هو كل نصيبهم من العلاقة مع المسيح، فهذا أمرٌ مرفوض ويهدِّد خلاصهم. **وعليهم أن يفصلوا بين عملهم وبين علاقتهم بالمخلِّص، أي ألاَّ يصير عملهم بديلاً عن ممارسة التوبة وحَمْل الصليب**، وأن يحرصوا على تنفيذ الوصايا في كل معاملاتهم، وأن تكون الأمانة والإتقان والالتزام وحُسن المعاملة والصدق واحترام بيت الله وعدم الطمع بالربح القبيح هو قانونهم الأساسي. وأن يجعلوا أعمالهم هذه فرصة دائمة لاتصالٍ حقيقي بشخص المسيح. فتتصل أعمالهم بإيمانهم وتأخذ مِن ثَمَّ بُعدها الإلهي: "**لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها**" (أف ٢: ١٠).

هذا لم يكن الحال مع الصيارفة وباعة الحمام في الهيكل. لقد استبعدوا الله وشريعته، وصار المال هو المعبود الوحيد؛ فحقَّ عليهم الطرد من بيت الله، وأن يسمعوا الصوت الحازم الممتلئ بالغيرة: "**بيتي بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص**" (مت ٢١: ١٣، مر ١١: ١٧، لو ١٩: ٤٦)، "**لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة**" (يو٢: ١٦). فلنحذر، إذاً.

(١٢) التديُّن النفعي أو الموسمي

هذا تديُّن فاتر المحبة، ضيق الصدر، لم يختبر أصحابه إيماناً حقيقياً تعرَّفوا من خلاله على شخص الرب؛ بل ولا يريدون أن يعرفوه أو يَعِدون بأي التزام، وما يربطهم به هو الحاجة. إنهم يريدون أن يبقوا أحراراً في نهجهم الجسدي. ومن حين إلى حين يأتون إلى الكنيسة ـ متأخِّرين عادة ـ ربما لإراحة ضميرهم، أو تحت

الضغط الاجتماعي، أو عند الطوارئ عندما تحيق بهم نازلة؛ فيهرعون إلى الله والكنيسة، ويظلون في حالة استنفار حتى يعود الحال إلى ما كان عليه. إنهم لا يهبُّون لسؤال السيد إلاَّ لمنفعةٍ.

وهذا التديُّن هو تديُّن أعداد كبيرة من الطلاب الذين لا يعرفون باب الكنيسة أو طريق التضرُّع إلاَّ أيام محنتهم الموسمية، أي امتحانات كل عام، ولا يعودون إلاَّ مع امتحانات العام التالي.

في محبته يتحنن الله على هؤلاء المحتاجين، وقد يستجيب لتوسُّلاتهم ويحلّ مشاكلهم، فهو الذي يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين (مت ٥:٤٥)، والمعتني حتى بطيور السماء. ولكن على هؤلاء أن يدركوا أن ملكوت السموات أعظم: "**اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره**" (مت ٦:٣٣). **ولِمَن صار الملكوت مقصدهم ينالون من الله العطايا الأدنى: "وهذه كلها تُزاد لكم".**

إنه لمما يثير الإشفاق أن نكون محتاجين، وأن يكون لنا هذا الإله الغني المستعد أن يُعطي بسخاء ولا يُعيِّر، ونحن لا نلتقي به إلاَّ قليلاً، ولا نخجل أن نجعل علاقتنا به نفعية بصورة صارخة. وبعد أن ننال ما نريد نمضي هائمين إلى فقر الحياة من جديد!

(١٣) التديُّن المريض

يحتمي بالدين بعض المرضى النفسيين كارهي الحياة، مِمَّن يعانون من صغر النفس أو الشعور بالنقص أو ضعف الشخصية أو توقُّف نموها. هؤلاء قد يجدون بعض الكرامة أو الطمأنينة في الانخراط في الحياة الدينية. وربما رآهم البعض قديسين، فيرضيهم ذلك ويسعدهم.

كما ينتمي إلى هذا النمط أيضاً بعض البسطاء الذين يختلط عندهم الدين بالجهل والخرافة و لم يختبروا إيماناً حقيقياً بشخص الرب، وليس لهم من "الدين" غير قشوره. ومن هنا فهم متطيِّرون متشائمون، متوجِّسون مما قد تأتي به الأيام، وينسبون ما قد يتعرَّضون له من مشكلات إلى الحسد وأعمال السحر. وبالتالي فلا ضير عندهم من اللجوء إلى الموروث الشعبي من أعمال السحر المضاد، أو إلى الدجَّالين أو المشتغلين بالسحر المتسترين أحياناً بالدين.

المرضى النفسيون يساعدهم العلاج النفسي والإرشاد الروحي حتى تبرأ نفوسهم وشخصياتهم من عاهاتها، أو على الأقل يُوضعون على الطريق الصحيح للنمو النفسي حتى يمكنهم التمتُّع بعلاقة صحية مع الرب. والبسطاء أسيرو الجهل والخرافة يحتاجون إلى التعليم الكنسي المُقدَّم خصيصاً لِمَن في مستواهم. كما يفيد الأُميين منهم محو أميتهم ليستطيعوا أن يقرأوا كلمة الله فيستنيروا ويتبعوا الإيمان الصحيح.

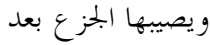

ربما تبتئس النفس الأمينة ويصيبها الجزع بعد هذا الاستعراض المحزن لألوان سلبية من التديُّن تنكَّبت الطريق إلى المسيح "**الذي ليس بأحد غيره الخلاص**" (أع٤:١٢)، وتعلَّقت بما حوله وهي تحسب ـ واهمة أو متعمِّدة ـ أنها على الطريق الصحيح، وربما خالجها الشك في أمانة سلوك كل المتدينين، أو حتى في صدق توجُّهها الإيماني هي ذاتها.

ولكن يتعيّن التأكيد هنا أن هذه الانحرافات قد وُجدت منذ أن وُجد الإنسان وستظل إلى مدى الأيام تشوِّه وجه الحياة الدينية وتُعثر الكثيرين. ولكن وجودها لا يعني أنها هي التوجُّه السائد، أو أن كل المتدينين هم مراؤون مدَّعون، أو طائفيون، أو حَرفيُّون، أو نفعيون، أو مرضى نفسيون... إلى آخر القائمة.

ففي الحياة الكنسية يوجد دائماً الروح القدس "المرشد إلى جميع الحق" (يو ١٦:١٣). **وفي كل مكان يوجد القديسون والعُبَّاد والنسَّاك والمجاهدون والمحبون الباذلون للرب وللقريب؛ والخدَّام الأمناء الذين يضيعون حياتهم من أجل مجد الله وخلاص الآخرين؛ والمؤمنون المخْلصون للرب؛ وربوات ربوات من الأتقياء الملتزمين الذين لا يعرفهم أحد، ولكنهم معروفون عند الله وأسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة، وسوف يأتي يوم يجازيهم الرب علانية.**

إن التدثُّن المسيحي الحقيقي – أي الحياة مع المسيح – نعمة عظيمة. فهو يعني ارتباطاً عضوياً بالمخلِّص، بالإيمان، كل الحياة. وفيه يقتات المسيحي على الحق، ويُقتاد بالروح القدس إلى الملكوت. ولكن إبليس عدونا يجتهد لإحباط كل محاولة للاقتراب من الرب، فضلاً عن لقائه والارتباط به.

ولمن استطاع الاقتراب من الرب، فإن إبليس يلجأ لتزييف الإيمان بتحويل ارتباطه بالمسيح إلى مَن أو ما حول المسيح بديلاً عنه: أشخاصاً كانوا (القديسين، آباء الكنيسة، الرعاة، الطائفة)، أم أشياءَ (الصور، الأيقونات، الطقوس، الكتب)، أم أماكنَ (الكنيسة، الدير)؛ أو يحجب كل الكيان عن أن يخضع بكامله للرب بالإيمان، فيكتفي الشخص بالعواطف السطحية أو النشاط العقلي أو استخدام المواهب أو القدرات، وهكذا.

إن ألوان التدثُّن الزائف هي الخطر المحدق بإيمان المسيحي. ولكن المؤمن الحقيقي الساعي إلى الحياة الأبدية لن يسمح بذلك. **فالمسيح هو المخلِّص الوحيد** (أع ٤:١٢)، وهو **الشفيع عند الآب إن أخطأنا** (١يو ٢:١)، وهو **رأس الجسد الكنيسة** (كو ١:١٨)، وهو **العامل فينا أن نريد وأن نعمل** (في ٢:١٣) لأنه **يحيا فينا** (غل ٢:٢٠)، **وبدونه لن نقدر أن نعمل شيئاً** (يو ١٥:٥)، وهو **الباب المؤدِّي إلى الحياة الأبدية** (يو ١٠:٩)، وهو **الطريق إليها** (يو ١٤:٦)؛ بل هو

القيامة والحياة (يو ١١: ٢٥): **"وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"** (يو ١٧: ٣).

محور التديُّن في الحياة المسيحية، إذاً، ليس هو جوانب العبادة ذاتها، وإنما هو الإيمان بالمسيح، ومنه يستمد أي عمل أو عبادة قيمته، وبغيره يصير عملاً ميتاً. والرب يسوع هو الذي ينعم علينا بخلاصه فنصير أولاد الله (يو ١: ١٢)، **ويهبنا حياة جديدة قادرة، من خلال محبته وشركة الجسد والدم، على دوام إنكار الذات والتوبة والصلاة وقراءة الكلمة والصوم ونواحي العبادة الأخرى، وخدمة العالم كسفراء عن المسيح** (٢كو ٥: ٢٠)، **وقبول الآلام من أجله** (في ١: ٢٩)، **ثم نيل المجد الأبدي عند مجيئه الثاني.**

المسيح، إذاً، هو وسيلتنا وغايتنا في الحياة الحاضرة والأبدية. فالحياة المسيحية هي هي المسيح لا أكثر ولا أقل.

"... والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته " (يو ١٠: ٤)

٢

مخـاوف البدايـة وأخطارها

+ قبلات العدو
+ حملان وسط ذئاب

قبلات العدو

عندما تدرك النفس البعيدة عن الله سوء حالها، وأن نجاتها من الهلاك هي أن تنفلت هاربة من دائرة الموت، وتسلِّم حياتها إلى مَن فداها بدمه، وتتبعه إلى النَّفَس الأخير؛ يأتي إبليس الكذَّاب المنافق ليهمس لها مرتدياً ثوب الناصح الأمين، ومُحذِّراً مما سوف يأتي عليها إن هي غامرت بترك حياتها الأولى وسارت وراء المسيح، ومثيراً مخاوفها بأن السلبيات التالية في انتظارها كي تتراجع عن طريق النور وتعود إلى سيرتها الأولى تحت رعايته.

إبليس يُحذِّر

(١) وهو يبدأ بالإشارة إلى انحرافات كثير من المتدينين، بل وبعض رجال الدين كي يُدلِّل على أن "التديُّن" ليس أملاً يُسعى إليه أو هدفاً يستحق التضحية. فالجميع في الوسط الديني خطاة متستِّرون، بل إن بعضهم يُجاهر بانحرافه ولا يخفيه، والفضيلة ليست هنا على الأرض. فلماذا

الجهاد طالما ستخرج هذه النفس من المعركة خالية الوفاض.

(٢) **وعلى المستوى الروحي** يدَّعي عدو كل بر أن التطلُّع إلى الحياة الأبدية (وما يتصل به من التفكير في الموت) سيؤدِّي إلى أن تصبح الحياة الحاضرة عبئاً وعبثاً، ولا مفر من الانطواء وكراهية الحياة وانتظار يوم الموت المُحرِّر من سجن الوجود.

(٣) **وعلى المستوى النفسي** يُحذِّر إبليس من الكبت والازدواجية (بسبب الامتناع عن الخطية بينما المَيْل لها لن يتلاشى)، والشعور المدمِّر بالذنب (خوفاً من العقاب)، مع الدخول في حالة هروب وجُبن (لتفادي السقوط)، فضلاً عن انطفاء الطموح (المضاد لحياة التسليم، كما يدَّعي!)، وتسلُّط الحزن والندم والكآبة (مما يُلازم حياة التوبة!) وغيره وغيره.

(٤) **وعلى المستوى الاجتماعي** يُنذر إبليس الكذَّاب مُشفقاً أن تبعية المسيح تؤدِّي حتماً إلى الفشل الاجتماعي بسبب الإخفاق في التواؤم مع المجتمع وأفكاره، فضلاً عن كراهية الجو الاجتماعي وألوان المرح مهما كانت براءته، مع التوجُّس من الناس بصورة عامة، واحتقار الروح الوطنية وخدمة الوطن الأرضي.

غاشة هي قبلات العدو

غنيٌّ عن القول، أننا لا نتوقع أن تكون هذه المخاوف وغيرها، مما يثيره العالم الشرير ورئيسه لإرهاب النفس التي تمرَّدت على طاعته، نابعة من الحرص على خير الإنسان وسلامته بالطبع. ولا يمكن لإبليس الكذَّاب وأبي الكذَّاب (يو ٨: ٤٤) أن يهتم بإنقاذ نفس مما قد يضرها؛ بل هو لا يريد لها أن تفلت من شِباكه، وأن تنحدر معه ومع أتباعه إلى مصيره التعس في النار الأبدية. فهذه

الشفقة الكاذبة لا يصح أن تخدع أحداً. وصدق الوحي الإلهي القائل: "**أمينة هي جروح المُحِب، وغاشة هي قبلات العدو**" (أم ٢٧: ٦).

دفاع الإنجيل ضد ادِّعاءات إبليس

تظل تحذيرات إبليس مجرد ادِّعاءات لا تنطلي إلاَّ على الغافلين، ويظل الحق الإلهي قادراً على الرد عليها ودحضها من أساسها وإنقاذ الإنسان من ضلالات عدو الخير.

(١) ففيما يتعلَّق بإسقاطات إبليس **على الوسط الديني**:

سنجد أن هذا بالفعل يمكن أن يضم ألواناً من التديُّن غريبة عن روح الإنجيل: كالطائفية، والتعصُّب، والعبادة المظهرية والسطحية، والرياء (الفرِّيسية)؛ وهناك المرضى النفسيون المحتمون بالوسط الديني الذين يُسيئون إليه بالفعل؛ وهناك الاستخدام الخاطئ لآيات الإنجيل، وعُقَد الاضطهاد، والتوجيه الخاطئ، وقلة القيادات المستنيرة، وغيره.

+ ولكن الخطاة الذين استولى عليهم الشيطان ليسوا مدعوين "للتديُّن" أي للانضمام إلى "طائفة" وتنفيذ بعض "الممارسات والطقوس" مع البقاء في خطيتهم؛ **وإنما هم مدعوون إلى "الإيمان بشخص يسوع المسيح المخلِّص الوحيد"** (أع٤: ١٢)، **والنجاة من موت الخطية والتمتُّع بالقداسة** (١تس ٤: ٣)، و**"حرية مجد أولاد الله"** (رو ٨: ٢١). **والكنيسة هي جماعة "المؤمنين بالمسيح"**، وليست جمهور المتديِّنين الشكليين الذين يستغنون عن المسيح وصليبه ونفقة تبعيته بالممارسات التي تتم مستقلة عن روح الإنجيل.

+ **الخاطئ مدعو للتوبة والإيمان بالإنجيل** (مر ١: ١٥)، أي الانتقال إلى حياة

جديدة تتوجَّه نحو المسيح وحده، ودستورها كلمة الله المحيية. وكل ما في عبادته وممارساته حتى الجسدية منها هي مقدَّسات تخدم هدفاً أبدياً: "**فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شيء لمجد الله**" (١كو ١٠: ٣١).

+ وخطيئة بعض "المتديِّنين" في شكلية عبادتهم وانقسام قلبهم يتحمَّلونها هم لا الإيمان الذي أنكروه. وإذا كانوا مخلصين ولكنهم ضلوا السبيل، فالروح سيهديهم. أما قادة بعض الطوائف في كنائس الغرب المجاهرون بانحرافهم، والذين صاروا عثرة للكنيسة كلها، فهؤلاء يقول فيهم الكتاب: "**ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة**" (مت ١٨: ٧، لو ١٧: ١). ورغم كل شيء، فإن خطيئة المسيحيين الإسميين لا تستطيع أن تُخفي استقامة ونقاوة ربوات المؤمنين الحقيقيين الذين هم "نور للعالم"، ومن أجلهم يطيل الله أناته على الخطاة والعالم الشرير.

(**٢**) وعن ادِّعاءات إبليس **في الجانب الروحي**:

+ ينبغي التأكيد أن اكتشاف المؤمن للبُعد الأبدي لحياته لن يعكس انسحابه من حياته الأرضية، لأن هذه في الحقيقة قد امتدت إلى الأبدية ولا انفصال بينهما: "**ها ملكوت الله داخلكم**" (لو ١٧: ٢١). والمؤمن الحقيقي مُطالَب أن يُبرهن على صدق توجُّهه في المسيح خلال حياته القصيرة هنا، وهي حياة مقدسة بحضور المسيح فيها، وليست نتيجة جهد شخصي مستقل عن الله. وسواء حفلت الحياة بالفرح والخيرات والنجاح والنصرة والخدمة، أو جَانَبَها التوفيق وحالفها الألم والمرض والإحباط؛ فلن يحسبها المؤمن عبثاً أو عبثاً، بل هي جديرة بأن تُقبَل كهبة من يد الخالق صانع الخيرات.

+ إن الحياة مع الله تُنشئ توازناً بين الروح والجسد، وتتناغم الغرائز

وتنضبط الميول وتعمل كلها معاً للخير. فالصوم يضبط الشراهة، والعطاء السخي يضبط محبة المال والأشياء والتملُّك، والعبادة والتكريس والحب المقدس والزيجة المقدسة تضبط الجنس وتقدِّسه. والمؤمن الحقيقي لا يكره جسده الذي صار هيكلاً للروح القدس (١كو ٣: ١٦؛ ٦: ١٩)، كما لا يكره الجنس ولا يخشاه. وهو عندما كان متغرِّباً عن الله كان مستعبَداً لشهوة الجسد، لا يقدر على مقاومتها وبغير شبع، ولكنه في حياته الجديدة يرى خليقة الله طاهرة، وأن الجسد ليس للنجاسة (١تس ٤: ٧)، وأنه بمساندة الروح وبقوة التوبة ينال طهارة الفكر والحواس، ويتعامل مع غريزة الجنس كعطية إلهية، ومع الجنس الآخر **كمكافئ ونظير** جدير بالاحترام والتعامُل الإنساني، وليس **شيئاً** للَّهو والمتعة كما يفعل الشباب البعيد عن الله. **وفترة الشباب عند مَن لبُّوا نداء المخلِّص وتبعوه هي مرحلة الزمالة الناضجة والصداقة التي تسعى في النور ولا تتستر تحتها الشهوة، وربما كانت بداية لعلاقة نقية قد تُكلَّل بالزواج، حيث يحقِّق الجنس غايته في الاتحاد المقدس بين الزوجين لتجديد الخليقة.**

+ خلافاً لادِّعاء إبليس، فالمؤمن المسيحي – وقد تحرر من سجن الذات – لا يمكن أن يعرف الانطواء، ولو كان ناسكاً في البرية أو متوحِّداً في مغارة. فهو يسأل من أجل قريبه، فَرِحاً مع الفرحين وباكياً مع الباكين، ومبتهلاً من أجل كل مَن هم في ضيقة ممَّن يعرف أو لا يعرف، ومحبته واهتمامه يمتدَّان إلى العالم كله من أجل كل المظلومين وضحايا الحروب والمجاعات واضطراب الطبيعة، وهو لا يحب باللسان والكلام، بل بالعمل والحق أي بصَلاته وماله، وربما بتطوُّعه لتخفيف الويلات عن إخوة المسيح الأصاغر من كل الأعراق والأديان.

ففي المسيح وبعمل نعمته تتوارى الذات وتنمو نوازع الإيثار والخدمة والتضحية والعطاء بغير حدود. ويصير حَمْل الصليب والسير به وراء المسيح شركة حب ومجالاً للفخر والطريق المؤدِّي إلى المجد الأبدي: "**أما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم**" (غل٦: ١٤).

(**٣**) وعن ادِّعاءات إبليس **في الجانب النفسي**:

+ تؤكِّد لنا كلمة الله واختبارات المنتصرين أن المحاولات الشخصية للتغيير بغير اعتماد على النعمة، هي التي تكون في حقيقتها كبتاً ذاتياً لرغبات الجسد مع بقاء الميل للخطية، وهذا لا ينجم عنه سوى التمزُّق والسقوط المتكرر، فالحزن والشقاء واليأس (رو ٧: ٢٤). ولكن التغيير الذي يتولاَّه الروح القدس في المؤمن، يُحرِّره من سلطان الخطية ويهبه القوة على صَلْب الذات وضبط النفس وإنكار الشهوات، بل وتحدِّي إبليس: "**فقاوموه راسخين في الإيمان**" (١بط ٥: ٩).

+ وليس من صفات المؤمن المتمتِّع بالحياة الجديدة أن يظل رغم توبته شاعراً بالذنب جاثماً كأنه لم يُرفع، لأنه في يقين النفس المؤمنة أن دم المسيح قد كفل غفران الخطايا وطرحها طالما أنها تابت عنها واعترفت بها: "**إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثم**" (١يو ١: ٩).

وعلى نقيض ادِّعاء إبليس، لا توجد أدنى علاقة بين التوبة والاكتئاب. والحزن المُصاحِب للتوبة يصفه الكتاب أنه حزن بحسب مشيئة الله: "**يُنشئ توبة لخلاص بلا ندامة**" (٢كو ٧: ١٠). وعلى العكس، فإن التوبة الصادقة تثمر فرحاً وسلاماً بالتخلُّص من أثقال الخطية وهمومها كخروج السجين المنسحق

إلى الحرية.

الذين يُقرِنون التوبة بالكآبة ربما يقصدون الشعور بالندم واكتشاف سوء الحال. والحزن والدموع وانسحاق التائب أمام المخلِّص هو تعبير عن صدق العزم على رفض الخطية والعودة إلى الأحضان الأبوية. ولكن بعد الخروج من حضرة الله، وبعد الاعتراف أمام الكنيسة، ليس هناك غير التعزية والبهجة وانحسار الهم. وبقاء الحزن حتى بعد التوبة هو علامة سلبية لتديُّن مريض مضاد للإيمان، يعاني صاحبه الاكتئاب خاطئاً أو تائباً وهو يحتاج إلى مساعدة نفسية وإرشاد روحي.

+ يتكامل مع الحياة الجديدة بالطبع أن يحفظ المؤمن نفسه طاهراً (١تي ٥: ٢٢)، وأن يتجنَّب الأوساط الشريرة، هارباً من الفساد الذي في العالم (٢بط ١: ٤). ولكن الانسحاب من جو الخطية والشهوات ليس - كما يدَّعي إبليس - هروباً نفسياً وجبناً عن مواجهة الظروف كمَن لا يختبرون حضور الله وقوة الروح. فالشجاعة الحقيقية هي في اتخاذ القرار بالخروج من سدوم المهددة بالخراب (تك ١٩)، والإفلات من التجربة قبل السقوط (على نهج يوسف) مهما كان الثمن (تك ٣٩).

+ إن حياة التسليم المرتبطة بالإيمان ليست هي حياة الاستسلام والعجز، وهي ليست نقيضاً للطموح والتطلُّع إلى الأفضل في كل مجال. فالإنسان بطبعه يميل إلى التقدُّم، ولكن إذا كان الإنسان الجسدي يُعْزِى تقدُّمه إلى ذاته، فإن النفس المؤمنة تجتهد وتسعى وتتعب وتطلب إرادة الله قائد سفينة الحياة، وتنسب أي فضل أو نجاح إلى الله الذي يتمجَّد بها.

(٤) وعن ادِّعاءات إبليس **في الجانب الاجتماعي:**

+ فإنه كذب صريح أن يُقال أن المؤمنين الحقيقيين يفشلون في التواؤم مع المجتمع. فالحياة المسيحية تجعل المؤمن مسئولاً عن المجتمع، وتحضّ على خدمته. **والمسيح يرانا نوراً للعالم، وملحاً للأرض، ويجعل القريب، الذي علينا أن نحبه كأنفسنا، العالَم كله؛ بل ويجعل كل قريب لنا أخاً له** ("**إخوتي هؤلاء الأصاغر**" – مت ٢٥: ٤٠). الطبيعي أن يستقل المؤمن عن الجانب الشرير من المجتمع كي يستطيع أن يُغيِّره. المسيحي الانسحابي الذي يتهيب المجتمع، ويتوجَّس من الناس، ليس مؤمناً حقيقياً؛ إنه يُعاني ضعفاً ويحتاج إلى تغيير ليكتشف رسالته ومصدر قوته. المؤمن الحقيقي مُقبل على المجتمع وعنده ثقة في إلهه، ويشعر أنه في الجانب الأقوى. ومُعلِّمنا بولس يُقدِّم المَثَل: "**صرتُ للكل كل شيء لأُخلِّص على كل حال قوماً**" (١كو ٩: ٢٢).

+ المؤمن المسيحي منبسط الأسارير، قابل للمرح، سهل الاقتراب من الآخرين، مستعدٌّ دوماً للخدمة حتى ولو كلَّفته جهداً مُضاعفاً: "**مَن سخَّرك ميلاً واحداً، فاذهب معه اثنين**" (مت ٥: ٤١). وهو مُحب لوطنه الأرضي ويخدمه كمُرسَل من المسيح، أمين في أداء الواجب دون توقُّع المكافأة، لا يعرف التعصُّب والتمييز حتى لو تعرَّض هو للاضطهاد والتمييز.

ويا أيها البعيدون المشتاقون إلى الخلاص والحرية من أَسْر إبليس، تقدَّموا مِمَّن يُنادي: "**تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أُريحكم**" (مت١١:٢٨)، ومؤكِّداً: "**مَن يُقبِل إليَّ، لا أُخرجه خارجاً**" (يو ٦: ٣٧)، ولا تصدِّقوا ادِّعاءات إبليس. وها هي كلمة الله تكشف كذبه ونفاقه وعداءه وزيف قبلاته، وأن حياة القداسة والنصرة التي يدعونا إليها الله، حتى لو

صاحبتها الآلام، فإنها تحفل بالتعزية والفرح والسلام، وتهب النجاة من الهلاك، "**والنهاية حياة أبدي**" (رو ٦: ٢٢).

حملان وسط ذئاب

مشيراً إلى الأخطار التي تواجه كل مؤمن في العالم، أوصى الرب تلاميذه قبل أن يرسلهم لبشارة العالم بالخلاص، قائلاً : "ها أنا أرسلكم **كغنم** في وسط **ذئاب**" (مت١٠:١٦) أو "مثل **حملان** بين **ذئاب**" (لو١٠:٣). فالمؤمنون – ومن يخدمونهم – هم حملان يتمثلون في نهجهم **"حمل الله"** الذي بذل نفسه كي "يرفع خطية العالم" (يو١:٢٩).

الحملان – خاصّةُ المسيح – هم في هذا العالم **نور للعالم وملح للأرض.** ولكن الذئاب في العالم هي أيضاً تترصدهم وتقاومهم بالعدوان والاضطهاد والحصار والضغوط لردّهم عن الإيمان واجتذابهم إلى المعسكر المضاد.

ولكن **الحملان** يمضون في طريقهم في حماية الرب **راعي الخراف العظيم** (عب١٣:٢٠)، الذي **وضع نفسه بالفعل عن الخراف** (يو١٠:١١، ١٥).

وكل الرعاة يستمدون أمانتهم وعطاءهم وقوتهم من المثال العظيم للراعي

الذي أرسلهم (يو٢١: ٩).

فدور الراعي أساسي وحاسم وتتوقف عليه سلامة الحملان وأمنهم. وغياب الراعي أو عدم أمانته هو العثرة التي يمكن للذئب أن ينفذ منها. فالأجير في الحقيقة شريك للذئب الذي إذ يراه مقبلاً ليفترس الحملان **يهرب** ناجياً بنفسه **ولا يبالي بالخراف** (يو ١٠: ١٢، ١٣).

وبنفس المقدار **فالخراف الحقيقية لا تتبع الغريب** بل تنفر منه وتلوذ **بالراعي "خاصتي تعرفني** كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب" (يو١٠: ١٤، ١٥).

ودور **الراعي** لا يقتصر فقط عل رعاية الخراف وحمايتهم، وتدعيم قدراتهم لمواجهة هجمات الذئاب، وإنما أيضاً **هو يحارب الذئاب** في عقر دارهم. بل إنه يختار بعضهم ليستعيدوا براءتهم من جديد ويحوّلهم ليكونوا ضمن خاصته. كما إنه يسعى لأن يضم خرافاً جُدداً إلى حظيرته، فهو **دائم الجهاد** والسعي وعينه على الخراف الأُخر التي أشار إليها الرب إنه **"ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد"** (يو١٠: ١٦).

المؤسف أن **بعض الحملان** تضيق بحياتها الرتيبة في حماية الراعي الأمين، الذي يحوّط حولها ويدخلها الحظيرة كل ليلة. فهي تريد أن تختبر الحياة بعيداً عن الراعي. وبعضها يتلكأ في العودة إلى الحظيرة فيشرد بعيداً. **هذه الحملان فريسة سهلة**. وما أهون وقوعها في الإغراء بتأثير الشهوة أو المال.

فإذا اجتمع هذا **الميل للضلال مع سهو الراعي** وعدم أمانته يكون الخطر عليها أشد.

وعلينا أن ننتبه. فليس كل الذئاب تهاجم وهي تظهر أنيابها وتشهر أسلحتها وتكشف عداءها. **فهي يمكن أن تتنكر في هيئة الحملان** أي المؤمنين في

الظاهر ومن هؤلاء حذّرنا الرب "**احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة**" (مت٧:١٥).

وفي حديث **القديس بولس** الوداعي لقسوس كنيسة أفسس حذرهم من هذا الخطر قائلاً "لأني أعلم هذا أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم **ذئاب خاطفة** لا تشفق على الرعية. ومنكم أنتم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم" (أع٢٠:٢٩، ٣٠).

وكيف نكشف هؤلاء؟ الرب يواصل القول : "**من ثمارهم تعرفونهم**. هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً.. **الشجرة الردية تصنع أثماراً ردية**" (مت٧:١٥-٢٠).

وعندما كتب القديس يوحنا رسالته الأولى التفت إلى الذئاب الذين خرجوا من جماعة التلاميذ وتجاسروا على شخص السيد المسيح كأبن لله ودعاهم **أضداداً للمسيح** (١يو٢:١٨) وأنهم أنبياء كذبة، وحدّد علاماتهم التي تستطيع بها الخراف اليوم أن تميز الأصوات التي تناديها وتكشف زيفها : "**مَنْ هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح. كل من ينكر الابن ليس له الآب**" (١يو٤:١، ٣).

وحتى اليوم فلا تزال **الحملان** يحاصرها **من يدّعون الانتساب إلى المسيح** وهذه **المعركة يقودها "رئيس هذا العالم"** (يو١٦:١١) ويستخدم فيها أسلحة العالم من رأس المال والقوى السياسية وحتى الثقافة والفنون.

نخلص إلى ما يلي :

(**١**) أن أمن المؤمن الحقيقي هو **في ارتباطه بكنيسته**، وثقته في مخلصه الذي

أنقذه من الموت، والتزامه بالإيمان المستقيم المكلل بدم الشهداء على مدى القرون، وأن إهماله لكلمة الله، وتحلله من الوصية، وارتداده إلى الجسد، **هو بداية السقوط بين أنياب الذئاب بأنواعها.**

(٢) **أن رعاية الكنيسة للمؤمنين روحياً وعقيدياً واجتماعياً** واهتمامها الخاص بالخراف الضعيفة والفقيرة هو السياج الذي يحفظ الحملان من هجمات الذئاب مهما تباينة أسلحتها، وعلى **الرعاة أن يستشعروا عظم مسئوليتهم في الإنقاذ من الموت.**

(٣) **سيظل الذئاب يحومون حول الحملان لاختطافها وافتراسها** وسوف يبدأون بالطبع بتلك الشاردة غير المنتمية أو تلك التي عدمت الرعاة الأمناء. وبالنسبة للأغلبية الأمينة فلتتبع وصية سيدها **"كونوا حكماء كالحيات"** (مت١٠: ١٦)، **أي أن تستخدم روح الإفراز والتمييز كي تكتشف الذئاب مهما تخفّوا.**

" ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني " (مت ١٠: ٣٨)

٣

هو الطريق

+ اتبعنى

+ بذل الذات

اتبعـني

في أكثر من مناسبة تكلَّم الرب عن **التزامات تبعيته**، أي الإيمان به كتلاميذ يلتصقون بمعلِّمهم: يسيرون على نهجه، ويلتزمون برسالته، ويحفظون وصاياه ويُبشِّرون بها، ويُكرِّسون حياتهم له مخلصين له حتى النهاية، وخلال مسيرتهم يحتملون الآلام من أجله متشبِّهين بمن أحبهم حتى المنتهى.

فماذا قال الرب؟

"إن أراد أحدٌ أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني. فإنَّ مَن أراد أن يُخلِّص نفسه يُهلكها، ومَن يهلك نفسه من أجلي (ومن أجل الإنجيل) يجدها (فهو يُخلِّصها). لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يُعطي الإنسان فداءً عن نفسه" (مت ١٦: ٢٤-٢٦، مر ٨: ٣٤-٣٨، لو ٩: ٢٣-٢٥)؛

"إن كان أحدٌ يأتي إليَّ ولا يُبغض أباه وأُمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً... ومَن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي،

فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو ١٤: ٢٦و٢٧)؛

"مَن أحب أباً أو أُماً أكثر مني فلا يستحقني. ومَن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني. ومَن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني. ومَن وجد حياته يُضيعُها، ومَن أضاع حياته من أجلي يجدها" (مت ١٠: ٣٧-٣٩)؛

"إن أردتَ أن تكون كاملاً، فاذهب وبِعْ كل ما لك وأعطِ الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعالَ اتبعني (حاملاً الصليب)" (مت ١٩: ٢١، مر١٠: ٢١، لو ١٨: ٢٢)؛

"كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله، لا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لو ١٤: ٣٣).

هذه هي إذاً التزامات تبعيته:

الالتزام الأول: إنكار الذات

ولماذا **إنكار الذات**، أي إزاحتها من المشهد؟ ذلك، حتى يكون المسيح الكل في الكل، الأول والآخِر، محبوباً مُطاعاً أكثر من النفس وأكثر من الأهل والعالم كله. ففي حضور الذات ومَن ينتسب إليها لا يوجد مكان لله. وفي إرضاء الذات وإكرامها والإصغاء لمطالبها والركض بها إلى فيض الخلاعة والفساد، وتخليصها من شركة الألم وعبور الباب الضيق، ضياعها وهلاكها؛ **بينما مَن يرفض شهواتها ويُحطِّم كبرياءها وينفي عنها اكتفاءها وانكفاءها على ما لها ولامبالاتها بالآخر، هو في الحقيقة يحفظها من الضياع ويستبقيها إلى الأبد.**

وفي الحياة المسيحية العملية، فإن التوبة والقداسة والخدمة وطاعة الوصية تبدأ وتستمر وتنمو **بإنكار الذات**. وحضور الذات وتألُّقها، إما أن يُعطِّل كل

اتجاه نحو الله، وإما أن يزيِّف الحياة كلها. فتبقى الذات نشطة، ولكن تتنكَّر تحت عباءة رقيقة من التظاهُر بالعبادة لإرضاء الناس، أو تنسب لها كل العمل الروحي لا للنعمة. ونتيجة هذا البر الذاتي دائماً صفر. فهو جهاد فاشل لا طائل من ورائه دون اكتشاف مصدر التغيير والقوة وهو الروح القدس.

الالتزام الثاني: حَمْل الصليب

هذا الالتزام يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسابق: فمَن يحب نفسه لن يقبل **حَمْل الصليب** أو يحتمله، ولن يقتنع بضرورته وسيجتهد أن يتفاداه بكل وسيلة.

والمعنى المباشر **لحمل الصليب** هو قبول الألم والعار والاضطهاد والظلم بأنواعه من أجل المسيح والكنيسة حتى إلى بذل الحياة ككل شهيد. وكان المحكوم عليه بالصَّلْب يحمل صليبه إلى مكان تنفيذ العقوبة، وهو ما جازه الرب نفسه: "**فخرج وهو حاملٌ صليبه**" (يو ١٩: ١٧). والمؤمن وهو يحمل صليبه يُشارِك الرب الذي تألَّم مظلوماً ولم يفتح فاه (إش ٥٣: ٧)، "**وأُكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة**" (كو ١: ٢٤)، "**لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه مُتشبِّهاً بموته لعلِّي أبلغ إلى قيامة الأموات**" (في ٣: ١٠و١١). فالذين يتفادون الاضطهاد من أجل المسيح ويهربون منه طالبين اللجوء إلى حيث الراحة، ينكرون الإيمان وينسحبون من تبعيتهم للمسيح مهما قالت أوراقهم غير ذلك.

والقديس **بولس** تكلَّم عن الخطوة التالية لحمل الصليب، وهي **الصَّلْب مع المسيح**: "**مع المسيح صُلِبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ**" (غل ٢: ٢٠). وقد عاش القديس بولس حياته في الإيمان مصلوباً، وقائمة آلامه سجَّلها في رسائله (١كو ٤: ٩-١٣، ٢كو ١١: ٢٣-٢٨)، ويفيض بها سفر الأعمال: سجيناً،

ومضروباً، ومجلوداً، ومرجوماً إلى حافة الموت، وطريداً، ومُعرَّضاً للأخطار، في البحر والبر، من اللصوص، من اليهود ومن الأُمم، في المدينة وفي البرية، وعطشاناً ومكدوداً، ومتحمِّلاً أعباء خدمة متسعة امتدَّت إلى قارتين ولم تتوقف حتى وهو سجين في روما يُبشِّر سجانيه ويكتب للكنائس، وفي النهاية قدَّم حياته شهيداً.

والقديس **بطرس** هو أيضاً عاش مُقاتلاً شجاعاً لم تهزمه أسوار السجن ولا جلدات الجلاَّدين، وقاد الكنيسة الوليدة في أورشليم واليهودية والسامرة، وبشَّر الأمم أيضاً، وكتب للمؤمنين مُشجِّعاً على احتمال الآلام تمثُّلاً بالرب (١بط ٢: ١٩و٢١)، وانتظاراً لمجيئه لتمجيد قديسيه، وحَمَل الصليب حتى روما حيث سلَّم أنفاسه الأخيرة مصلوباً منكَّس الرأس. فهو نفَّذ الوصية بقبول الألم والجهاد ضد الخطية وضد محبة العالم الحاضر حتى الموت.

وحَمْل الصليب يعني أيضاً التخلِّي عن رفاهية الحياة ومحبة المال وتعظُّم المعيشة، وبَدَلَ المغالاة في التمتُّع يكون السعي لسدِّ حاجة المعوزين اقتساماً للخيرات، ومشاركة المرضى[1] ومنكوبي اضطرابات الطبيعة والمجاعات وغيرها، بالخدمة والتبرُّع السخي برهاناً لصِدْق الإيمان. لقد صار الصليب بالفعل رمزاً لشركة الألم مع المسيح ومع الآخرين[2].

---

(١) في الأخبار أنَّ شخصاً متوسط الحال من بوسطن الأمريكية اختار أن يتبرَّع بكل مدَّخراته (مائة ألف دولار) لزرع كلية لمهاجر فقير من إكوادور قرأ قصته في إحدى الصحف، وذلك بدلاً من شراء بيت جديد أوسع من بيته الصغير الذي اكتفى به.

(٢) هكذا تأسَّست جمعيات "الصليب الأحمر" لتكون وسط الكوارث والنكبات والحروب تمد يد المساعدة والإنقاذ وتخفيف الويلات بغض النظر عن العنصر أو اللون أو الدين. وهناك مؤسَّسات تُيسِّر الأمر لمَن يريد أن يتولَّى رعاية محتاجين لا يعرفهم وتفصلهم عنه آلاف الأميال، ولكن تشدّه إليهم وصيةَ المسيح وحَمْل الصليب. كما صار تبنِّي أطفال العالم الفقير اليتامى أو مَن يعجز ذووهم عن إعالتهم اتجاهاً يتنامى عاماً بعد عام؛ ويُفرح قلب المسيح أكثر الذين يختارون من بينهم بالذات المشوَّهين والمُعاقين جسدياً أو ذهنياً.

ويندرج تحت حَمْل الصليب والصَّلْب مع المسيح أيضاً إنكار الشهوات ومقاومة الرغبات الجسدية ورفض إغراءات الحياة مهما كان الثمن: "**الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات**" (غل ٥: ٢٤). **ويوسف الصديق** احتمل ظلم الاتهام وظلام السجن الطويل، وأَبَـى السقوط السهل والمبرَّر، وهاله أن يصنع الشر ويُخطئ إلى الله (تك ٣٩: ٩). **ويتكامل مع رفض نداءات الجسد ويساند هذه المقاومة، العبادةُ الجادة من نسك وصلاة وصوم وعكوف على الكلمة، تؤازرها النعمة ويُضرمها روح القداسة، فتهدأ الحروب ويسود السلام، ويمتلئ القلب بيقين النصرة في كل ما يثيره العدو.**

كما يعني حَمْل الصليب أيضاً احتمال المرض الطويل وألم الجسد وضعفه والتجارب الثقيلة كشركة مع المسيح في آلامه بشكر وصبر دون تذمُّر أو دمدمة وكتدبير إلهي يقصد نمو الإيمان والتوبة وضمور الميول الجسدية: "**فإن مَن تألَّم في الجسد كُفَّ عن الخطية**" (١بط ٤: ١). **وأيوب الصدِّيق** في محنته الهائلة وصبره واحتماله يُقدِّم نموذجاً من العهد القديم لحمل الصليب بتسليم كامل لمشيئة الله، حتى صار مثالاً في العهد الجديد: "**ها نحن نُطوِّب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيوب، ورأيتم عاقبة الرب**" (يع ٥: ١١). **والرسول بولس** تضرَّع كثيراً من أجل "شوكة في الجسد"، ولكن طُلِبَ إليه أن يحتملها، وسمع رسالة لكل مَن يجتازون مثل ضيقته: "**تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكْمَل**" (٢كو ١٢: ٩).

ويتصل بالمعنى السابق أيضاً احتمال رفيق الحياة أو القريب (شيخاً أو شاباً أو طفلاً) المريض أو المُعاق أو ضعيف أو فاقد العقل أو المنحرف. وبعض هذه الآلام أقسى احتمالاً مما لو كانت في الإنسان نفسه. والتعايش معها خاصة لو امتدت طويلاً محنة قد يهون معها الموت. **ولكن استحضار**

شركة الصليب مع المسيح هنا تملأ النفس بروح الطاعة والتسليم "لِمَن يقضي بعدل" (١بط ٢: ٢٣)، والثقة في أن هذه الآلام ليست منسية قدَّام الله، وسيأتي اليوم الذي يُكافأ فيه مَن صبروا إلى المنتهى (مت ٢٤: ١٣).

وبالنسبة للخادم في خدمته، فإنَّ حَمْل الصليب هو بذل نفسه من أجل مخدوميه صلاةً وجَهداً ووقتاً واحتمالاً وصبراً وافتقاراً وملاحقةً للشاردين والمقاومين لإعادتهم إلى الحظيرة، والاهتمام بالبعيد والقريب، والغريب والضيف، والاتضاع حتى إلى غسل الأقدام طاعةً لوصية السيِّد.

الالتزام الثالث: يترك كل ما له

نحن لا نستطيع أن نتبع إلهنا ونحن نحمل معنا أثقالنا: محبتنا لذواتنا وليول جسدنا وللعالم والمال والأشياء. وكان تَرْك **التلاميذ** الأوائل للسفينة الممتلئة بالسمك الكثير وللأهل ليتبعوا يسوع (مت ٤: ٢٠و٢٢، مر ١: ١٨و٢٠، لو ٥: ١١)، وتَرْك **لاوي** لمكان الجباية (مت ٩: ٩، مر ٢: ١٤، لو ٥: ٢٨)، وتَرْك **السامرية** لجرَّتها (يو ٤: ٢٨) رمزاً للتخلِّي عن الماضي الشرير (أو المضاد للإيمان) أي للتوبة وتحوُّل توجُّه الحياة نحو المسيح. فتغيير الحياة شرطٌ واضح لنصير ضمن خاصة الرب أي تلاميذه. والشاب الغني، الذي استكثر أن يتخلَّى عن أمواله ويُوزِّعها على الفقراء[٣]، أخفق أن يتبع الرب (حاملاً الصليب)،

---

(٣) ولكن **مؤمني الكنيسة الأولى** نفَّذوا وصية الرب حرفياً، فباعوا ممتلكاتهم ووضعوا أثمانها عند أرجل الرسل، وهكذا اقتسم الأغنياء أموالهم مع الفقراء، فكانت حياتهم نوراً لكل العالم. **والقديس أنطونيوس** لَمَّا سمع هذه الوصية، باع كل ما كان له ووزع ماله على الفقراء ومضى إلى البرية متخلِّياً عن كل شيء ليتَّحد بالرب، فسطع نوره في العالم كله. **والرهبان** الذين تبعوا رسالته باعوا كل شيء وعاشوا فقراء، ومع المسيح صلبوا أنفسهم طاعةً لوصية الرب، فصارت حياتهم إنجيلاً حيًّا لكل الأجيال.

رغم نيته الطيِّبة، لأنه أحب أمواله أكثر (مت ١٩: ١٦-٢٢، مر ١٠: ١٧-٢٢، لو ١٨: ١٨-٢٣). والقديس **بولس**، عندما تبع يسوع، حَسِبَ موقعه المرموق في الجماعة اليهودية وكل التزامه الناموسي واضطهاده للكنيسة، وهو ما كان له ربحاً وكرامةً، خسارة ونفاية من أجل فضل معرفة الرب وبرِّه وربحه (في ٣: ٤-٨).

والذين يريدون "خدمة السيِّدين" باعتبارها الحل الوسط المريح الذي يتيح لهم إرضاء ذواتهم وتخدير ضمائرهم بالتديُّن الشكلي، هي مرفوضة من قِبَل الرب لأنها حل محكوم عليه بالفشل (مت ٦: ٢٤)، وطريق لا يؤدِّي إلاَّ إلى الضياع. **فامرأة لوط** خرجت من سدوم مع عائلتها، ولكن سدوم ظلَّت في قلبها، وكانت النتيجة وبالاً عليها (تك ١٩: ٢٦). **وبنو إسرائيل**، الذين خرجوا من أرض مصر بذراع رفيعة، ظل اشتياقهم لا إلى أرض الموعد، وإنما إلى أرض العبودية، فبادوا جميعاً في البرية ولم يدخل منهم كنعان إلاَّ اثنان (تث ١: ٣٥-٣٨).

فلنحسب النفقة

لكن يُبيِّن الرب أن الأمر في غاية الجدية، وأن الطريق إليه ذو اتجاه واحد "**ليس أحدٌ يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله**" (لو ٩: ٦٢)، فالنكسة أليمة والرجوع من جديد لن يكون سهلاً. من هنا فقد طلب من كل مَن يتطلَّع إلى تبعيته أن يجلس أولاً ويحسب النفقة، ليس فقط لأن يبدأ بل ليواصل المسير إلى النهاية (لو ١٤: ٢٨-٣٠).

ولكن لنلقِ رجاءنا على النعمة

عندما تكلَّم الرب عن صعوبة دخول المتَّكلين على أموالهم إلى ملكوت الله، وأنَّ

أيسر منه مرور جمل من ثقب إبرة، بُهِتَ التلاميذ جداً قائلين: "إذاً مَن يستطيع أن يخلص"، فقال لهم يسوع: "**هذا عند الناس غير مستطاع، ولكن عند الله كل شيء مستطاع**" (مت ١٩: ٢٣-٢٦، مر ١٠: ٢٣-٢٧، لو ١٨: ٢٤-٢٧). فالمسيح مسئول عمَّن يتبعه، وهو الذي بنعمته يسند إيمانه وجهاده واحتماله وصبره وتوبته وعبادته وخدمته. وبحسب كلماته فنحن بدونه لا نقدر أن نفعل شيئاً (يو ١٥: ٥). ومعلِّمنا بولس يهتف: "**أستطيع كل شيء في المسيح الذي يُقوِّيني**" (في ٤: ١٣). والقديس بطرس يحثُّنا أن نلقي رجاءنا بالتمام على **النعمة** (١بط ١: ١٣). والذين يُنادون باستحالة حياة القداسة وتبعية الله هم صادقون إذا كان الاعتماد في ذلك على الإرادة وحدها وضبط النفس الذاتي، فهذا بالفعل طريق مسدود نهايته الفشل واليأس؛ ولكن المسيح الذي دعانا لنتبعه، هو الذي يمسك بأيدينا ويقودنا في موكب نصرته، وهو إذا كان يقول: "**احملوا نيري عليكم**" (مت ١١: ٢٩) ويصفه أنه هيِّن، فذلك لأنه حالما نقبل بالنية حمل نيره يأتي هو ليحمل العبء كله عنا.

قيمة النفس

الله وهو يُنادينا أن نتبعه، يقصد إنقاذنا من الهلاك: "**لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو ٣: ١٦)، مؤكِّداً أن نفس الإنسان هي أغلى ما له؛ بل هي أغلى من "**العالم كله**" (مت ١٦: ٢٦، مر ٨: ٣٦، لو ٩: ٢٥)، وأنَّ مَن يخسر نفسه يكون قد خسر كل شيء، فماذا عنده ليُقدِّمه "فداء عن نفسه"؟ وهذه الوديعة الثمينة التي خُلِقَت على صورة الله، تستحق إذاً أن يبذل من أجلها كل شيء كي تنجو من الهلاك وتنال نصيبها في المجد الأبدي.

في الإنجيل، كما كتبه القديس لوقا، يأتي حديث المسيح عن تبعيته وحَمْل

صليبه بعد مثلٍ سرده الرب، وهو على عشاء في بيت أحد رؤساء الفرِّيسيين (لو ١٤: ١٦-٢٤). والمثل يحكي عن عشاء عظيم ومدعوين يستعفون من المجيء: هذا اشترى حقلاً، وذاك اشترى أبقاراً، وذاك تزوج؛ فيغضب رب البيت ويطلب إلى عبده أن يدعو المساكين وأصحاب العاهات من الشوارع والأزقة حتى يمتلئ بيته؛ أما الذين رفضوا الدعوة فحرمهم أن يذوقوا عشاءه. وبعد أن خرج الرب من البيت إلى الطريق قال للجموع السائرين معه شروطه عن تبعيته. **فالذين يُقبِلون إليه ويحملون صليبه تائبين سيكونون ضيوف عشاء عُرس الخروف** (رؤ ١٩: ٩)، **ويتمجَّدون مع الرب في يوم مجيئه: "إن كنا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه"** (رو ٨: ١٧)؛ أما المتثاقلون والمعتذرون والمترفِّعون عن حَمْل عاره (عب ١٣: ١٣) والغارقون في اللهو والهموم وغرور الغِنَى والمتمسِّكون باستقلالهم عن الرب، فلا نصيب لهم.

هذه هي دعوة الله، وهذه هي شروط تبعيته: "والسامعون يحيون" .

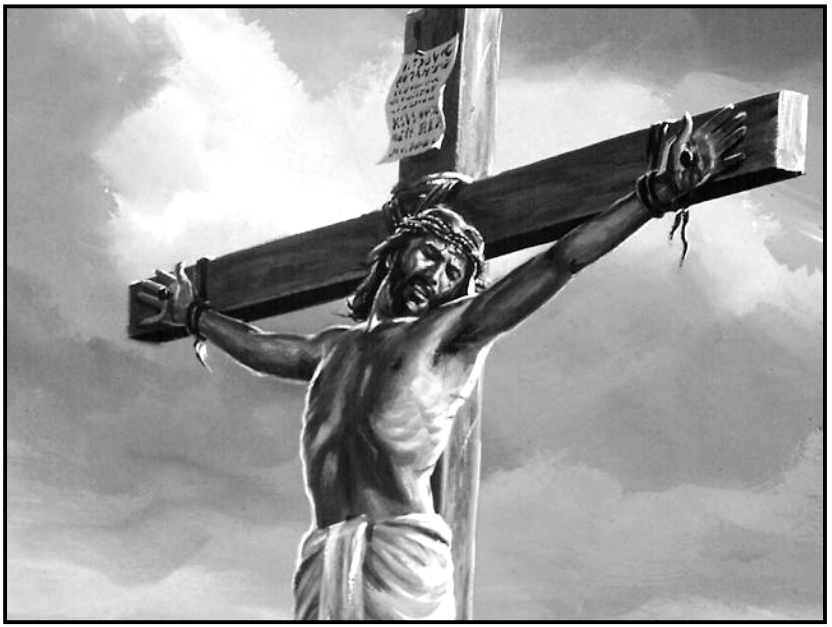

" وأكمّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة"
(كو ١:٢٤)

بذل الذات★

يُقصد **ببذل الذات** (أو إيهاب النفس لله) أن يُسلِّم المؤمن لله، بكل وعيه وإرادته، حياته كلها: أي الجسد والنفس، بكل طاعة وثقة، ودون خوف أو شك؛ كي يقودها الله ويوجِّهها حسب مشيئته الصالحة المرضية الكاملة (رو ١٢: ٢)، أو حسب تعبير معلِّمنا بطرس الرسول: "**يستودع نفسه كما لخالقٍ أمين في عمل الخير**" (١بط ٤: ١٩). فتنسحب المشيئة خاضعة وتتوارى الذات، ويحتل الله الكيان، وتصير النفس عرشاً للرب، وشعارها الطِّلْبَة التي علَّمنا إيـــَّاها الرب: "**لتكن مشيئتك**" (مت ٦: ١٠، لو ١١: ٢).

وتسليم الحياة بهذا المعنى لا يمكن أن يكون أمراً عارضاً يأتي ويذهب، وإنما هو موقف ثابت حملت النفس إليه – في نهاية المطاف – اختبارات الحياة، وينعكس على الحياة اليومية ومواقفها، ويُمتحن في التجارب والشدائد والآلام

★ استعرنا عنوان هذا المقال من عنوان كتاب روحي معروف صدر أوائل القرن الماضي بالفرنـــسية Le Don de Soi للكاهن البلجيكي الاب جوزيف شريفرز Fr. Joe Schryvers . وقـــد نـــشر الكتاب في لبنان مترجماً إلى العربية لأول مرة سنة ١٩٦١، و انتفع به كثيرون في مصر و المنطقة العربية.

والأمراض واقتراب الموت.

وفي حياتنا اليومية توجد أمثلة لتسليم الحياة لآخر. فالطفل الصغير وهو يمسك بيد أبيه (أو أُمه) الذي يَعْبُر به الطريق، يستسلم له تماماً مطمئناً غير خائف، فقد وضع ثقته في أبيه الذي لا يشكُّ في محبته ورعايته وقدرته. فإذا كان الوالدان لا يمكن أن يدعا ابنهما للخطر، فالله بالأَوْلَى. وها هي كلمات الكتاب المقدس تعبِّر عن عِظَم محبة الله للنفس بما لا يُقاس: **"هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء يَنْسَيْنَ، وأنا لا أنساك. هوذا على كفَّيَّ نقشتُك"** (إش ٤٩: ١٥و١٦). فإذا كانت محبة الله بهذا المقدار، فالمطلوب أن نُسلِّم له حياتنا كأننا أطفال.

ولكن حياة التسليم، مع هذا، ليست رخصة للتوقُّف عن ممارسة السهر والعبادة وطلب المعونة، أو الكفّ عن التفكير، أو التخلِّي عن العمل أو أداء الواجب أو بذل الجهد بكل أمانة، كأنما هي دعوة للتواكل والكسل والتهرُّب من الجهاد وممارسة الحياة، أو اتجاه يدفع إليه اليأس والضعف وقلة الحيلة؛ لكن المؤمن المتكل على الله يؤدي ما عليه طائعاً: يُلقي الشِّبَاك (لو ٥: ٤)، ويذهب إلى سلوام (يو ٩: ٧)، ويرفع الحجر (يو ١١: ٤١) (وهو ما أوجب الرب أن يفعله المؤمنون الذين صنع معهم معجزاته)، ويُقدِّم ما لديه من إمكانيات ومواهب (ولو كانت فلسين – لو ٢١: ٢)، أو خمس خبزات وسمكتين (مت ١٤: ١٧، مر ٦: ٣٨، لو ٩: ١٣، يو ٦: ٩)، أو قليل من الدقيق والزيت (١مل ١٧: ١٢)، ويسأل الله أن يستخدمها لمجد اسمه، يفتح الأبواب أو يغلقها (رؤ ٣: ٧).

الذين سلَّموا حياتهم لله

ونحن لو استعرضنا حياة بعض أبطال الكتاب المقدس يزداد فهمنا لمعنى التسليم. وبين رجال العهد القديم يبرز **إبراهيم** الذي خرج من بيت أبيه وهو لا يعلم إلى أين يذهب، طاعةً لأمر الرب (تك ١٢: ١، عب ١١: ٨)، كما لم يُقاوم

تقديم إسحق وحيده وابن المواعيد محرقةً: "**إذ حَسِبَ أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً**" (تك ٢٢: ٢، عب ١١: ١٧-١٩).

+ **ويعقوب** الهارب من وجه أخيه عيسو، ينام مطمئناً في البرية في حِمَى الله، ويتمتع بحلم يمتدُّ فيه سُلَّم إلى السماء والملائكة تصعد عليه وتنزل. فلما استيقظ قال: "**ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلاَّ بيت الله، وهذا باب السماء**" ودعا ذلك المكان بيت إيل (تك ٢٨: ١٠-٢٢). فحيث يكون الله ينقشع الخوف ويغرب.

+ **ويوسف** لا يرى إخوته وراء تغرُّبه وآلامه، وإنما يرى خطة الله صانع الخيرات: "**ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا، بل الله... أنتم قصدتم لي شراً، أما الله فقصد به خيراً**" (تك ٤٥: ٨؛ ٥٠: ٢٠).

+ **وموسى** لم يُفكِّر كثيراً في عواقب عصيانه للملك، وقيادة الشعب من أجل الحرية والخروج من مصر، فهو فقط ينفِّذ أمر الله الذي أسلم له قياده: "بالإيمان ترك مصر غير خائفٍ من غضب الملك، **لأنه تشدَّد، كأنه يرى مَن لا يُرَى**" (عب ١١: ٢٧).

+ **وأيوب** في كل معاناته ظل مُستسلماً لله مُبارِكاً اسمه: "**الرب أعطى، والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركاً**" (أي ١: ٢١).

+ **وداود** في تسليمه لله يقول: "**صَمَتُّ، لا أفتح فمي، لأنك أنت فعلتَ**" (مز ٣٩: ٩). وكثيرٌ من مزاميره تبدأ بهذه الكلمات: "**عليك توكَّلتُ**" (مز ٧؛ ١١؛ ١٦؛ ٢٥؛ ٢٦؛ ٣١)، و التي تتردد كثيراً في غيرها.

+ **ودانيال** مستنداً إلى إلهه الذي سلَّمه حياته، نزل إلى الجُبِّ مطمئناً إلى الله الذي "**أرسل ملاكه وسدَّ أفواه الأسود**" (دا ٦: ٢٢).

+ **وتلاميذ الرب** الذين ألقوا كل رجائهم على مخلِّصهم الذي أحبهم حتى الموت، لم يُبالوا بالتهديد أن لا يذكروا اسم يسوع، وكان ردُّهم الصريح: "**نحن لا يمكننا أن لا نتكلَّم بما رأينا وسمعنا**" (أع ٤: ٢٠).

+ **وبولس** المغبوط في لقاء المواجهة الأول مع الرب، وهو في طريقه إلى دمشق مواصلاً اضطهاد الكنيسة، أذعن قائلاً قولته الشهيرة: "**يا رب ماذا تريد أن أفعل**" (أع ٩: ٦). وهو عالمٌ بما سيأتي عليه من شدائد، يقول: "**ولكنني لستُ أحتسبُ لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أُتمِّم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله**" (أع ٢٠: ٢٤).

ويعوزنا الوقت لنذكر مواقف كل **شهداء الإيمان** على مدى العصور، فلم يكن تسليمهم ادِّعاءً أو كلاماً، وإنما شهادة صادقة خُتِمَت بالدم، ومعهم كل متألِّم ومتضايق احتمل آلامه واضطهاده بشكر وبلا دمدمة من أجل المسيح.

لماذا تسليم الذات؟

الناس يُسلِّمون حياتهم للناس الذين يطمئنون إليهم، أو مَن يتوسَّمون فيهم التأثير والقوة، أو يتَّكلون على أموالهم كضمان للمستقبل، أو على قوتهم وصحتهم، أو مراكزهم وسلطانهم، أو على عائلاتهم ونفوذها. ولكن هذا كله غير مضمون، فهو غير دائم ويتغيَّر ويتبدَّد، بل إن العالم كله سيمضي (١يو٢: ١٧).

ولكن الله هو مبدأ كل شيء وهو غايته، وهو المعتني بكل خليقته: بشراً وحيواناً ونباتاً. وتسليم حياتنا له هو المنطق الطبيعي، ذلك أننا مُحاطون بالضعف والنقص والخوف والجهل والتجارب والهموم والأمراض وتقلُّبات الأيام ومفاجآتها، وضمنها الموت الذي لا نعرف متى يأتي إلينا أو إلى غيرنا ممَّن نحب. فنحن في حاجة أن نستودع حياتنا عند مَن يقدر أن يحفظها ويعتني بها

ويحميها، ويترع منها الخوف، ويختار معها ولها، خاصةً في أمور المصير (كالدراسة والعمل والهجرة والتكريس والزواج وغيرها)، ويحارب عنها في معارك الحياة. والله القادر على كل شيء هو المُهيَّأ لهذه المهام كلها وأكثر، فهو الجدير بالثقة لتسليم حياتنا.

كيف نبلغ إلى حياة التسليم؟

أمامنا نموذج **العذراء** التي لم تتعلَّل وسلَّمت حياتها للاختيار الإلهي قائلة: "**هوذا أنا أَمَة الرب. ليكن لي كقولك**" (لو ١: ٣٨) فالتسليم هنا كامل وعلى الفور.

ولكن ربما لا يكون هذا نهج الكثيرين، الذين يبلغون إلى حياة التسليم عَبْرَ رحلة تطول أو تقصر. ففي مسيرتها الروحية، وهي تكتشف عجزها وقصورها ومحدوديتها، فضلاً عن عجز العالم وأدواته وأمواله في أن يهب السلام والطمأنينة، مقابل قوة الله ومحبته وحكمته واهتمامه وصدق مواعيده وتوقه لخلاص جميع الناس (١تي ٢: ٤) ودعوته أن يُريح كل المتعبين والثقيلي الأحمال (مت ١١: ٢٨)؛ تأخذ النفس المؤمنة في التخلِّي عن ذاتها شيئاً فشيئاً لكي تقترب أكثر من مخلِّصها، فتزداد معرفتها به، وتتعمَّق توبتها. ومع الزمن وتراكم الاختبارات تتزايد ثقتها ومحبتها لإلهها، فتتخفَّف من حذرها وتحفُّظها واعتدادها بفكرها واتكالها على إمكانياتها والحياة المحكومة بالتوازنات والأرقام والحسابات والمنطق البشري. وبنمو الشركة والإيمان والتوبة يأتي وقت تُلقي النفس بكل أثقالها وذاتها وهمومها واهتماماتها على القدير. ومنذ هذه اللحظة لا تعود ترتد إلى ذاتها إلا بتجربة العدو.

فتسليم الذات هو خاتمة المطاف في العلاقة الحميمة بين النفس والهها، حيث تذوب النفس في الله ولا يعود لها شيء تملكه. على أن الله قد يسمح بالتعثُّر والانكفاء والضعف لكي يُجرِّد النفس تماماً من تحفُّظها أو بقايا اتكال على

إمكانياتها، ولكي يكمل اتضاعها فتُلقي بالعبء كله على الله. وقد تظل الهموم والمشاغل اليومية لبعض الوقت عائقاً عن تواصُل العلاقة مع الله، إلى أن تفتقدنا النعمة ونرى في كل اهتماماتنا تتميماً للمشيئة الإلهية، وتتحوَّل لحساب الله ومجده.

ومع هذا فنحن لا نقدر وحدنا أن نُسلِّم حياتنا لله. إنها مغامرة عسيرة لا يجرؤ عليها الإنسان بإمكانياته وشكوكه وحرصه وحذره وتحفُّظاته. وملايين الناس تمرُّ بهم مفاجآت الحياة القاسية وتجاربها المُرَّة دون أن تؤدِّي بهم إلى تسليم حياتهم لله، وإنما لقبول واقعي بما يجري، ومواصلة الحياة من جديد (أحياناً في شجاعة جديرة بالتقدير)، أو للتذمُّر وعدم الرضا (كسلوك بني إسرائيل في البرية)، أو لرفض حكمة الله أو عدم اكتشافها، أو الشكّ في وجود إله عادل في هذا الكون. وأسباب ردود الأفعال هذه ليست خافية وتتنوَّع بين الجهل والكبرياء ومحبة الذات والاعتداد بالفكر، والرؤية الجسدية وعدم الإيمان، وحياة الخطية، والحسابات المادية، والاتكال على ذراع البشر، وغيرها. وإذا استمر هؤلاء في رفضهم لله وحجب نفوسهم عنه، فإنهم يفقدون النور ويتخبطون في الظلام، كما يفتقدون السلام، ويتملَّكهم الهمّ والخوف والقلق مهما تظاهروا بغير ذلك. وبتغرُّبهم الإرادي عن الله واتكالهم على ذواتهم، يخضعون للعنة (إر ١٧: ٥)، ونهايتهم المأساوية هي الموت الأبدي.

من هنا فنحن نحتاج إلى عمل إلهي يعبر بنا الخوف المصاحب لهذا الموقف (كمَن يُلقي بنفسه في الماء وهو لا يعرف السباحة)، بما يهبنا شجاعة تسليم حياتنا كمَن يُلقيها إلقاءً في يدي الله. ولعل مشهد بطرس الرسول وهو يطلب من الرب أن يأمره أن يأتي إليه ويسير معه على الماء يُقرِّب الصورة إلينا. ففي البداية انحصرت الثقة في الله السائر على الماء بجوار السفينة، وسار محمولاً على الماء. ولكن لما ارتدَّ إلى واقعه المحاصر بالرياح الشديدة وانفصل عن مصدر اليقين، راح الإيمان وابتدأ يغرق (مت ١٢: ٢٨-٣٠).

من تلك الساعة يصير الاتضاع والاتكال الكامل على الله عادةً وجزءاً أصيلاً من الحياة الروحية، تمارسه النفس المستسلمة منذ أن تبدأ يومها وحتى ينتهي، سائلة إرادة الله في كل فعل وفكر: في أمور البيت والدراسة والعمل، عند قراءة الكلمة وممارسة العبادة، في التوبة، في الخدمة؛ مع طلب مؤازرة الروح من أجل محبة الآخرين، ومداومة الشكر والاكتفاء، ورفض الانحراف والدعوات الشريرة، وسحق الاعتداد بالذات حتى في المجال الروحي، لأن هذا يُعطِّل نمو حياة التسليم ويقود إلى السقوط في فخ العدو.

على أن الاختبار الحقيقي لصدق تسليم الحياة لله هو سلوك النفس في التجارب خاصة العنيف منها. فهي في **المرض الشديد** لا تضيق به ولا تتبرم ولا تخشى المضاعفات ولا ينفد صبرها عندما تطول فترته، بل تشكر ولا يهتزُّ يقينها في محبة الله لحظة، وتراه تزكية عظمى أن تشارك الرب بعض آلامه وأن تحمل معه صليبه وتبشر به. وإذا استدعى الأمر **جراحة خطيرة** مثلاً فهي تتهيَّأ للانطلاق كأنها الساعة الأخيرة، فإذا جاء الشفاء وامتد العمر اعتبرته فرصة جديدة أتاحتها النعمة كي تنسى ما هو وراء وتمتد إلى ما هو قدَّام (في ٣: ٢٣)، وتكتسب اختبارات أفضل، ولكن لا تطرح عنها أبداً استعدادها **للموت** كل لحظة، وأنه لا شيء أعظم من أن تستوطن فوق وتكون مع المسيح **"ذاك أفضل جداً"** (في ١: ٢٣).

إن تسليم حياتنا لله هو شهادة لإيماننا وإعلان حيويته وانتصاره، فبعد التأرجح بين الشك واليقين يجيء الوقت لممارسة حقيقية للإيمان بإنكار الذات والسلوك بالاتضاع وتبعية المخلِّص (مت ١٦: ٢٤، مر ٨: ٣٤).

وفي الحقيقة إننا نسلِّم حياتنا من أجلنا نحن وليس من أجل الله. فهو لا يحتاج

إلينا ولا إلى حبنا وعبادتنا. وبينما الملحدون يرون الله طاغية مستبداً يريد أن يستولي على الإنسان، فإن المؤمنين إذ يدركون حب الله الذي أحدره إلى الجلجثة يرون في تسليم حياتهم ضمان قيادة الله لكل مسيرتهم، ومشاركته لهم مصاعب الحياة وآلامها، والدفاع عنهم ضد هجمات العدو "... **لكن من جميعها يُنجيهم الرب**" (مز ٣٤: ١٩). وإذ يتخلص إيمانهم من الشوائب والمعوقات يثقون "**أن كل الأشياء تعمل معاً للخير**" (رو ٨: ٢٨)، وهكذا يختبرون السلام وسط المعارك، والفرح وسط الآلام. وستظل أعظم الهبات التي ينالونها هي خلاصهم الأبدي: "**وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يُطيعونه، سبب خلاصٍ أبدي**" (عب ٥: ٩).

وهذا هو صوت الله لمن سلَّموا له حياتهم: "**لأنه تعلَّق بي أُنَجِّيه. أُرَفِّعُه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الضيق. أُنقذه وأُمجِّده. من طول الأيام أُشبعه، وأُريه خلاصي**" (مز ٩١: ١٤-١٦).

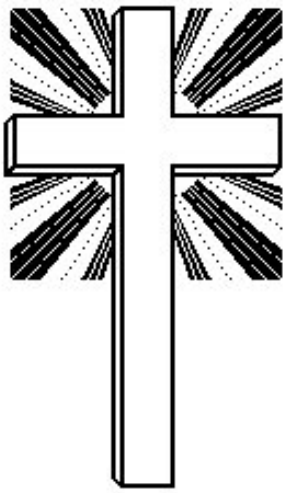

التزامات الإيمان

+ تدقيق الحكماء

+ النمو ضرورة إيمانية

+ قضية الغفران

+ الموضع الأخير

+ كيف نطلب وكيف يستجيب ؟

+ هل تختلف آلام المؤمنين ؟

+ مواقف لاختبار الإيمان

تدقيق الحكماء

يطالب معملنا **بولس** أعضاء كنيسة أفسس، ومعهم كل المؤمنين إلى نهاية الأيام، أن "انظروا كيف تسلكون **بالتدقيق**، لا كجهلاء بل **كحكماء**، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة" (أف ٥ : ١٥).

والقديس بولس فى هذا لا يستحدث تعليماً فى الحياة المسيحية كما جاءت فى الأناجيل. فالتدقيق والحرص والتروّى والحذر والسهر كلها جوانب أساسية فى تعاليم السيد التى امتدت فى رسائل الرسل.

أولاً : السلوك بالتدقيق اتجاه مسيحى أصيل

(١) فالرب يدعونا إلى حياة الكمال والقداسة تشبهاً به :

"فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت ٥ : ٤٨)؛

"فتكونون قديسين لأنى أنا قدوس" (لا ١١: ٤٥، ٢٠ : ٢٦).

والقديس بطرس يؤكد على وصية الرب قائلاً "**نظير القدوس الذى دعاكم كونوا**

أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة" (١بط١: ١٥).

ومعلمنا **بولس** يخاطب أعضاء الكنيسة فى رومية وكورنثوس وأفسس وكولوسى كقديسين (رو ١ : ٧، ١كو ١ : ٢، أف ١ : ٤، كو١ : ٢٢).

وحياة الكمال تستوعب الكليات والجزئيات، الخطوط والتفاصيل الصغيرة، واللوحة الرائعة عالية القيمة هى تلك التى تكاملت حتى فى أدق أجزائها. وإتقان العمل تشى به اللمسات الصغيرة النهائية. **والشهادة على كمال سلوك المؤمن هى فى التزامه المسيحى فى أدق التصرفات التى يغفل عنها غير الثابتين والكسالى والمستهزئين.**

(٢) **والرب ينبه إلى محاصرة الخطايا فى مهدها،** فإذا لم يسمح الإنسان للخطية أن تنبت فى فكره فقد منع ثمارها المُرة أن تظهر إلى الوجود. فخطية القتل هى ابنة الغضب، والزنا يتداعى من نظرة الشهوة وهكذا، كما علّم الرب فى موعظته على الجبل (مت ٥ : ٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨).

ويؤكد الكتاب هذا التعليم عندما يحذر منذ القديم من "**الثعالب الصغار المفسدة الكروم**" (نش ٢ : ١٥). وفى نفس المجال يقول معلمنا **يعقوب** إن **"كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم أن الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً"** (يع ١ : ١٤، ١٥).

وحتى حكمة هذا العالم تقول [**إن معظم النار من مستصغر الشرر**] فالانتباه إلى مصدر الدخان أو الحرارة يُنقذ من الحريق الكبير وبالمثل **فالذى يدقق فى الأمور حتى أصغر صورها يتفادى السقوط فى التجارب الكبيرة.**

(٣) **إن الحياة المسيحية هى حياة شاملة** بمعنى أنها لا تعرف شركة النور والظلمة، والبرّ مع الإثم (ولا الحسنات مع السيئات).. فالخطية عارضة والتوبة تنتزعها والنفس تنال الغفران، ومن هنا فالنفس البارة التائبة لا تعرف احتضان خطية (أو خطايا) ما وإخفاءها فى أركان القلب، والكتاب ينبّه أن

"من حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة فقد صار مجرماً فى الكل" (يع٢: ١٠). **من الطبيعى إذاً أن يصير التدقيق فى كل شئ هو نهج المؤمن الحقيقى.**

(٤) إذا كان من التزامات المؤمن **أن يكون قدوة للآخرين** فى الكلام والتصرف والإيمان والطهارة والأعمال الحسنة عموماً (١تى ٤ : ١٢، تى ٢ : ٧) فسيتعّين عليه أن ينتبه لكل تصرف كبر أم صغر، كى يبقى للعالم نوراً وللأرض ملحاً، ولئلا يكون عثرة لأحد بتجاوز الوصية أو بأى عمل يتعثر به الضعفاء (مت ١٨ : ٦ – ٩، مر ٩ : ٤٢، ٤٣، لو ١٧: ١، ٢، ١كو ٨ : ١٣).

(٥) يتناغم أيضاً اتجاه التدقيق فى السلوك مع جوانب هامة فى الحياة المسيحية مثل **ثبات الإيمان** الذى يتنافى والتأرجح والعرج بين الفرقتين (١مل١٨ : ٢١، يع ١ : ٨)، **والسهر والاستعداد** الدائمين (مت ٢٥)، **والمداومة على النمو** فى النعمة وفى معرفة المسيح (٢بط٣ : ١٨)، **والدخول من الباب الضيق** (مت ٧ : ١٣)، **وعدم النظر إلى الوراء** (لو٩ : ١٠)، **والجهاد** الصارم كجنود صالحين فى جيش الخلاص (٢تى ٢ : ٣ – ٥).

ثانياً : مجالات التدقيق

التدقيق الذى يدعونا الكتاب إليه لابد أن يشمل كل أركان الحياة وكل ألوان النشاط الروحى والجسدى، فلا تكون هناك ثغرة يتسلل منها العدو. وقد يكون عسيراً أن نحصر كل مجالات التدقيق وسوف نقصر الحديث على أهمها :

(١) العبادة والخدمة

يفترض التدقيق أن تكون **العبادة** من القلب لا من الشفاه (مت١٥ : ٢٨، مر٧ : ٦)، وأن تتفادى المظهرية والرياء وإرضاء الآخرين (مت ٦ : ٥، ١٨). وفى **الصلاة وقراءة الكلمة والتناول** تشعر النفس بحضور الله ويحصرها الخشوع فتهيم فى السماويات. ومن المهم أن يُحسن المؤمن المتعلم قراءة كل كلمة من

كلمات الكتاب بحيث يفهم مقاصد الوحى، ولا يصح أن يقرأ دون عناية أو تركيز فهذه إهانة لكلمة الله الجديرة دوماً بالتوقير والاحترام. وبعض الأتقياء يقرأ الكتاب ساجداً من فرط الخشوع. وفى **العطاء** يجاهد المؤمن كى يتجاوز الحسابات الضيقة وأن يكون سخياً فيما يعطى واثقاً فى غنى من يقدم له ومؤمناً أن **"من يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد"** (٢كو ٩ : ٦).

وفى مجال **الخدمة** يسلك الخادم مع إخوته بروح الاتضاع، خاضعاً للمسئول من القلب بروح الطاعة للمسيح، غير ساع للمكان الأول، رافضاً للخصام والتحزب والشقاق، راعياً لوحدة الفكر فى المسيح (١كو ٢ : ١٦) مهما كانت التضحيات، رحيماً بإخوته الذين يجربهم الشيطان ساعياً لإنقاذهم بروح الوداعة (غل ٦ : ١).

(٢) الحواس

(أ) النظر والسمع

النظر والسمع نافذتان مفتوحتان علي العالم. وكما يحدث فى الموانىء البرية والبحرية والجوية من فحص الداخلين إلى البلاد لضمان السلامة والأمن، **فلابد من التحفظ فيما نرى ونسمع**. والرب يرى **العين** سراج الجسد أى تكون مصدراً للمعرفة والنمو والتأمل والتواصل والتمتع الخيّر **"فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيّراً وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً. فإن كان النور الذى فيك ظلاما، فالظلام كم يكون"** (مت ٦ : ٢٢، ٢٣، لو ١١ : ٣٤، ٣٥). ولنذكر أن الخطية الأولى دخلت إلى العالم من خلال نظرة حواء إلى الشجرة فوجدتها بهجة للعيون وشهية للنظر (تك ٣ : ٦).

وقد حذّر الرب من نظرة الشهوة الجسدية قائلاً **"إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه"** (مت ٥ : ٢٨). فالانتباه إلى هذه الخطوة الأولى، أى الانزلاق إلى الشهوة من خلال النظر، كفيل بالنجاة من السقوط فى أسر الزنا فكراً وفعلاً، وهو ما يلوث الكيان ويقود إلى رذائل أخرى تورث الهلاك.

ونظرة واحدة غير متحفظة من صاحب المزامير، النبى والملك (٢صم١١ : ٢)، أحدرته إلى هوة عظيمة وأبكته دهراً "**أعوّم فى كل ليلة سريرى بدموعى أذوّب فراشى**" (مز٦ :٦).

والقديس بولس يحذر المؤمنين صغاراً وكباراً أن "**اهربوا من الزنا. كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد لكن الذى يزنى يخطئ إلى جسده**" (١كو٦:١٨). وقد تنوعت الآن وسائل إثارة العين والفكر وصارت عند أطراف الأصابع وفى المخادع، وهذا يتطلب رفع درجة الانتباه والتحفظ.

وبنفس المقدار فإن **الآذان** المُستباحة (والمستبيحة طبعاً) هى أبواب للخطر، والنفس المؤمنة منتبهة إلى ما لا يليق أن تسمع، فتتوقف أو تتجاهل أو ترفض، كى تنجو من الظلام والتعثر. وهى بالطبع لا يليق بها أن تتنصت أو تتجسس فهذا ينافى قداسة الجسد "**أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو**" (١كو٣ : ١٦- ١٧). كما يطالب الكتاب كل واحد أن "**احفظ نفسك طاهراً**" (١تى ٥ : ٢٢).

(ب) الكلام

ربما كان **اللسان** من أخطر الأعضاء فى مجال التدقيق، بالنظر إلى أهمية عمله، حتى أن معلمنا **يعقوب** يفرد جزءاً كبيراً من رسالته القصيرة للحديث عن اللسان، وفيه يشبّه اللسان بالدفة الصغيرة التى تتحكم فى حركة السفن العظيمة أمام الرياح العاصفة، وكما نستطيع بوضع اللُجُم فى أفواه الخيل أن نتحكّم فى اندفاعها، هكذا فإن نجاحنا فى ضبط اللسان يبشّر بإمكاننا السيطرة على كل الأعمال. وعلى ذلك "**إن كان أحد لا يعثر فى الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً**" (يع٣ : ٢)، وبنفس القياس "**إن كان أحد فيكم يظن أنه دينّ وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة**" (يع ١ : ٢٦).

فاللسان أداة طيّعة لإرادتنا "**به نبارك الله وبه نلعن الناس**" (يع ٣: ٩). فإذا تقدس اللسان (أى تقدس الفكر والإرادة) لم يعط إلا ثمراً جيداً وصار ينبوعاً عذباً لا يعرف المرارة. والرب ينبه الجميع "**لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان**" (مت ١٢ : ٢٧).

ومعلمنا **بولس** يخاطبنا قائلاً "**لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة**" (أف ٤ : ٢٩). وأيضاً "**ليكن كلامكم كل حين مصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد**" (كو ٤ : ٦). ويحدثنا معلمنا **يعقوب** عن التروى وعدم الاندفاع فى الكلام بما يصاحبه من احتمال الخطأ فيكتب "**ليكن كل إنسان مسرعاً فى الاستماع مبطئاً فى التكلم مبطئاً فى الغضب لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله**" (يع ١ : ١٩، ٢٠).

يستحق الأمر إذاً أن ينتبه كل مؤمن لكل ما يخرج من فمه، وأن يحرص على طهارة فكره وقلبه، الذى من فضلته يتكلم الفم (مت ١٢ : ٣٤، لو ٦ : ٤٥). ومكتوب فى الأمثال "**فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة**" (أم٤ : ٢٣).

وقد نهت كلمة الله عن **الكذب** (كو ٣ : ٩) الذى يكرهه الرب (أم ٨ : ٧، ١٢: ٢٢). وبينما يوصف الله بالصدق "**ليكن الله صادقاً**" (رو٣ : ٤) يوصف الشيطان بأنه "كذاب وأبو الكذاب" (يو ٨ : ٤٤)، ويشمل الكذب كل ما ينافى الصدق مثل الخبث والالتواء والتلاعب بالألفاظ وإخفاء الحقائق وما إلى ذلك.

كما نهى الرب عن **القسم** (مت ٥ : ٣٥ – ٣٧) وعن **الإدانة** (مت٧ : ١– ٥)، ونهى الكتاب عن **الكلام الباطل والردئ والقبيح والشتيمة والسفاهة** (مت٥: ٢٢، أف ٤ : ٢٩، ٥ : ٤، كو ٣ : ٥)، ويندرج تحته كلام **الغضب** والاغتياب والنميمة والإهانة المتعمدة وجرح المشاعر وتشويه السمعة (الذى يقترب أحياناً من القتل فيما يسمونه اغتيال الشخصية)، والمواجهات القبيحة والسخرية القاسية، والتحقير، والتهييج والإثارة (بما فيها الإثارة الجنسية)

والإيقاع بين الناس، وسوء النية، وإفشاء الأسرار، والحنث بالوعود، والمزاح غير المنضبط (ولا ننسى أن مزاح إسماعيل مع اسحق الأخ الأصغر لم يُرق لسارة وعجّل بانفصاله هو وأمه عن عائلته (تك٢١:٩، غل ٤ : ٢٩). وحتى الكلام فارغ المضمون المرسل بلا هدف هو إهدار لهبة إلهية فقدت اتجاهها الصحيح.. إلى آخر هذه القائمة المظلمة من أخطاء الكلام التى لا تنتهى، ومن جميعها ينبغى التحفظ. وإن انسبق أحد فى زلة منها، ففى الرجوع النادم والسريع إلى الله مع الاعتذار لمن أُسئ إليه طريق النجاة من أن يتعود اللسان على هذه القباحات التى تلوث النفس وتعطل عشرة الله.

(٣) المـــال

كيفية التعامل مع المال مؤشر دقيق على درجة الإيمان. والمؤمن الحقيقى يستخدم المال عبداً له ولا يمكن أن يترلق لخدمته والتدقيق مطلوب لئلا تلجئ الحاجة المؤمن إلى ارتفاع قيمة المال فى عينيه، أو يغريه التطلع إلى رفاهية الحياة للانشغال عن الله بجمع المال والضنّ به على خدمة الله والقريب. وكلمة الرب حاسمة "**لا تكتروا.. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال**"(مت ٦ : ١٩، ٢٤، لو١٦: ١٣). ومعلمنا **بولس** يوصى "**لتكن سيرتكم خالية من محبة المال**" (عب١٣: ٥) "**أما التقوى مع القناعة فهى تجارة عظيمة.. فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما.. لأن محبة المال أصل لكل الشرور**" (١تى٦: ٦، ٨، ١٠).

(٤) السلوك والعلاقات مع الآخرين

هذا مجال متسع يصعب حصره وتناول كل جوانبه. ولكن ينير لنا الطريق هنا القانون الكتابى المثلث "**كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق. كل الأشياء تحل لى ولكن لا يتسلط على شئ. كل الأشياء تحل لى ولكن ليس كل الأشياء تبنى**" (١كو ٥: ١٢، ١٠: ٢٣). وهكذا يمكن امتحان كل تصرف حتى الذى ليس شراً فى ذاته.

وبصورة عامة فإن على المؤمن أن يسلك برزانة وتعقل، محتفظاً بهدوئه الداخلى فيضمن سلامة منطقه ولا يتزلق إلى المهاترة، وأن يكون ملتزماً بوعوده ومواعيده بكل دقة، صريحاً واضحاً لا يعرف أن يظهر غير ما يبطن، وألا يغالى فى المرح والضحك والمزاح وإطلاق النكات ملتزماً فى هذا كله، ظاهراً وباطناً، بالأدب المسيحى، وجاعلا لهذا حداً لا يتجاوزه كى لا تفتر الروح.

(أ) وداخل **العائلة**، فالوالدان والإخوة الكبار هم النموذج للصغار، وعليهم عدم إهمال العبادة مع التدقيق فى كل تصرف وكلمة ، داخل البيت وخارجه، لتكون بروح المحبة والأدب المسيحى، وأن يضبطوا أنفسهم وقت الغضب لئلا تُجرح المحبة واضعين حدوداً للخلاف، ومسرعين إلى حفظ وحدانية الروح بالغفران المتبادل وطرح ما جرى دون العودة إليه.

(ب) وفى مجال **المظهر** يأتى التدقيق فى الملبس والزينة وهما يتطلبان الحشمة المسيحية من الرجال والنساء (وخاصة بالنسبة للفتيات والسيدات مع ما يعرض عليهن من ألوان الموضات الوافدة وبعضها يشين العفة)، وهنا يوصى معلمنا **بطرس** النساء "**لا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب، بل إنسان القلب الخفى فى العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادئ الذى هو قدام الله كثير الثمن**" (١بط٣: ٣، ٤). وعلى أولاد وبنات الله أن يحرصوا على عفة مظهرهم وتقديس أجسادهم خاصة فى ساعات الفرح التى لا يليق فيها التشبه بأهل العالم وإنما أن يشهدوا خلالها بأصالة إيمانهم. وكثيراً ما نبه **القديس بولس** إلى هذا "**لا تشاكلوا هذا الدهر**" (رو ١٢ : ٢) **كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق**" (١كو ٥ : ١٢).

(ج) **وفى المجال الاجتماعى** يحرص المسيحى على هويته الإيمانية خاصة فى الحفلات التى كثيراً ما يتحلل البعض خلالها من "القيود"، ولكن هذه بالنسبة للمؤمن هى الإطار الذى لا يستطيع تجاوزه. فلا مجال هناك لكل ما هو معثر حتى

ولو لم يكن شراً فى ذاته. وما يحدث بعد صلاة الإكليل من حفل صاخب فى أحد الفنادق تغيب فيه الهوية المسيحية وتنتعش فيه شهوات الجسد هو ما لا يليق أن يتزلق إليه أى مؤمن أو مؤمنة يتبعون طريق المسيح، وعلى العكس فإن على المسيحى الحقيقى فى مثل هذه المناسبات أن يشهد على استقامة إيمانه ورفضه أن يسبح فى التيار السائد.

(د) وفى مجال **الأصدقاء** فعلى المسيحى أن يدقق فى اختيارهم، ولا يقبل أن يكون تحت نير مع الأشرار (٢كو ٦ : ١٤)، وإن كان هذا لا يمنع أن يسعى لخلاصهم دون أن يشاركهم شرهم. كما أن قلبه مفتوح للجميع خادماً لهم ومشاركاً إياهم الفرح والحزن. وهو يصلى إلى الله كى يجنبه الانزلاق إلى التعصّب ليظل محباً لمن يختلفون عنه فى الإيمان مستعداً لمجاوبة كل من يسأله عن سبب الرجاء الذى فيه (١بط ٣ : ١٥)، وألا يكون تمسكه بإيمانه سبباً ليكون طائفياً نافراً أو كارهاً غيره من المسيحيين الذين ينتمون إلى كنائس أخرى.

(هـ) **وفى التعامل مع الجنس الآخر** ينبغى أن تسود الرزانة والاحترام، فلا يليق رفع الكلفة والتجاوز فى الكلام والمرح واللمس بما يجرح العفة ويثير الجسد. والأفضل التعاملات الجماعية والتوقف عن التعامل مع الآخر الذى يتعمد الانزلاق إلى نواحى الإثارة. **ويوسف** فى هذا كان مثلاً.. فلما لمس الميل الردئ فى امرأة سيده فرّ من المكان غير مبالٍ بما قد يأتى عليه، ولم يندم على دخول السجن لهذا السبب. ففى البداية والنهاية **ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس** (أع ٥ : ٢٩) كما أنه يستحيل إرضاء الله والناس (غير المؤمنين) (غل١: ١٠) **فاهتمام الجسد ومحبة العالم هما عداوة لله** (رو٨ : ٧، يع٤ : ٤).

(و) وفى مجال **العمل** يحرص المؤمن ألا يهدر ساعات العمل فى غير العمل الذى يتكسّب منه، باذلاً جهده لينجح ويرتقى ممجّداً إلهه، وهو يمارس فى عمله الدقة والإتقان والأمانة، فلا تمتد يده إلى ما لا يملكه قلّ أو كثر، ولا يسمح

للفساد السائد فى أوساط العمل أن يتسلل إليه. فهو سفير المسيح الذى لا يسمح أن يشوه صورته، وهو فى عمله يبشّر بحياة خلصت من الفساد الذى فى العالم (٢بط ١ : ٤).

(ى) وفى مجال **الوقت** يعرف المؤمن أن الحياة مهما طالت فهى قصيرة، وأن الوقت وزنة ثمينة الذى يمر منه لن يعود، وأن عليه أن يستثمر كل حياته فى خدمة إلهه وتنفيذ القليل المتاح للحياة بالعبادة الصادقة، والخدمة الباذلة، ومحبة الإخوة، والعمل الدءوب المخلص.

أما الذين لا يدركون محدودية الزمن ولا يجدون له استثماراً فى غير الشهوة وجمع المال – مثل الغنى الغبى (لو ١٢ : ١٦ – ٢١)، فالزمن يكشر لهم عن أنيابه، والأيام الشريرة تلاحقهم، وفى النهاية يأتى الموت كى يحبط أحلامهم "فهذه التى أعددتها لمن تكون" (لو ١٢ : ٢٠).

ثالثاً: السبيل إلى حياة التدقيق

رغم أن المجال لم يتسع لتناول كل جوانب حياة التدقيق، فما عرضناه على إيجازه يبدو للإنسان الطبيعى عسير التنفيذ ويتطلب جهداً فائقاً وانتباهاً وتركيزاً كل ساعات اليوم وهو ما يتجاوز قدرات الإنسان.. **وهذا صحيح**.

فهذه الحياة المدققة فى كل صغيرة وكبيرة رغم المصاعب والعقبات والمحاربات هى حياة مستحيلة بدون **حضور المسيح ونعمة الروح القدس**. هذا هو حجر الزاوية والضمان الأول لإمكان ممارسة حياة مسيحية إنجيلية تمجد الله وتنشر رائحته فى الوجود. وفى آذاننا يرن صوت الرب، **"بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً"** (يو١٥: ٥). فالرب يمد يده إلينا، ونحن بدورنا نردد "**اعبر إلينا وأعنا**" (أع١٦: ٩) وهو حاضر ومستعد، ورفيقنا فى كل المواقف. ويقيننا بحضوره فى الحياة وتمتعنا بعمل نعمته يلهمنا حسن التصرف بما يرضى صلاحه.

مع مساندة النعمة، ترشدنا كلمة الله إلى بعض الجوانب التى تحقق ممارسة حياة مسيحية ناجحة فى خطوطها العريضة وفى أصغر دقائقها، دون أن يبدو ذلك جهداً بشرياً مرهقاً، وإنما سلوكاً طبيعياً وإفرازاً لحياة مقدسة صارت تميل إلى الروحيات إلى كل ما هو حق وجليل وعادل وطاهر ومُسّر وصيته حسن (فى ٤ : ٨)، وتنفر من الشر والانحراف.

(١) التوبة الدائمة

هذه عنصر أساسى فى إفراز ودعم حياة التدقيق، بما تقتضيه من الفحص الداخلى المستمر للنفس ومحاسبتها فى نور الروح القدس وعلى قياس كلمة الله وما تكشفه من نواحى الضعف وأسباب القصور، مع الرقابة الدقيقة على النفس خاصة فى المواقع الضعيفة فى الفكر والحواس وبقايا الخبرات الخاطئة القديمة، والطلب يومياً فى الصلاة من أجل استئصالها وزوالها بلا رجعة، وعرضها مهما تكررت فى الاعتراف دون خجل، وطلب مشورة المرشدين الروحيين مواجهة، أو من خلال الكلمة المقروءة أو المسموعة.

(٢) تقديس الفكر

إن قداسة الفكر هى الأساس فى قداسة الكلمات وسائر الحواس والسلوك والمشاعر والانفعالات والتحفظ من أفكار الشر والشهوات والطياشة ووأدها **بفكر المسيح** (١كو ٢ : ١٦)، الذى يحرص المؤمن أن يسود العقل، خطوات أساسية فى ضبط الأفعال أيضاً. فالفكر النقى يحفـــظ الحواس مقدسة "**من فضلة القلب يتكلم الفم**" (مت١٢: ٣٤، لو٦ : ٤٥)، والحواس المقدسة تحفظ الفكر منضبطاً سالماً "**إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيّراً**" (مت٦ :٢٢، لو ١١ : ٣٤).

(٣) النمو المستمر فى النعمة

إن التقدم الدائم فى حياة روحية نشطة ووثوق العلاقة مع المسيح المخلص يضمن للنفس ألا تعرف النكوص أو النظر إلى الوراء. وحتى **معلمنا بولس**

الكارز العظيم، وهو مَنْ هو، **يقول "ليس أنى قد نلت أو صرت كاملاً.. لست أحسب نفسى أنى قد أدركت ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام"** (فى ٣ : ١٢، ١٣).

فهذا النمو الدءوب فى ألوان العبادة، والالتزام المستمر بخدمة الله، والتعمق اليومى فى كلمة الله، يطهر النفس من أسباب الضعف ويدعم جوانب القوة وينمى اتجاه التدقيق فى كل أعمال الحياة بحيث يصبح التحكم الإرادى فى كل التصرفات عادة روحية تلقائية **"وأما الطعام القوى فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر"** (عب ٥ : ١٤).

(٤) تجنب العثرات

إن الحرص على عدم إعثار الغير أو أن يعثرنى الآخرون يلزمنى بالتدقيق فيما أرسله أو أستقبله من مؤثرات أو استجابات. وقد نهى الرب عن العثرة، وطاعتى للسيد تلهمنى أن ألتفت إلى كل تصرفاتى خاصة أمام الضعفاء والمبتدئين أو من يتوسّمون فىّ الخير، كما تحفظنى من أن أكون مستبيحاً مستهتراً معرّضاً نفسى دون تحفظ لسهام الآخرين. ولنضع أمامنا القانون المثلث **"كل الأشياء تحل لى ولكن ليس كل الأشياء توافق، أو تبنى، ولا يتسلط على شئ"** (١كو٦: ١٢، ١٠ : ٢٣).

(٥) الاتضاع

إن رذل الثقة بالذات هو قرين الإيمان الحقيقى بالله، والسلوك بالاتضاع وعدم الاعتداد بالنجاح فى التدقيق كأنه نتيجة جهد المؤمن ومهارته يتيح لعمل الروح أن يمتد منتصراً فىّ على جوانب الضعف، ومحققاً النجاح فى الالتزام الدقيق بالوصايا. وعندما وضع **بطرس** ثقته كلها فى الرب الذى كان متجهاً إليه فى البحر المضطرب سار بالفعل على الماء ولكنه لما ارتد إلى ذاته ابتدأ يغرق (مت ١٤: ٢٨ – ٣٠)، فاتضاعنا يضمن لنا مساندة الله فى جهادنا وبالتالى تقدمنا فى العمل الروحى، كما يتيح لنا الاستفادة من كل توجيهات الغير كأنها من الله، والتى يستحيل أن يفيد منها المتكبرون المعتدّون.

(٦) التمثل بالرب وقديسيه

لأن الرب يدرك حاجتنا لنموذج نتمثل به ونتعلم قدّم لنا نفسه "**احملوا نيري عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم**" (مت ١١ : ٢٩)، واستخدم **معلمنا بطرس** نفس المثال "**فإن المسيح أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته**" (١بط ٢ : ٢١). **والقديس بولس** يقدم نفسه كمتمثل بالرب "**كونوا متمثّلين بى كما أنا أيضاً بالمسيح**" (١كو١١: ١). فالذين نجحوا فى تبعية الرب واختبروا النصرة فى سلوكهم الروحى يؤكدون لنا أننا بالنعمة قادرون مثلهم على التمثّل بالرب وقديسيه وشهدائه الذين كملوا فى الإيمان، وبالمتقدمين روحياً فى كل زمان ومكان "**انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثّلوا بإيمانهم**" (عب ١٣ : ٧).

ولقد تبع **بطرس وبولس** طريق الرب وعاشا مثله متجردين، وصار لهما هدف الوجود وبادلاه حباً بحب حتى الموت الأليم، فصاروا لنا كالنجوم الهادية فى ظلمة الحياة، والتى تشجعنا على السير قدماً فى طريق الحياة الأفضل.

رابعاً : كحكماء لا كجهلاء

لم يفت **معلمنا بولس** وهو يطالبنا بالتدقيق فى سلوكنا فى الحياة أن يكون **تدقيق الحكماء** لا الجهلاء (أف ٥ : ١٥).

وإذا كان الرب قد حذّر من التظاهر بالدين، أو الاهتمام بشكلياته دون روحه، فتكون العبادة بالشفاه بينما القلب مبتـــعد (إش ٢٩ : ٢٣، مت ١٥ : ٨)، أو تقديم العبادة من أجل رضى الناس ومديحهم (مت ٦ : ١، ٥، ١٦) أو الحياة المزدوجة الفاشلة (مت ٦ : ٢٤)، فإن هذا الخطر يمكن أن يتهدد نهج التدقيق **كما يمارسه الجهلاء** الذين يهتمون بالقشور ويتغافلون عن أساسيات الإيمان كالتوبة والمحبة. وفى هذا دان الرب الكتبة والفريسيين لأنهم يعشرون النعنع والشبث والكمون وتركوا "**اثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان**" (مت ٢٣ : ٢٣، لو ١١ : ٤٢) "**فالحرف يقتل ولكن الروح يحيى**" (٢كو ٣ : ٦).

فلنتنبه لئلا يكون تدقيقنا مظهرياً أو متكلّفاً أمام الناس لكى ينظروكم (مت ٦ : ١). ولا نبالى عندما نكون وحدنا، أو نكون فى مكان لا يعرفنا فيه أحد. فهذا لا طائل وراءه فعينا الرب تخترقان أستار الظلام "**وليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شئ عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا**" (عب ٤ : ١٣).

كما يمكن أن نبالغ فى التدقيق ونتطرف فيه فيصير مَرضيًّا مقترباً من الوسوسة والشعور بالذنب ولوم النفس لتركيزنا على الأمور الشكلية (لا على روحها) والتى نخفق فيها أحياناً (كما يحدث من البعض بإزاء أطعمة الصيام إذ يظن أن ما أكله عن غير قصد قد يكون مختلطاً بمواد حيوانية، بينما الطعام فى ذاته لا يقدمنا إلى الله (١كو ٨ : ٨)، وإنما هو روح الصوم والتعفف والطهارة وبذل الجسد كذبيحة .

وقد مرت الكنيسة الأولى بأمور تتعلق بالتدقيق مثل الموقف من أكل ما ذبح للأوثان.. فهذه، من ناحية، ذبائح لا تختلف عن غيرها من اللحوم، ولكن بعض المؤمنين كان يتعثر باعتبار أنها مقدمة للأوثان، فهل إن أكل منها يعتبر مشاركاً فى عبادة الأوثان رغم إيمانه. هنا كتب **القديس بولس** بعض المبادئ التى تصلح للتطبيق على ما يشبهها من مواقف :

+ "**طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه وأما الذى يرتاب فإن أكل يُدان لأن ذلك ليس من الإيمان. وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية**" (رو ١٤: ٢٢، ٢٣).

فهنا مبدأ ينادى : لا تعمل عملاً يقبله ضميرك فى البداية ثم تندم عليه توجّساً، فإن أقبلت على ما تتوجس منه تكون قد أخطأت لأنك فى داخلك تشك أنه خطأ ومع هذا تمارسه.

+ "**إن كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم وتريدون أن تذهبوا فكُلّ ما يقدم لكم كُلوا غير فاحصين من أجل الضمير (ليس ضميرك أنت بل ضمير الآخر)**" (١كو١٠ : ٢٧ – ٣١). فهنا مبدأ يقول : **من أجل المحبة** كُل مما يقدم لك من غير المؤمنين دون فحص.. فلا يوجد طعام

نجس فى ذاته (مت١٥ : ١١، مر٧ : ١٥، ١٨، أع١٠ : ١٥، ١١: ٩).

+ ولكنه يعود فيتحفظ قائلاً "**ولكن انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء.. لذلك إن كان طعام يعثر أخى فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أعثر أخى**" (١كو ٨ : ٩، ١٣). والمبدأ هنا : أنه يحد حريتى فى التصرف فى أى أمر أن يكون عثرة لأحد. وكأن **بولس** يضيف هنا إلى ثلاثيته ركناً رابعاً يقول إن "**كل الأشياء تحل لى على ألا تعثر أحداً**".

+ بنفس المقدار فإذا كان التطرف الزائد فى التدقيق خطأ روحياً، فإن عدم الاهتمام بالتدقيق، حتى لا يُتهم الشخص بالتزمت والجمود وعدم المرونة، أو من أجل إرضاء غير المؤمنين، هو استهتار وتسيب وتحلل، وإعلان عن حياة غير ملتزمة لا تمجد الله، وتنبئ عن تعثرها حتى فى ممارسة أساسيات الإيمان.

نعم.. سيأتى يوم يعطى فيه الناس حساباً عن كل كلمة بطالة تكلموا بها (مت ١٢ : ٣٦).

فلنمتحن أنفسنا (٢كو ١٣ : ٥) ونقيس كل تصرفاتنا على نور كلمة الله، ونطلب الإرشاد الإلهى كى يكشف لنا نقاط ضعفنا، ومساندة النعمة كى ننتبه دوماً مدققين فى كل تفاصيل الحياة، **كحكماء لا كجهلاء**، و "**إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعيّر فسيعطى له**" (يع١: ٥).

والوقت مقصّر (١كو ٧ : ٢٩) **والأيام شريرة** (أف ٥ : ١٦).

النمو ضرورة إيمانية

الحياة المسيحية ليست كغيرها مما يُختزل في مجموعة من الفرائض والأوامر والنواهي، يصير إتمامها غاية المُنى، وبها يتحقَّق الرضا عن النفس ونوالها الثواب. شيء من هذا رأيناه في موقف الفرِّيسي الذي حصر علاقته بالله في أنه يُصلِّي ويصوم ويُعشِّر كل ما يقتنيه، وأنه ليس خاطفاً أو ظالماً أو زانياً أو عشَّاراً. مع هذا، فإن الرب في المَثَل الشهير يقول إن هذا لم يُبرَّره، لأنه وقف أمام الله شاعراً أنه قد تمَّم بجهده كل برٍّ وبدا مفتخراً مستقلاً عن النعمة(١).

الأمر يختلف مع المؤمن المسيحي، فليس له أمام رحابة الحياة المسيحية وبُعْدها الأبدي غير أن ينطلق من إطار أمور العبادة المتعارف عليها ممتدّاً إلى ما هو قدَّام، وكل ما يبلغه يتجاوزه ويتقدَّم إلى غيره (في ٣: ١٣). وحتى إن تعثَّر وانكفأ فهو يقوم تائباً طارحاً كَبْوَته وراءه، متطلِّعاً إلى الأمام، ملتصقاً بمخلِّصه، ومغتسلاً في الدم الكريم، ومواصلاً رفقة الله الأبدية.

---

(١) بينما غاية الحياة الروحية هي فى الاتحاد بالله، وليس فى الفرائض و الممارسات ، التي إن لم تخدم غاية وجودنا أى اتحادنا بالله، فَقَدَت قيمتها.

ضرورة النمو

تتبدّى ضرورة النمو ودوامه في دعوة الإنجيل لنا أن "**كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل**" (مت ٥: ٤٨)، "**لنتقدَّم إلى الكمال...**" (عب ٦: ١)، و"**كونوا قدِّيسين لأني أنا قدوس**" (لا ١١: ٤٤؛ ١بط ١: ١٥،١٦)، و"**لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله**" (أف ٣: ١٩)، و"... **إلى قياس قامة ملء المسيح... إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح**" (أف ٤: ١٣،١٥).

ولما كان ما نحن مدعوُّون إليه بحُكم طبيعته (كمال الله، قداسة الله، ملء الله) لا يمكن بلوغ منتهاه؛ فهذا يفترض أن النمو لا يجب أن يتوقَّف، ويظل التقدُّم هو قانون الحياة، وبلوغ آفاق وأعماق جديدة هو هدف كل يوم.

فنمونا يعني أن إيماننا المسيحي حي مثمر، وأن معرفتنا بالرب تزداد، وأيضاً محبتنا وفهمنا لكلمة الله وتمسُّكنا بالحياة مع الله وثبات عيوننا على الحياة الأبدية. وبدون أن ننمو، فحياة المسيح فينا مشكوكٌ فيها. كما أنه إن لم نتقدَّم، فنحن نتراجع ونتباعد عن شمس البر. الوقوف عند الحافة يُعرِّضنا للسقوط والارتداد إلى الجسد؛ أما التقدُّم إلى الداخل فيُجنِّبنا تأثير الرياح والأعاصير التي تخفّ وطأتها كلما مضينا نحو العمق. والفرح والسلام الذي يختبره كل مَن ينمو في المسيح، يُحرِّضنا أن نتقدَّم بقدر ما تسمح به النعمة.

ومن ناحية أخرى، فإن نمونا المطرد، يُهيئنا للتعامل مع تجارب الأيام وهي لابد آتية، وبقدر حيويتنا (أي بقدر تواصلنا مع مصادر النعمة) بقدر ما ننال الغلبة. فالأقوياء المختبرون يخرجون من التجارب سالمين ويزداد إيمانهم خبرة؛ أما الهامشيون والمكتفون، فالتجارب تهزُّ إيمانهم وتكدِّر علاقتهم بالله إن لم تطوِّح بهم وتحطِّمهم.

وفي النهاية فهناك حُكْم ينتظر الجميع: "**والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً، تُقطع وتلقى في النار**" (مت ٣: ١٠)، "**كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر يقزعه**" (يو ١٥: ٢)، ولا تبقى لهم إلاَّ شفاعة الابن "**اتركها هذه السنة أيضاً... فإن صنعتْ ثمراً، وإلاَّ ففيما بعد تقطعها**" (لو ١٣: ٨،٩).

وبالنسبة **للخدَّام** بالذات فنموهم الروحي ضرورة محتومة، فهم القدوة للمؤمنين والتجسيد الحي للإيمان، ونجاحهم يُشجِّع المبتدئين والمجاهدين على التطلُّع إلى علاقات أوثق بالله ونمو أكثر في معرفته. فالناس يرون "الإنجيل" في "خادم الإنجيل"، فإما أقبلوا على الكلمة طائعين منفلتين من الظلمة إلى النور؛ وإما عثروا فأدبروا وغيَّبهم الموت.

النمو علامة حياة

النمو يُلازم الحياة ويُفصِح عنها. الإنسان ينمو جسداً وإدراكاً وفكراً وخبرات، وحتى بعد أن يتوقَّف نموه الجسدي يظل ينمو نفساً وروحاً. وقد طوَّب الله النفس الملتصقة بناموسه، وبيَّن أنها بطبيعتها تنمو وتُثمر: "**فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تُعطي ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل**" (مز ١: ٣)، "**الصِّدِّيق كالنخلة يزهو، كالأَرز في لبنان ينمو. مغروسين في بيت الرب، في ديار إلهنا يُزهِرون**" (مز ٩٢: ١٢،١٣)، ويستمر نموها حتى الساعة الأخيرة: "**أيضاً يُثمِرون في الشيبة، يكونون دساماً وخُضْراً**" (مز ٩٢: ١٤). وفي مَثَل الزارع ذكر الرب أن علامة الأرض الجيدة أنها تُثمر (مت ١٣: ٨،٢٣؛ مر ٤: ٨،٢٠؛ لو ٨: ٨،١٥). كما أن الرب يُتابع الغصن المثمر فيُنقِّيه بالتأديب والمساندة فيأتي بثمر أكثر (يو ١٥: ٢). وفي مَثَل الوزنات، مَدَح الرب مَن تاجروا وربحوا ووصفهم بالصلاح والأمانة ودخلوا فرح السيِّد، ودان الإهمال والكسل وطمْر هبات النعمة دون استثمارها (مت ٢٥: ١٤-٣٠؛ لو ١٩: ١٠-٢٧).

وقال يعقوب عن ابنه يوسف وهو يُباركه أنه "**غصن شجرة مثمرة على عين**" (تك ٤٩: ٢٢) أي دائم الثمار، ومكتوب عن صموئيل أنه كان "**يتزايد نمواً وصلاحاً لدى الرب والناس أيضاً**" (١صم ٢: ٢٦)، وعن المعمدان أنه كان "**ينمو ويتقوى بالروح**" (لو ١: ٨٠)، وعن الرب أنه كان "**يتقدَّم في الحكمة والقامة والنعمة، عند الله والناس**" (لو ٢: ٥٢).

فالنمو والإثمار كل الحياة علامة اتصال حقيقي للغصن بالكرمة أي للمؤمن في الرب، وهو دليل يُفرح قلب المؤمن ويحثه على دوام التقدُّم، كما أنه شهادة أمام العالم الذي يسعى لإنارته وإصلاحه.

النمو عمل إلهي

نحن ندرك أننا لا نستطيع أن ننمي أنفسنا. وهذه هي كلمات الرب: "**مَن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة؟**" (مت ٦: ٢٧؛ لو ١٢: ٢٥) ، بالضبط كما أن الزرع ينمو بقوة الحياة التي وُهبت له: "**هكذا ملكوت الله كأن إنساناً يُلقي البذار على الأرض، وينام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف**" (مر ٤: ٢٦،٢٧)، والغصن يستمد حياته من الكرمة.

فنمونا الروحي في طبيعته عمل إلهي "**الرب ينميكم ويزيدكم**" (١تس ٣: ١٢). وفي هذا يقول القديس بولس عن خدمته: "**أنا غرست وأبُلُّوس سقى، ولكن الله كان يُنْمِي. إذاً ليس الغارس شيئاً ولا الساقي، بل الله الذي يُنمِي**" (١كو ٣: ٦،٧). والرب سبق وقال لنا: "**بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً**" (يو ١٥: ٥).

ماذا يعني، إذاً، فعل الأمر "**انموا في النعمة**" (٢بط ٣: ١٨) الذي يُطالبنا بالنمو؟ (ومثله الوصايا "**أحبوا**" – مت ٥: ٤٤؛ لو ٦: ٢٧،٣٥؛ "**اسلكوا بالروح**" – غل٥: ١٦)؛ يعني أن لنا دوراً في تفعيل نعمة الله هو دور المشارك المتعاون النشط،

لا المتلقِّي السلبي (وأسوأ منه المقاوم وغير المستجيب). والمؤمن المخْلِص المتجاوِب مع عمل النعمة، الطامح إلى توثيق معرفته بالله، يُقبل على التغذية بوسائط النعمة، ولا يُقاوِم عمل الله المُحِب في تحسين التربة وتنقيتها (ربما بالآلام والتجارب وبتر العلاقات المضادة) وسقيها ورعايتها، ويُسهم بالتوبة في إزالة عقبات النمو طالباً إخضاع إرادته لله. وبالنسبة للخادم فهو بكل أمانة وبذل يزرع ويسقي، يرعى ويُعلِّم، ولكنه يترك النمو والثمر المتكاثر لعمل نعمة الله.

ولا نحتاج إلى القول أن المتكاسلين والذين يركنون إلى الراحة مستثقلين الجهاد، لن ينالوا شيئاً؛ فالنعمة تعمل فيمَن يريد وفيمَن يؤدِّي دوره على محدوديته.

وكما ينمو الطفل بالتدريج، فإن النمو الروحي يتم هادئاً، ولكن تكشفه الثمار وازدياد المعرفة بشخص الرب ومحبته "**لما كنت طفلاً** (في معرفة الله) **كطفل كنت أفطن، وكطفل كنت أفتكر** (ضحالة الإيمان، الضعف أمام التجارب، قلة الصبر وعدم المثابرة)، **ولكن لما صرت رجلاً** (ناضجاً في الروحيات) **أبطلت ما للطفل**"(١كو ١٣: ١١).

مجالات النمو

"**ننمو في كل شيء**"، هذا ما يوصي به القديس بولس، مشيراً إلى أن نمو كل غصن في الكنيسة يؤول إلى "نمو الجسد (الكنيسة) لبنيانه في المحبة" (أف ٤: ١٥،١٦).

+ في **النعمة** (أي في الخضوع للروح القدس الذي يُنقِّي القلب ويضبط السلوك، ويُجرِّده من الحرفية)، وفي معرفة المسيح (أي في محبته، والالتصاق به، واختبار صِدق وصاياه وقوته ومساندته، وذلك من خلال الصلاة وقراءة الكلمة) (٢بط ٣: ١٨؛ كو ١: ١٠).

+ في **المحبة** لله والقريب، بما يتطلَّبه من الاستمرار في الخروج من الذات، وتعمُّق الشركة مع الله واتساع القلب للمحبين والكارهين، والنمو في القدرة على الغفران (في ١: ٩؛ ١تس ٣: ١٢).

+ في **الإيمان**، والثقة في شخص المسيح والاتكال على ذراعه الرفيعة وتسليم الحياة له وقبول التجارب والآلام بالشكر، والترحيب باختبار الغربة والوحدة للانفراد بالله كسند الحياة الوحيد (٢كو ١٠: ١٥؛ ٢تس ١: ٣).

+ في **العبادة** بالروح والحق، بالنمو في حياة التوبة والجهاد (عب ١٢: ٤)، وبالفرح في شركة الكنيسة والإفخارستيا، وفي حياة الصلاة والصوم بروح منسحق ونمو السخاء في العطاء[٢] (٢كو ٩: ٦،٧،١١).

+ في كل **عمل صالح** (٢كو ٩: ٨)، حيث تُترجم المحبة والإيمان إلى عمل وجهاد وتعب وجدية وحمل للصليب (غل ٥: ٦، ١يو ٣: ١٨).

+ في **الخدمة**، بالنمو في البذل والتضحية، والمثابرة والاهتمام بالمخدومين وخلاص النفوس البعيدة، والكرازة في كل مكان بالكلمة، والقدوة والإسهام في خدمة القديسين إخوة الرب، واتساع آفاق الخدمة لتشمل ضحايا المجاعات والكوارث على اتساع الأرض دون تمييز.

+ في **الرجاء** (رو ١٥: ١٣)، بدوام التحرُّر من الواقع وعدم الانحصار فيه، سواء كان متَّسماً بالقصور والإحباط والألم، أو لم يكن، والتطلُّع الدائم إلى الوطن السماوي؛ حيث يكتمل خلاصنا وندخل فرح السيِّد في مجيئه، مع سائر المفديين.

---

(٢) في الأخبار أن فتاة استكثرت أن ترث ٣ مليون دولار وتبرعت بها كلها لأعمال الخير، كما أن كثيرين يتبرعون أيضاً بنصف دخولهم (لا بالعشور) للمحتاجين، والبعض يتبنَّى الأيتام والمُعاقين بالذات.

+ في **الثقافة الإنسانية**، التي تؤهِّلنا لمعرفة العالم من حولنا، الذي نسعى إلى خلاصه، وتبرِّئنا من التعصُّب والكراهية وتدفعنا لخدمة الأوطان بكل أمانة "**لا بخدمة العين كمَن يُرضي الناس، بل ببساطة القلب، خائفين الرب... عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث**" (كو ٣: ٢٢-٢٤)، وتوسِع قلبنا لإدراك الأخوَّة الإنسانية لكل البشر كما رسمها لنا الرب في مثل السامري الصالح (لو ١٠: ٣٠-٣٧).

مُحفِّزات النمو

إضافة إلى ما سبق ذِكره عن وسائط النمو في النعمة من: صلاة وقراءة للكلمة وتوبة وصوم وتناول وخدمة؛ فهناك أيضاً عوامل مساعدة أخرى :

فالتوبة المدقِّقة يُترجمها **الاعتراف المنتظم** المنسحق أمام الله وأب مختبر، طوبى لَمن يجده؛ وقراءة الكلمة يساندها الاستعانة **بكتب التفسير** المناسبة؛ والنمو في السلوك الروحي يتطلَّب التعوُّد على قراءة **الكتب الروحية** المختارة لمؤلِّفين مشهود لهم، **والتلمذة الروحية** لقادة روحيين مختبرين في الإرشاد الروحي، **والتدقيق** الحكيم في التصرُّفات (أف ٥: ١٥)، مع **افتداء الوقت** القليل (أف ٥: ١٦) المتاح لحياتنا على الأرض، والضنّ به لئلا يتبدَّد فيما لا يفيد من هَذَر وأحاديث فارغة.

وهناك فائدة مُحقَّقة من الانتظام في **اجتماعات الصلاة ودراسة الكتاب المقدس والمؤتمرات الروحية** التي تُنشِّط الروح، كما أنها تتيح التعرُّف على شخصيات واختبارات روحية جديدة قد تفتح أبواباً جديدة للعمل الروحي. كما أن **الخلوات الروحية** (في الأديرة وغيرها) سواء للصلاة، أو القراءة، أو للانفراد بالنفس وتقييمها، أو الجلوس مع آباء أو إخوة مختبرين، والتقدُّم للاشتراك في **خدمات** نقترب فيها كثيراً من الرب، وتتقدس بها الحياة وتسعد، كخدمة المرضى والمسنِّين، والفقراء والمسجونين، واليتامى والأرامل، وغيرهم؛ كل هذا يدفع بالنمو إلى آفاقٍ متسعة.

معوِّقات النمو

ولكن علينا أيضاً أن نحترس مما يعوق نمونا بعد أن بدأنا ويعود بنا إلى الوراء. وهذه قائمة بأعداء النمو:

+ **الرضا عن النفس والاكتفاء** بما بلغته بما يوحي بالتوقُّف، وبالتالي التراجُع والتحلُّل من الالتزام.

+ ويتصل بما سبق **التبرير والدفاع عن النفس** بما يُجنِّبها الشعور بالإثم، والحاجة إلى التوبة والشفاء، مثل التسعة والتسعين "الأبرار في أعين أنفسهم" الذين لا يسعون إلى المخلِّص (لو ١٥: ٧). وطالما أنهم يفتقدون حاجتهم إلى التوبة والتغيير، فهُم بالأَوْلى لن يسعوا إلى النمو في النعمة ومعرفة الرب.

+ **الفتور**: أي الوقوف في المنتصف، فالفاتر ضائع الهويَّة، لا هو حار قريب من الله، ولا هو بارد بعيد عن الله تماماً. والخاطئ الصريح قد يتوب يوماً ويصير قديساً، أما الفاتر فهو تائه ولا حافز عنده للتغيير، ومن هنا فهو موضع سخط الرب "**هكذا لأنك فاتر ولستَ بارداً ولا حاراً، أنا مزمع أن أتقيَّأك من فمي**" (رؤ ٣: ١٦)، والرب من محبته يحثُّه أن يكون غيوراً ويتوب (رؤ ٣: ١٩).

+ **الثنائية**: الحياة المزدوجة هي خديعة الشيطان الذي يسعى أن يكون له موطئ قدم في القلب. ولكن الله حكم على هذه الحياة بالفشل والرفض: "**لا يقدر أحد أن يخدم سيِّدَيْن**" (مت ٦: ٢٤). وهؤلاء الذين يُنادون بالوسطية والاعتدال (أي بحياة جسدية / روحية)، سواء بحُسن نية، أو بسوئها؛ يحرمون النفس من الحياة في المسيح، وبالتالي أن تنمو فيه.

+ **الشكلية**: أي أن يفقد النشاط الروحي قوة الروح الدافعة ويُكمِّل بالجسد (غل ٣: ٣)، متحوِّلاً إلى أداء مظهري بهدف إرضاء الذات، وهكذا تتوقف عجلة النمو.

+ **الإهمال والانشغال:** فبعد الحرص والانتباه والتنقية، يُسمح للثعالب الصغيرة المُفسدة بالدخول، وللمعاشرات القديمة بالعودة. وبدون التوقُّف والتوبة واستئناف النهج الروحي؛ فالحياة مهددة بالانتكاس.

+ **الحنين إلى الحياة الجسدية:** إن الجهاد المعتمد على الذات وقوة الإرادة وحدها دون عمل النعمة، لا يمكن أن يستمر، وسيأتي وقت تشعر فيه النفس بالإجهاد، وهكذا تسأم الجهاد ويبدأ التراجُع.

ولا رجاء لنا أمام أعداء النمو غير النعمة، تكشف للنفس أنها تسير في الطريق الخطأ، فإن توقَّفت عن انحرافها، واستجابت بالتوبة؛ تكون قد أنقذت مسيرة حياتها من الضلال، وهكذا تستعيد الحياة قوتها ويتواصل التقدُّم.

وإلى الواقفين عند شاطئ الحياة المسيحية، هذه دعوة للنمو والخوض في المياه العميقة.

ومع كل يوم جديد و كل عام جديد، لِمَ لا نبدأ جديداً؛ ننسى ما هو وراء، ونمتد إلى ما هو قدَّام!؟

قضية الغفران
بين عمل الله وعمل الإنسان

من أجمل الكلمات التي فاه بها رب المجد هذه العبارة: **"مغفورة لك خطاياك"** (مت ٩:٢، مر ٥:٢، لو ٢٠:٥؛ ٤٨:٧)، يقولها للخاطئ التائب فيُطلقه من أَسْر إبليس ويُحرره من سجن الخطية الأليم. وتظل هذه العبارة فاعلة وحاضرة حتى لو انخدع المرء من جديد عائداً إلى خطيته؛ فإذا ضاق الخاطئ بحاله وتاق إلى الحرية وجاء إلى الرب تائباً (لو ٢٠:١٥)، تنزل الكلمات على قلبه بردًا وسلاماً.

وحق الخاطئ التائب في الغفران كَفَلَه دم المسيح النازف على الصليب: **"بدون سفك دم لا تحصل مغفرة"** (عب ٢٢:٩) عندما ناب عن كل الخطاة ودفع ببرِّه عنهم ثمن انكسارهم وضعفهم: **"إذ محا الصَّكَّ الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدًّا لنا، وقد رفعه من الوسط مُسمِّراً إيَّاه بالصليب"**

(كو٢:١٤)، **"الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا"** (أف ١:٧).

شرط آخر للغفران

وإذا كان من أولى شروط التمتُّع بالغفران **توبة الخاطئ** أي رجوعه عن خطيته (مر ١:٤)، والإقرار بها (لو ١٥:١٨و٢١): **"إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثم"** (١يو١:٩)، **والندم** على بُعْده عن الله (لو ١٨:١٣)، **والعودة من جديد إلى محبته** (لو ٧:٤٧)، والتعهد القلبي، بمعونة النعمة، على **عدم النكوص و التمسك بالحياة الجديدة**؛ فإن الرب قد كشف عن شرط هام آخر كما يبدو في الآيات المختارة التالية:

"واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا... فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم" (مت ٦:١٢و١٤و١٥)؛

"ومتى وقفتم تُصلُّون، **فاغفروا** إن كان لكم على أحد شيء، **لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السموات زلاتكم. وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذي في السموات أيضاً زلاتكم"** (مر ١١:٢٥و٢٦)؛

"ولا تدينوا فلا تُدانوا. لا تقضوا على أحد فلا يُقضَى عليكم. اغفروا يُغفر لكم" (لو ٦:٣٧)؛

"مُحتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً إن كان لأحدٍ على أحدٍ شكوى. كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً" (كو ٣:١٣)

والكلام واضح وقاطع وهو **أن تمتُّع الخاطئ التائب بحق الغفران وعدم وقوعه تحت الدينونة مشروط بأن يغفر ويسامح.** كما أن غفران الله لنا يلزمنا – من ناحية أخرى – بالغفران للآخرين.

وردًّا على تساؤل بطرس عن كم مرة يُخطئ إليه أخوه وهو يغفر له، هل

إلى سبع مرات؟ قال الرب يسوع: **"لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات"** (مت ١٨: ٢١و٢٢)، أي أن الالتزام بالغفران للآخرين غير مشروط بعدد أو حد أقصى.

بل إن الرب – ليؤكِّد على وجوب التزامنا بالغفران للآخرين لنظل نحن أيضاً متمتعين بنعمة المغفرة – واصل حديثه لبطرس وذكر مَثَل العبد الشرير (مت ١٨: ٢٣-٣٥) الذي بدأه بقوله: "لذلك يُشبه ملكوت السموات إنساناً مَلِكاً أراد أن يُحاسب عبيده. فلما ابتدأ في المحاسبة قُدِّم إليه واحدٌ مديون بعشرة آلاف وزنة. وإذ لم يكن له ما يُوفي أمر سيده أن يُباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له، ويُوفَى الدَّيْن. فخر العبد وسجد له قائلاً: يا سيد، تمهَّل عليَّ فأُوفيك الجميع. **فتحنَّن سيد ذلك العبد وأطلقه، وترك له الدَّيْن"** (مت ١٨: ٢٣-٢٧). ولكن هذا العبد لم يصنع المِثْل بِمَنْ كان مديوناً له بمائة دينار فقط، ولم ينصت إلى توسلاته بل ألقاه في السجن، ولما علم السيد غضب على عبده الذي لم يرحم رفيقه، وسلَّمه إلى المعذِّبين حتى يوفي كل ما كان عليه. وختم الرب المَثَل قائلاً: **"فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته"** (مت ١٨: ٣٥).

نحن، إذاً، أمام منطوق إلهي واجب الطاعة، هو أن نغفر لمن يُسيء إلينا، وليس أمامنا خيار آخر، ذلك أنه إن لم نغفر لن يُغفر لنا.

نعم، يجب أن نغفر

(١) نحن يجب أن نغفر متمثِّلين بسيدنا ومخلِّصنا الصالح الذي طلب الغفران لصالبيه وهو في ذروة الألم قائلاً: **"يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون"** (لو ٢٣: ٣٤). فهو ترك لنا مثالاً لكي نتبع خطواته (١بط ٢: ٢١)، وطلب أن نتعلم منه فنجد راحة لنفوسنا (مت ١١: ٢٩).

(٢) ولأننا ندرك أن كلنا خطاة تحت الضعف والآلام، وكلنا نحتاج إلى مغفرة؛ فتقسِّي القلب وتعاليه على الغفران للآخرين يعني جهل الإنسان بحقيقته وأنه يتخبَّط في الظلام، بينما الغفران للمسيئين يعني الحياة في النور.

(٣) و لأننا مُعرَّضون أن نخطئ في حق الآخرين، فإعراضنا عمَّن أخطأوا إلينا ورفضنا مسامحتهم قد يُسقطهم هم أيضاً في فخ عدم الغفران وقساوة القلب؛ وهكذا تتواصل حلقات الكراهية وتتوارى وصية المحبة.

(٤) ولأن هناك وصية عامة تُنادي: **"فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء"** (مت ٧:١٢)، **"وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا"** (لو ٦:٣١). فإذا بدأنا نحن بالغفران، يَسَّرْنا على الآخرين أن يغفروا لنا.

(٥) وأخيراً، لأن حقنا كتائبين في أن يغفر الله لنا – رغم أنه مكفول بالدم الإلهي الكريم – مشروطٌ، كما سبق ذِكره، باستعدادنا الدائم للغفران للآخرين. فإذا تمنَّعنا عن أن نغفر لهم كأنهم لا يستحقون عفونا سقطنا تحت الحُكْم: "لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاَّتكم" (مت ٦:١٥).

عقبات أمام قدرة المؤمن على الغفران

رغم القول الإلهي الصريح، وخطر حرماننا من الغفران، فإن البعض منا يعجز عن أن يغفر لِمَن أساء إليه أو يصعب عليه الأمر جداً. فكيف بلغ إلى هذه الحال؟

(١) **إن الكبرياء هي العقبة الرئيسية أمام الغفران.** فهي تُعظِّم حجم الخطأ الذي أصاب الشخص، وبالتالي الشعور بالإهانة وجرح الكرامة. ومهما كان حجم الاعتذار فالنفس تشعر أنها لم تنل الترضية الكافية. وربما سعت إلى إذلال الآخر تحت غطاء أنها تقصد ألاَّ يكرر الخطأ مرة أخرى، وهي قسوة لا تليق

بالمؤمنين.

وفي هذا الصدد ينبغي أن تسمو طاعتنا لكلمة الله، التي تأمرنا بالغفران، فوق أي مشاعر ذاتية. ونضيف أن امتناعنا عن الغفران للمعتذر الذي ينتظر عفونا يشي بشكلية تديُّننا وعدم تسليم الحياة للمسيح. فالإيمان الحي يُعلن عن ذاته بالاستعداد القلبي للغفران، حتى من قبل أن يتقدَّم الشخص المُسيء طالباً الغفران، كرد فعل تلقائي لمسامحة الله لنا: **"وكونوا... متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح"** (أف ٤: ٣٢)، وتنفيذاً لوصية **المحبة التي "تتأنَّى وترفق... وتحتمل كل شيء"** (١كو ١٣: ٤و٧).

(٢) كثيرون لا يُدركون أن لا طريق آخر أمام المؤمن غير أن يغفر طاعةً لوصية السيد، وليظل متمتعاً هو أيضاً بحق غفران خطاياه. وعلينا أن نضع أمام عيوننا هذه الحقيقة لكي لا نتوقف لحظة عن أن نغفر للمُسيء الذي ينشد عودة المحبة.

(٣) بعض النفوس تغفر الإساءة ولكنها لا تنساها. ومن هنا فعند تكرار الإساءة من نفس الشخص تُستدعى خطيئته من مخزن الذاكرة السيئة، وهذا يُعسِّر على النفس القدرة على الغفران؛ رغم أن الرب قال لبطرس: "وإن أخطأ إليك (أخوك) **سبع مرات في اليوم** ورجع إليك **سبع مرات في اليوم** قائلاً: **أنا تائب**، فاغفر له" (لو ١٧: ٤). فالشرط الوحيد المطلوب هنا من المخطئ هو توبته، ولكن لا يوجد حد أقصى لعدد مرات الغفران حتى ولو تعددت الأخطاء في ذات اليوم.

والحاجة مُلحَّة هنا في طلب نعمة الله لمساعدة النفس على أن يقترن الغفران بالنسيان to forgive and to forget. فالغفران لا يقصد مجرد إسقاط الإساءة مؤقتاً – أي غفرانها من الخارج – وفي نفس الوقت إبقاءها في الداخل بإيداعها أحد الأركان البعيدة في الذاكرة. **الغفران الحقيقي يعني طرح الإساءة، أي إسقاطها ونسيانها، كأن لم تكن.** ونحن في هذا نتمثل بإلهنا الرحيم الذي إذ

يغفر خطايانا يقول: **"قد محوت كغيم ذنوبك"** (إش ٤٤:٢٢)، **"لا أذكر خطاياهم وتعدِّياتهم فيما بعد"** (عب ٨:١٢). وهو وحده الذي يستطيع أن يهبنا هذه القدرة على نسيان الإساءة فلا نعود نذكرها، فقط علينا أن نطلب بإيمان من الله غافر الخطايا حتى ننال هذه الصفة الجميلة التي هي من سمات القديسين.

وماذا عن الطرف الآخر؟

لكن ماذا عن الطرف الذي أساء ويطلب العفو؟ وماذا قال الرب عمَّا يجب عليه؟ وإذا كان التزام المؤمن أن يغفر له، فما هو التزام المُسيء؟

في هذا يقول الرب: "إن أخطأ إليك (أخوك) **فوبِّخه، وإن تاب فاغفر له**" (لو ١٧:٣). أي أن التزام المُسيء يتضمن **أن يخضع للتوبيخ والعتاب** (مت ١٨:١٥) كي يجتهد في ضبط نفسه ولا يعود للإساءة (خاصة لو كان في موقع الأصغر، كابن أو ابنة أو أخ أصغر أو مرءوس)، **وأن يأتي تائباً أي متأسفاً شاعراً بالخطأ** الذي أساء به إلى الآخر، ويُعبِّر عن ذلك **بالاعتذار الصريح** لمن أساء إليه وسبَّب ألمه، فلا يبقى أمام المؤمن المستعد أصلاً للغفران والعفو غير أن يقبله دون شروط ويفتح أمامه باب المصالحة بكل رفق واتساع قلب، فقد زال العائق الذي أهان المحبة وأحزنها.

عقبات أمام قدرة المخطئ على الاعتذار

الأمر هنا ليس سهلاً أيضاً أمام مَن أساء، للشعور بخطئه واستعداده لتحمُّل نتائج تصرُّفه، وامتلاكه الشجاعة للاعتذار وترضية مَن أخطأ في حقِّه.

والعقبات أمام اعتذار المخطئ هي هي العقبات أمام توبة الخاطئ. فالذين يُمارسون التوبة ويلتزمون بها هم وحدهم الذين يملكون شجاعة الاعتذار لمن

أساءوا إليهم. والعكس أيضاً صحيح.

وأُولى العقبات، والتي تنبع منها سائر العقبات والأخطاء، هي **الكبرياء التي تجعل الذات فوق الحق**. فتأخذ المخطئ العزَّة بالإثم ويتنكر للحق فيتعالى على الاعتراف بالخطأ مبرِّراً نفسه ومتمسِّكاً بموقفه (رغم أنه في قرارة نفسه يعرف أنه المخطئ، ولكنه يُكابر ويراوغ ويقمع الشعور بالذنب)، وهو في سبيل الدفاع عن نفسه قد يتزلق إلى الكذب وتحميل الطرف الآخر كل الخطأ. وحتى لو أجبرته الظروف أن يأتي معتذراً فكبرياؤه ستكشف أنه اعتذار شكلي. وربما لن يحتمل أي كلمة توبيخ أو إيلام، وقد ينسحب راجعاً إلى خصومة أشد. وهذا الموقف من المخطئ المتكبِّر هو علامة ضعف وجُبن، وهو من وحي إبليس الذي يسعى جاهداً لبقاء الخصومة ووأد المحبة من جذورها.

ولكن الله هناك مستعدٌّ أن يساعد المخطئ على التحرُّر من سجن الخصومة، ويهبه التغلُّب على مصاعب الاعتذار، إذا سأله المعونة للخروج من مأزقه بحيث يتفادى التبرير وحماية ذاته من الخضوع للحق، ويصير الاعتذار الصادق هزيمة لإبليس وإزاحة للعداء وانتصاراً للمحبة.

وقد يسمح الله لمن يحبهم، وقد انسبقوا في الزلل، بالحصار والضيق كي يكتشفوا خطأهم ويُلزمهم بفضيلة الرجوع إلى الحق وطلب العفو ممَّن أساءوا إليهم. وفي مَثَل الابن الضال (لو ١٥: ١١-٣٢)، فإنه اكتشف خطأه في حق أبيه عندما احتاج وتدهور حاله حتى كاد يهلك جوعاً، وكان هذا تدبير الإله المُحِب لحثه على التوبة والعودة إلى المحبة الأولى.

ولا شكَّ أن الاعتذار بكرامة وشجاعة يُكسِب صاحبه تقدير ورضا الطرف الآخر، الذي إذ يشعر بصدق إحساسه بالخطأ، فإنه من الطبيعي أن يقبل اعتذاره، فيسقط حاجز الخصومة وتعود المحبة ربما أكثر قوة.

عن تبادُل الغفران

يبقى في معادلة الغفران – ولاستكمال جوانب الصورة –حالة أخيرة، وهي عندما يتبادل طرفان الإساءة فكلاهما يتحمل دوره فيما آلت إليه الأمور. ربما كانت مسئولية مَن بَدَأَ الإساءة أكبر، ولكن المحصلة النهائية أن كليهما قد انزلق إلى الخطأ. فإذا كان الأول قد كسر وصية المحبة: **"المحبة لا تصنع شرًّا للقريب"** (رو ١٣: ١٠)، فإن الثاني قد كسر وصية مقابلة الشر بالخير: **"لا تجازوا أحداً عن شرٍّ بشر... لا يغلبنَّك الشر بل اغلب الشر بالخير"** (رو ١٢: ١٧و٢١)، **"غير مجازين عن شرٍّ بشر أو عن شتيمة بشتيمة"** (١بط ٣: ٩).

وليس أمام الطرفين هنا لإعادة السلام وتحقيقاً لتوبة كل منهما وخضوعهما للإنجيل إلاَّ **تبادُل الغفران**.

ولا نظن أن الخروج من حالة الخصومة المشتركة هذه أمراً سهلاً. فكرامة كل من الطرفين تجعل البدء بالمصالحة أمراً عسيراً، وقد يعتقد كل منهما أو أي منهما أن من يبدأ بالتقارب سيكون في الموقف الأضعف ويتوقع بالتالي أن يتعالى الطرف الآخر ويتمنَّع. كما أن إبليس سيجتهد في تعميق الخلاف ويقنع كلاً منهما أن الآخر هو المخطئ. وربما أثار في الذاكرة خبرات قديمة سيئة تجعل عودة كل منهما للآخر أمراً بعيد المنال. وسوف يحتاج الطرفان إلى معونة النعمة لتساند جانب الخير في كل منهما وتمنح أكثرهما اتضاعاً المبادرة بطلب السلام، حتى لو كان هو الأكبر سناً أو مقاماً، فهذا يؤهِّله بالأكثر ليكون القدوة التي تملك شجاعة البدء في كسر حاجز العداوة الذي عجز الطرف الآخر عن اجتيازه. وقتها سيقتنع الطرفان أن الأمر ليس معركة يسعى كل

منهما للانتصار فيها، وأنه طالما هما في الخصومة فكلاهما مهزوم وأسير العداوة. وعلى هذا فقبول كل منهما للآخر من جديد هو انتصار لكل منهما، وهو انتصار للمحبة ولكل قيمة نبيلة في الحياة الإنسانية.

* * *

لقد صارت كلمة "**آسف**" أو "**عفواً**"، التي تستمد جذورها من وصية الإنجيل، عنصراً أصيلاً في الحضارة الحديثة، وهي تقال عند أبسط الأخطاء ولو كانت عن غير قصد.

ونحن المؤمنون أوْلَى أن يكون استعدادنا للاعتذار عن الإساءة، صغرت أم كبرت، بقصد أم عن غير قصد، أو الغفران للمسيء المعتذر، مهما كان حجم الخطأ؛ أمراً مفروغاً منه. فهذه هي وصية السيد.

كما أن غفراننا للآخرين هو شرطٌ لكي يغفر الله لنا.

فهل يبقى لنا بعد ذلك عذر؟!

"**وكما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم ايضا بهم هكذا**" (لو ٦ : ٣١)

الموضع الأخيـر

أمام نزوع الناس لاختيار المواقع الأولى وحب الظهور وسـعيهم لتمجيـد أنفسهم والتفاخر بمواهبهم، جاءت وصية الرب "**متى دعيت من أحد.. فلا تتكئ في المتكأ الأول.. بل.. فاذهب واتكئ في الموضع الأخير**" (لو١٤: ٨ ، ١٠).

نحن هنا نتناول هذه الوصية، سائلين الروح أن يرشدنا إلي فهم أبعادهـا، وكيفية تنفيذها، والمجالات التى تقتضيها وتلك التى تخرج عن نطاقها:

المجال الأول: فى الحياة العملية

فى دائرة قيصر والعالم والعمل لا مجال لإخفاء الإمكانيات والمواهـب أو التوارى والتراجع بل هناك سعى دءوب للتقدم والترقى واكتساب المـؤهلات والقدرات الأفضل والتطلع إلى المواقع المتقدمة سعيا لخدمة أفضل للمجتمـع. والمؤمن يرى فى كل هذا سببا لتمجيد اسم الله، وإن كان ينسجم مع مبادئـه

الإيمانية ألا يلجأ فى سبيل الحصول على الدرجات الأعلى إلى استخدام الوسائل اللاأخلاقية العالمية (الغاية تبرر الوسيلة)، أو يشوِّه سمعة الآخرين، أو يتملق الرؤساء (فهذا كله إنكار لمبادئ الإنجيل). على أن هذا التطلع فى مواقع العمل للترقى ونوال ثمار الاجتهاد والأمانة لا يتعارض مع التحلى بالاتضاع والبساطة والبعد عن التعالى والتفاخر. ويمكن القول هنا أنه حتى فى المجتمعات العالمية فالاتضاع صفة محبوبة وهو من سمات العلماء والكبار والشخصيات الناضجة، بينما التعالى والكبرياء رذائل اجتماعية ينفر منها الأسوياء. وكلمة الله تقول إن الله يقاوم المستكبرين "**أما المتواضعون فيعطيهم نعمة**"(١بط٥: ٥) أى يهبهم الله القبول والنجاح ويفيض عليهم بالبركات الروحية والجسدية.

المجال الثانى: أصحاب الموضع الأخير بالطبيعة

البعض مكانهم بالطبيعة هو الأخير ولاخيار لهم ولا فضل؛ فإما أن مواهبهم أو ظروفهم وإمكانياتهم لا تمنحهم أكثر من ذلك، وإما أنهم مضطهدون ومحرومون من المواقع المتقدمة التى يستحقونها وليس أمامهم إلا المكان الأخير.

والله يساند المغلوبين على أمرهم والمضطهدين والفقراء والمنسحقين (**روح الرب علىّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين، أرسلنى لأشفى منكسرى القلوب، لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر، وأرسل المنسحقين فى الحرية** – لو٤: ١٨).

وقد انحاز الرب فى أيام جسده إلى هذه الجماعات، فاختار أمه من بسطاء الناس، وولد فى مزود للبهائم، ولم يكن له أين يسند رأسه (مت٨: ٢٠، لو٩: ٥٨) ، ولم يكن يمتلك شيئا (مت١٧: ٢٧). وعند اختياره لتلاميذه

التفت إلى الصيادين والعشارين (**اختار الله جهلاء العالم ليخزى الحكماء وأدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود** - ١كو١: ٢٧-٢٨) ، ليكون فضل القوة لله (٢كو٤: ٧)، واعتبر الفقراء والمحرومين والمنبوذين والغرباء إخوته الأصاغر(مت٢٥: ٤٠).

والذين يرضون بالمواقع المتأخرة التى سمح الله لهم بها، أو من يقبلون اضطهادهم من أجل المسيح فأجرهم معروف، والذين يشتركون مع المسيح فى الآلام سيشاركونه مجده (**إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه** - رو٨: ١٧). فالله يرفع المتضعين (لو١: ٥٢، مت٢٣: ١٢، لو١٤: ١١، ١٨: ١٤). كما أن لعازر المسكين المضروب بالقروح حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم وتعزى بعد العذاب (لو١٦: ٢٥).

المجال الثالث : أصحاب الموضع الأخير باختيارهم

لم تخلُ حياة الكنيسة من هذه النجوم المنيرة التى انسحبت من المواقع الأولى التى تستحقها عن جدارة ساعية إلى الموضع الأخير، مثل **مريم** التى عاشت كل حياتها فى الظل، متوارية خلف ابنها سيد الكل، **وأنطونيوس وبولا** ومن سار على دربهما من آباء البرية المقتدين بسيدهم، الذين تركوا العالم ومواقعه الأولى إلى البرارى الجوانية وشقوق الأرض، فصار العالم يطوبهم ويتحدث عنهم والأجيال تقتدى بهم؛ فحقَّ عليهم قول الكتاب: **إن آخِرين يكونون أولين** (مت١٩: ٣٠، ٢٠: ١٦، مر١٠: ٣١، لو١٣: ٣٠). فالهاربون من الكرامة ومجد الناس من أجل محبتهم فى الملك المسيح "**يضيئون كضياء الجلد فى السماء**"(دا١٢: ٣)، بل "**يضيئون كالشمس فى ملكوت أبيهم**"(مت١٣: ٤٣)، والمسيح سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا وهو يكون لهم إلها(رؤ٢١: ٣)، وهو يدعوهم ليجلسوا إلى مائدته فى ملكوته وضمن خاصته (لو٢٢: ٣٠).

إنهم حبة الحنطة التى لما ماتت فى الأرض أينعت وأثمرت(يو١٢: ٢٤) وامتدت فروعها لتملأ الكون كله (لو١٣: ١٩)، والخميرة التى استخدمها الروح لتخمر العجين كله (لو١٣: ٢١).

المجال الرابع : أصحاب المواقع الأولى الطالبون مجد أنفسهم

أصحاب الإمكانيات والمواهب والذين يحتلون مواقع متقدمة متمسكين بها ويستقلون بمواهبهم عن الله طالبين مجد أنفسهم – لا مجد الله – لن ينالوا إلا القليل، فبقاؤهم على القمة موقوت وسيأتى يوم تتغير أحوالهم وينحدرون نحو القاع (**أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين. أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين** – لو١: ٥٢-٥٣)؛ (**ياغبى.. هذه الليلة تُطلب نفسك منك فهذه التى أعددتها لمن تكون. هكذا الذى يكنز لنفسه وليس هو غنيا لله** – لو١٢: ٢٠-٢١).

والمتدينون الشكليون، والمتقدمون فى المحافل الدينية بمراكزهم وأموالهم لا بتقواهم، والمعتزون بمواقعهم الأولى لا يرجون عنها بديلا، مآلهم ما صار إليه الفريسى الذى نزل إلى بيته خالى الوفاض متغربا عن بر الله (لو١٨: ١٤). وشاول الذى كان – كما يصف نفسه – مجدفا ومضطهدا ومفتريا (١تى١: ١٣)، واضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها (غل١: ١٣) ، والذى عّينته النعمة إناءً مختارا للكرازة والتألم من أجل اسم المسيح(أع٩: ١٥، ١٦)، احتاج أن يُضرب بالعمى ويقتاده الآخرون (أع٩: ٣-٨) حتى يعلن خضوعه للإله الحقيقى تاركا مكانه الأول كفريسى تدرب عند قدمى غمالائيل ليصير تلميذا

ضمن جماعة المضطَّهدين أتباع المصلوب (أع٢١: ١٣)، ولتحمله محبته للمسيح إلى روما فى رحلة يُسلَّم فيها للموت لينال إكليل المجد (**قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعى، حفظت الإيمان، وأخيرا قد وضع لى إكليل البر**- ٢تى٤: ٧-٨).

المجال الخامس : أصحاب المواهب والإمكانيات المحبون لله

أما الذين يتمتعون بالمواهب والإمكانيات، والذين يدركون أنهم فى بعض الجوانب أفضل من غيرهم (كحقيقة وعطية إلهية وليس عن كبرياء أو تعالٍ)، فليس مقبولا أن يقدموا أنفسهم، ولا أن يحتلّوا بإرادتهم المواقع الأولى فى الجماعة الكنسية، ولكنهم بكل اتضاع حقيقى (باعتبار أن ما يتمتعون به هو هبة إلهية لا يملكونها هم) يختارون الموضع الأخير اقتداءً بسيدهم وتنفيذا لوصاياه، ولا يستعرضون مواهبهم وامكانياتهم، ولا يسعون للمواقع الأولى ولايختارون لأنفسهم شيئا، وبقدر أمانتهم سيستخدمهم الله فى الوقت والمكان المناسبين، وعندما يدعوهم الله إلى المكان الأول سيقول كل منهم: هاأنذا.. وإن كنت لا أستحق. وسيريح قلبهم أن هذا هو اختيار الله، وأنهم فقط يطيعون صوته (**هوذا أنا أمة الرب. ليكن لى كقولك**- لو١: ٣٨)، وأن الله الذى وهبهم، يستخدم الآن مواهبهم لأجل مجده. وعندما يوجَّه لهم التقدير يحولونه فى هدوء واتضاع إلى الله مانح العطايا (**لأن منك الجميع ومن يدك أعطيناك**- أى٢٩: ١٤).

على أن المكان الأول فى الكنيسة ليس مجدا وكرامة وتشريفا، وإنما هو تكليف وخدمة وبذل وانحناء وغسل أرجل وقبول اضطهاد وحمل صليب ثقيل وموت. وفى أيام الاضطهاد الجماعى كان الأساقفة والكهنة والشمامسة فى

الصفوف الأولى لمواكب الشهداء.

المكان الأول فى الكنيسة هو قدوة وتعب وعناء (أنتم الذين ثبتوا معى **فى تجاربى** – لو٢٢: ٢٨) وشركة **آلام** (مت٢٠: ٢٣، مر١٠: ٢٩، ف٣: ١٠).

المكان الأول فى الكنيسة ليس تكريما واحتفالات وأعياد رسامة. فالتقدم للتكريس ككاهن أو غيره هو بمثابة تقديم الذبيحة للموت. وهو استعداد قلبى تسنده نعمة الله لحمل صليب الخدمة الثقيل، وبمشاركة من صُلب عنا أولاً يصير العبء قابلا للحمل والاحتمال. ومن هنا تصير الاحتفالات بأعياد رسامة الكهنة (والتى دخلت إلى حياة كنيستنا فى السنوات الأخيرة ولم نكن نسمع عنها من قبل) غريبة على مفاهيم الكنيسة عن الخدمة. وحتى إن قيل إنها نوع من إظهار التقدير للكاهن، لتشديده وإبهاج قلبه مرة كل عام فيُقبل على خدمته، **فهذا استخدام لدوافع جسدية فى عمل روحى مما لا يفيد بالقطع شيئا.** وربما كان من الأجدى إقامة قداس أو اجتماع صلاة للتضرع من أجل الخدمة ومن أجل الكاهن، أو إقامة قداس احتفالى فى عيد القديس الذى يحمل الكاهن اسمه، وتتم هذه كلها بروح الخشوع دون موائد أو هدايا مُبالَغ فيها مما لا ينسجم مع النهج الروحى النسكى لكنيستنا.

إن القوة التى يحتاجها الكاهن هى قوة من الأعالى وهذه متاحة له فى كل حين – وهو خادم الأقداس – والآباء الذين لا تُمحى أسماؤهم من ذاكرة الكنيسة لم تسندهم وتشددهم حفلات التكريم وإنما نعمة الله وروح الخمسين: روح القوة والمحبة والنصح والقيادة والعزاء والكرازة وامتداد ملكوت الله.

وفى كل ما نقول **فالمسيح هو القدوة والمثال** فى الموضع الذى نختاره فى

الكنيسة. فهو قد اختار المزود وصحبة الفقراء، وتحدّى الظالمين والمرائين حتى بلغ الصليب والموت قبل أن يتمجد بالقيامة (لأن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل **ليَخدِم** وليبذل نفسه **فدية** عن كثيرين – مر١٠: ٤٥).

ووُصف بأنه أعظم مواليد النساء: **يوحنا المعمدان** ساكن البرارى المتجرد الذى كان قانونه "**ينبغى أن ذلك يزيد وإنى أنا أنقص**" (يو٣: ٣٠).

وهذه هى كلمات الرب القاطعة: "**اذهب واتكئ فى الموضع الأخير**"(لو١٤: ١٠)؛

"**إذا أراد أحد أن يكون أولا فيكون آخر الكل وخادما للكل**" (مر٩: ٣٥)؛

"الكبير فيكم ليكن **كالأصغر** والمتقدم **كالخادم**. لأن من هو أكبر الذى يتكئ أم الذى يخدم؟ أليس الذى يتكئ. **ولكنى أنا بينكم كالذى يخدم**"(لو٢٢: ٢٦-٢٧)؛

"من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم **خادماً** ومن أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم **عبدا**"(مت٢٠: ٢٧، مر١٠: ٤٣).

.. ومن له أذنان للسمع فليسمع.

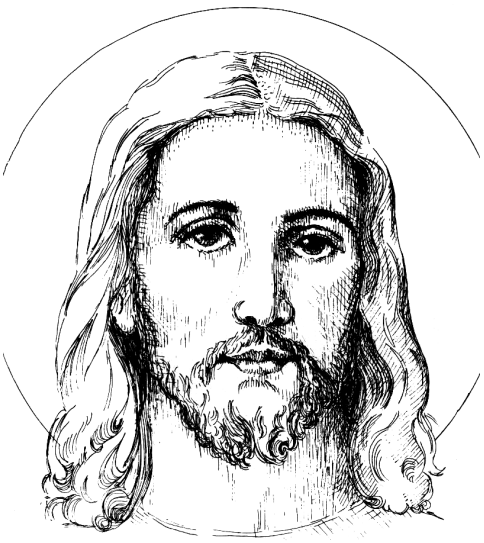

كيف نطلب..؟
وكيف يستجيب..؟

بينما كان زكريا الكاهن فى هيكل الله يبخّر، ظهر له ملاك الرب عن يمين مذبح البخور، فاضطرب زكريا وملأه الخوف. فطمأنه الملاك قائلاً "لا تخف يا زكريا لأن **طلبتك قد سمعت، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته..** لأنه يكون عظيماً.. ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. **ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب الههم ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكى يهيئ للرب شعباً مستعداً**" (لو١ : ١٣ - ١٧).

إذاً فطلبة **زكريا وأليصابات** لم تُنس ولم تُهمل، وظلت على مدى السنين أمام الله، تنتظر ملء الزمان، وفى الوقت المعين جاءت الاستجابة. وبينما قد استسلم الزوجان وهما يريان انحسار الظروف المواتية لتحقيق طلبهما القديم - بانسحاب الشباب وسيادة الشيخوخة (لو ١ : ١٨) - تأتى المفاجأة السارة على غير توقع ليقول الله : فى الهزيع الأخير أو حتى عند صياح الديك، عندما

يموت الأمل ويذبل الرجاء، **فأنا هناك** "آتى.. **وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون عمله**" (رؤ٢٢ : ١٢)، وكما يقول معلمنا بطرس "**لايتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ**" (٢بط ٣ : ٩)، ووعد الرب هنا هو: "**اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يُفتح له**" (مت ٧ : ٧، ٨، لو١١: ٩، ١٠).

✞ ✞ ✞

قبل أن نعرض لاستجابة الله للطلبات: كيف ومتى؟ نفتش فى كلمة الله أولاً عن شروط الطلبة المقبولة التى تحقق استجابة الله.

كيف ينبغى أن نطلب ؟

(١) الله ينبهنا ألا ننشغل – كما يفعل غير المؤمنين – بالأمور المادية المتعلقة بالجسد "**فإن هذه كلها تطلبها الأمم**" مؤكداً أن "**أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها**" (مت ٦ : ٣٢). وبالتالى فالله يوفرها لنا "**هذه كلها تزاد لكم**" (مت ٦ : ٣٣) "**كعطايا للأبرار والظالمين**" (مت ٥ : ٤٥).

ولكن بالنسبة لأولاد الله فاحتياجهم الأول هو إلى "**ملكوت الله وبره**" (مت ٦ : ٣٣). فلنجعل مطالبنا الأولى إذاً فيما يتعلق بما لا يرى ولا يفنى : أى من أجل تتميم خلاصنا، وتعرية خطايانا المستترة ومساندة توبتنا، والتدخل فى الضيقات كى لا تعرِّض سلامنا للخطر وإنما تؤول لدعم إيماننا، والسؤال من أجل الآخرين بدافع المحبة، وهكذا.

(٢) بينما **تقتدر طلبة البار كثيراً فى فعلها** (يع ٥ : ١٦) فإن **ذبيحة الأشرار وطرقهم مكرهة الرب** (أم ١٥ : ٨، ٩) وطلبتهم مرفوضة إن هم بقوا فى خطيتهم "**حينئذ يدعوننى فلا أستجيب. يبكرون إلىَّ فلا يجدوننى**" (أم١ : ٢٨). ولكن الباب مفتوح أمامهم إذا جاءوا تائبين يطلبون الرحمة والغفران

(صلاة العشار – لو ١٨ : ١٣).

أما أولاد الله الثابتين فى الكرمة المقتفين خطى الرب الحافظين وصاياه فلهم امتياز دخول طلبتهم إلى محضر الله، بل ومساندة الله لهم حتى دون طلب **"لأنه تعلّق بى أنجّيه أرفّعه لأنه عرف اسمى. يدعونى فأستجيب له. معه أنا فى الضيق. أنقذه وأمجده. من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى"** (مز ٩١ : ١٤ – ١٦)؛ **"إن ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم"** (يو ١٥ : ٧)؛ **"مهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه"** (١يو ٣ : ٢٢). وقد كشف الكتاب عن استقامة قلب زكريا وأليصابات والتزامهما إذ قال **"كان كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم"** (لو ١ : ٦) فنالا بغيتهما رغم الانتظار الطويل.

(٣) الله يجعل ثقتنا فيه، كقادر على كل شئ، شرطاً لنوال العطية. فإيماننا يعنى تصديقنا لوعود الله، وارتيابنا يحرمنا من العطية، إذ كيف نطلب ممن لا نثق أنه يعطى. هى طلبة زائفة إذاً، وبالتالى **كيف يعطى الله لمن لا يصدق أنه قادر أن يعطى!**

على عكس ذلك، فالإيمان يفترض أن الاستجابة قد تمت حتى ولو لم ينل المؤمن شيئاً فى الحال. والواثق – إذ يطلب – يجعل الله بينه وبين المشكلة، فهى لم تعد هناك لأنها طُرحت أمام الله وصارت مسئولية القدير. أما المرتاب فإنه يظل يضع المشكلة بينه وبين الله، فهى دائماً أمامه – حتى أثناء صلاته غير الواثقة – لا تبرح مكانها حاجبةً عنه وجه الله الذى لا يعسر عليه شئ:

"كل ما تطلبونه فى الصلاة **مؤمنين** تنالونه" (مت ١٨ : ١٩، مر ١١ : ٢٣)؛ **"ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب"** (يع ١ : ٦، ٧).

(٤) يرتبط بثقتنا فى الله وإيماننا بوعوده وقدرته أن لا نكفّ عن الطلب منصتين إلى صوت الرب **"ينبغى أن يُصلَّى كل حين ولا يُملّ"** (لو ١٨ : ١)

عندما ذكر لنا مَثل قاضى الظلم. ولكن ليس القصد هنا أننا نذكّر الله باحتياجنا، فالله **"لم ينس صراخ المساكين"** (مز ٩ : ١٢)، وإنما نحن بإلحاحنا نعلن أمام أنفسنا دوام ثقتنا فى الله، ونؤكد تصميمنا على نوال العطية واحتياجنا لها وتعظيمنا لشأنها. **فيعقوب** فى مصارعته مع **الرب** صرخ **"لا أطلقك إن لم تباركنى"** (تك ٣٢ : ٢٦)، بينما **عيسو** المستهتر احتقر نعمة البكورية وباعها بسهولة مقابل أكلة عدس! (تك ٢٥: ٢٩ – ٣٤). ومن ناحية أخرى **فإن انسحاقنا يجعل أحشاء الله تحنّ إلينا وبرحمته يرحمنا** (إر ٣١ : ٢٠)، كما أن دوام صلاتنا ووجودنا فى محضر الله يملأنا سلاماً وطمأنينة ويهزم أيّة إيحاءات يدسّها فى فكرنا عدو الخير لانتزاع رجائنا فى إلهنا المحب.

(**٥**) يتناغم مع إيماننا بالله أن تتواصل طاعتنا وصبرنا والتزامنا دون أن نفقد ثقتنا فى أمانته إذا استمرت التجارب والآلام تنغّص علينا حياتنا رغم عدم توقف الطلب من أجل أن تنقشع:

"طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه. لا يقل أحد إذا جُرّب إنى أُجرّب من قبل الله لأن الله غير مجرِّب بالشرور وهو لا يجرّب أحداً" (يع ١ : ١٢، ١٣)؛

"لم تصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله أمين الذى لا يدعكم تُجرّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" (١كو١٠ : ١٣)؛

"لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد"(عب١٠: ٣٦).

(**٦**) يبقى أيضاً أن تكون الطلبة **حسب مشيئة الله وإرادته.** والرب عندما علّمنا الصلاة أوصانا أن نطلب مشيئته **"لتكن مشيئتك"** (مت ٦ : ١٠، لو ١١ : ٢)، لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى (رو ٨ : ٢٦)، ولا نعرف ما هو لخيرنا ولكن الله بالطبع يعرف، **فما أعمق غناه وحكمته و"ما أبعد أحكامه عن الفحص**

وطرقه عن الاستقصاء" (رو ١١ : ٣٣).

والرب وهو فى عمق آلامه سأل أن تعبر عنه هذه الكأس، ولكنه سلّم إرادته للآب **"فلتكن مشيئتك.. لتكن لا إرادتى بل إرادتك"** (مت٢٦ : ٤٢، مر١٤ : ٣٦، لو ٢٢: ٤٢).

والقديس بولس طلب لثلاث مرات أن تفارقه شوكة الجسد ولكن مشيئة الله كانت أن تبقى الشوكة لئلا ينتفخ من فرط الإعلانات وقيل له **"تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تُكمل"**، وتعلم **بولس** أن يُسرّ بالضعفات لكى تحل عليه قوة المسيح **"لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى"** (٢كو١٢ : ٧ - ١٠).

فماذا عن استجابة الله ؟

(**١**) هناك وعد إلهى صريح باستجابة الله للطلبات الروحية **"الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه"** (لو ١١ : ١٣). فعندما يسأل مؤمن من أجل القداسة أو التوبة أو الانتصار على الخطية أو الحصول على قوة فى الخدمة فكلمة الله تؤكد أن الاستجابة هنا مضمونة، وإنما على قدر طاعتنا وخضوعنا.

هنا كنز من الهبات المتعلقة بالحياة الأبدية، ولنمدّ أيدينا ونأخذ طالبين من الروح أن يهبنا الطاعة:

"هذه إرادة الله قداستكم" (١تس٤ : ٣)؛

"لا تبرحوا.. إلى أن تُلبسوا قوة من الأعالى" (لو ٢٤ : ٤٩، أع ١ : ٤)؛

"توبنى فأتوب لأنك أنت الرب إلهى" (إر ٣١ : ١٨).

(**٢**) قد تكون استجابة الله واضحة تمجد اسمه، كأن يَشفى من مرض أو يرفع ظلماً أو يمنح سلاما أو يُخرج من ضيقة، متى توفرت شروط الطلبة كما سبق وعرضنا:

"يا زكريا... **طلبتك قد سمعت"** (لو١: ١٣)؛

"ادعنى فى وقت الضيق أنقذك فتمجدنى" (مز ٥٠ : ١٥).

(**٣**) قد يرد الله علينا بكلمات الكتاب، مثلاً : **"لا تخف لأنى معك"** (تك٢٦: ٢٤)، **"لى النقمة أنا أجازى يقول الرب"** (تث٣٢: ٣٥، رو١٢ : ١٩)، **"فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة"** (عب ١٠ : ٣٥)، أو بأحداث الحياة اليومية، أو من خلال الأب الروحى أو أحد الناس، أو من خلال عظة أو قراءة، وعلينا أن نتلمّس إجابة الله بالتفتيش فى كلمة الله وبالتأمل فى كل جوانب نشاطنا اليومى.

(**٤**) قد يردّ الله برفض الطلب (**فالرب هنا قد أجاب بالفعل وقال لا**)، أو تأجيل الاستجابة، أو تحقيقه ولكن **فى الوقت المناسب** (مثل ميلاد **اسحق، صموئيل، يوحنا المعمدان**) حسب حكمة الله وعلمه. فميلاد **يوحنا المعمدان** تحقق عندما جاء ملء الزمان وأرسل الله ابنه مولوداً من امرأة لخلاص العالم وعيّن **يوحنا** ليكون ملاكاً يهيئ الطريق أمام المخلص معلناً قدومه إلى العالم.

وعلينا إذاً بعد أن **نطلب أن ننتظر ونترقب إرادة الله**، ونوطّن النفس على أن **تقبل ما يقرره الله**، واثقةً من حسن اختياره وكمال تدبيره، **شاكرةً له على كل حال** سواء رُفض الطلب لعدم ملاءمته أو لأضراره الخافية، أو تأخر الرد لأن أوانه لم يأت بعد.

وللمؤمنين الذين يسعون لمعرفة إرادة الله فى المواقف المصيرية التى لا تسعفهم عندها مواهبهم العقلية والروحية أو استشارة الآخرين فى تبيّن الأفضل، خاصة عند اختيار شريك (أو شريكة) الحياة، أو التفكير فى الهجرة، أو ما يتعلق بالدراسة أو العمل، فمشيئة الله سوف يكشفها إما أن الأمور تسير سلسة هينة (الله يوافق) أو أنها تتعثر وتصادفها العقبات (الله يرفض، أو يرفض الآن)

"أوجّه صلاتى نحوك وأنتظر" (مز ٥ : ٣).

الله المحب وعدنا أن يستجيب عندما نطلب..

ولكن يبقى أن نعرف كيف نطلب.

هل تختلف آلام المؤمنين ؟

عندما دعانا الرب يسوع أن نتبعه لم يعدنا بحياة تخلو من الآلام والأحـــزان والإخفاقات، بل إنه، أكثر من ذلك، اشترط علينا حمل الصليب إن أردنـــا أن نتبعه (مت١٦: ٢٤، مر٨: ٢٣، لو١٤: ٢٧)، وما يعنيه ذلك من قبول الآلام من أجله وتحمل عبء التبعية.

كما أن الرب أشار إلى الضيق الذى سيكون لنا فى العالم (يـــو١٦: ٣٣)، وأن العالم سيضطهدنا (يو١٥: ٣٠)، وأن الباب المؤدى إلى الحياة الأبدية ضيق وأن الطريق إليها كرب (مت٧: ١٤).

المؤمنون : بركات وآلام

ولكننا بالطبع ككل خليقة الله متمتعون بإنعامات الله وبركاتـــه الجـــسدية والأرضية "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره **وهذه كلها تزاد لكم**" (مـــت٦: ٣٣،

لو١٢: ٣١) "بركة الرب هى تغنى ولا يزيدُ معها تعباً" (أم١٠: ٢٢). وهو قد وعد من يترك ما عنده لأجله ولأجل الإنجيل "إلا ويأخذ مئة ضعف هنا فى هذا الزمان" (مر١٠: ٣٠) وأنه منحنا كل شئ بغنى للتمتع (١تى٦: ١٧). والمجتهدون من المؤمنين ينالون النجاح فى حياتهم وأعمالهم حسب عدل الله وقانون الحياة الذى يكافئ المجتهد (من جدّ وجَد)، فيكسبون مالاً ويصيرون أغنياء، ويديرون أعمالاً ضخمة ويتمتعون بالشهرة والنفوذ.

هذا كله مقبول طالما عاشوا بالإيمان ومخافة الله، ولم يكتروا لأنفسهم بل ظلوا أغنياء لله (لو١٢: ٢١)، ولم يتحولوا عن هدف الحياة الأبدية.

ولكن الرب لم يغفل عن أن ينبهنا أن المئة ضعف التى ينالها المؤمن الذى تخلى عما له لأجل الرب "**معها اضطهادات**" (مر١٠: ٣٠). فهذه هبة المسيح إلى مؤمنيه الحقيقيين "**وُهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أن تتألموا أيضاً لأجله**" (فى١: ٢٩). وهذه تضاف بالطبع إلى الآلام والأوجاع التى يتعرض لها الناس عموماً كثمار لخطية الإنسان ويشترك فيها الجميع "**بالتعب تأكل منها** (من الأرض) **كل أيام حياتك.. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى تراب تعود**" (تك٣: ١٧، ١٩). "اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو فقاوموه راسخين فى الإيمان عالمين **أن نفس هذه الآلام تجرى على إخوتكم الذين فى العالم**" (١بط ٥ : ٨، ٩).

أهل العالم : مسرات وآلام

ومن ناحية أخرى فإن حياة أهل العالم – حتى وإن اجتهدوا فى السعى وراء الأفراح الجسدية ولذات الحياة المادية وتعظم المعيشة – فلا مناعة عندهم ضد

الآلام والهموم وثمار الخطية المُرّة والمشاكل المتنوعة. ولا حيلة عندهم – كسائر البشر – أمام الأمراض والمفاجآت الأليمة والموت الذى يترصد الجميع صغاراً وكباراً. بل إن جانب الآلام فى حياة الناس هو الجانب الأكثر ظهوراً وتأثيراً فى الوجدان وبقاء فى الذاكرة، بينما ساعات الهناء قصيرة وسرعان ما يطويها النسيان. وعندما يتطلع الذين عاشوا طويلاً إلى حياتهم الماضية يدركون أن حجم المعاناة من تجارب وأمراض وآلام وأحزان وهموم وإحباطات كانت أكثر كثيراً من أيام السرور والهناء والفرح.

الآلام للجميع

نخلص إذاً أن حياة الناس جميعاً، مؤمنين كانوا أم غير مؤمنين، لن تخلو من المنغصات والآلام والهموم بكل ألوانها. ويضاف إليها فى حالة المؤمنين آلام الاضطهاد التى يتحملونها بسبب تبعيتهم للملك المسيح والتى يثيرها عليهم إبليس المشتكى عليهم نهاراً وليلاً (رؤ١٢: ١٠).

ولكن معاناة المؤمنين تختلف

هنا يتساءل البعض: ما الذى يناله المؤمنون بإيمانهم بالمخلص فى هذه الحياة إذا ظلّوا يعانون ما يعانيه أهل العالم من آلام؟!

لقد تخلّوا من أجل المسيح عن مسرات العالم وشهواته التى يستمتع بها أهله، ولم تتركهم الهموم والضيقات.

فهل فيما يعانيه المؤمنون وهم يجتازون آلام هذا الزمان يختلفون عما يعانيه غير المؤمنين؟ وهل يغيّر الإيمان المسيحى من تأثير الآلام ويجعل لها دوراً عند لقاء الرب بمؤمنيه فى اليوم الأخير؟.

هذا مؤكد.. فحتى إن كانت الآلام واحدة يقاسيها الجميع، فما يلاقيه المؤمنون يختلف بالتأكيد. وهذه هى الحيثيات:

(**١**) أن المؤمن لا يرى الآلام والتجارب خارجة عن خطة الله فى حياته وخلاصه، فهو مطمئن إلى سماح الله بها. ويردد مع مخلص العالم وهو يمضى نحو الصليب "**الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها**" (يو ١٨ : ١١)، ويقبل مثله إرادة الله "**لتكن لا إرادتى (لا ما أريد) بل إرادتك (ما تريد أنت)**"(مر١٤ : ٣٦، لو٢٢ : ٤٢) "**فإن الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم كما لخالق أمين فى عمل الخير**" (١بط ٤ : ١٩). فهو لا يرى اليد الطاعنة بالغدر ولا مؤامرة الأشرار، أو تدبير المضطهدين وعداء الظالمين المتعصبين، ولا خيانة الأهل والأصدقاء، ولا جوانب الإخفاق والفشل رغم الجهد، ولا مفاجآت المرض المبددة للآمال أو المهددة للحياة، **ولكنه يرى الله المحب ضابط الكل** الذى يحول كل خطط العدو والآلام المصاحبة للحياة لخير محبيه "**ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله**" (رو ٨ : ٢٨).

ويوسف الصديق، رغم ما أصابه من إخوته الذين آذوه وباعوه كعبد، لم يحمل لهم أية ضغينة. وعندما التقى بهم بعد سنين طويلة وهو فى موقعه السامى فى مصر لم تتحرك فى قلبه رغبة الانتقام بسبب أنه **لم ير غير الله فى كل ما حدث له**. وبينما إخوته مرتعبون مما قد يضمره لهم، كان هو – على العكس – يجتهد فى أن يخفف عنهم إحساسهم بالذنب باعتبار أن مشيئة الله كانت فوق مشيئتهم، وأن الله استخدمهم لتحقيق خطته، وكانت كلمات الإيمان التى أضاءت اللقاء "**لا تتأسفوا**.. لأنكم بعتمونى إلى هنا. **لأنه لاستبقاء حياة أرسلنى الله قدامكم. فالآن ليس أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله.. أنتم قصدتم لى شراً أما الله فقصد به خيراً**" (تك ٤٥ : ٥، ٨، ٥٠ : ٢٠).

(**٢**) إن المؤمن لا يتألم وحده. وقد سبقنا الرب المخلص- وهو القدوس البار – إلى طريق الآلام بإرادته. فأحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها **والرب وَضع عليه إثم جميعنا** (إش ٥٣ : ٤، ٦). **وهو إذ قد تألم مجرَّباً يقدر من ثم أن يرثى لضعفات المؤمنين وأن يعين كل المجرَّبين** (عب ٢ : ١٨، ٤: ١٥). ومعلمنا بطرس ينبهنا إلى أن المسيح أيضاً تألم لأجلنا **تاركاً لنا مثالاً لكى نتبع خطواته** (١بط ٢ : ١٢). والقديس بولس يعتبر أنه فى كل ما يتألم به يكمل نقائص شدائد المسيح فى جسده، كأنما المسيح – رغم كمال آلامه الخلاصية – سمح لنا أن نشترك معه فى آلامه، باعتبارنا جسده.

(**٣**) إن حضور الله فى حياة المؤمنين يجعل للتجربة سقفاً لا تتعداه. فالله يراقب التجربة وهى تتصاعد ويضبط تداعياتها (١كو١٠ : ١٣)، ويستخدمها لمساندة إيمانهم وتعضيده، بحيث يتهيأ الإيمان للتعامل مع تجارب أشد تحقق قصد الله فى إعدادنا لغلبة ما يأتى علينا وتأهيلنا للحياة الأبدية.

فلكى يلتقى **داود** مع جليات تهيأ لذلك بلقائه السابق مع الأسد والدب، فلم ترعبه قامة جليات ولا سيفه ورمحه وترسه بل استصغر شأنه، لأنه كان مستنداً إلى "**قوة رب الجنود**" الذى وقف معه فى تجربته السابقة (١صم ١٧: ٣٧، ٤٥، ٥٠).

إن حضور الله فى وسط التجارب هو الذى يصنع الفرق الأساسى بين معاناة المؤمنين ومعاناة أهل العالم الذين قد يمرون بنفس الآلام. والذين سبقونا فى طريق الحياة الروحية المنتصرة علمونا أنه لا يهم حجم التجارب التى يسمح الله لنا بها طالما أن الله يقاتل معنا وعنا.

وإذا لم يكن للتجربة من فضل غير أن نقترب أكثر من الله فهذا يكفى. فالتعرض للتجربة والتمتع بشركة الله أفضل من حياة بدون تجربة ومتغربة عن الله.

والمؤمنون المختبرون يضعون الله بينهم وبين التجربة فيتوارى تأثيرها، ولا

يرون غير وجه الله المنير فيتعزون ويفرحون بأن الأمر قد انتقل إلى تـــدبير الله. بينما المبتدئون تضغط عليهم التجربة ولا يجدون منها مهرباً. وعندما يلجـــأون إلي الله لا يطرحونها عليه ويلقون بها عند أقدامه، وإنما تظل تثقل كاهلهم. فهى منتصبة بكل قوتها بينهم وبين الله، تحجب عنهم صورة الله. وتنتـــهى الـــصلاة والقلب مثقل بالهم ولا ينالون العزاء "**لأن المرتاب يشبه موجاً من البحر تخبطـــه الريح وتدفعه فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئا من عند الرب**" (يع١: ٦، ٧).

وسيكون الأمر مع غير المؤمنين شيئاً من العذاب وسيراً فى الظلام. فـــالآلام بدون حضور الله قاسية جداً وخالية من المؤاساة والتعزية. إنها تحمـــل اليـــأس والإحباط والتعاسة بل وتمنى الموت "**أما حزن العالم فينشئ موتاً**"(٢كو٧ : ١٠).

(٤) إن أبسط بركات التجارب والآلام للمؤمنين أنها تنقّيهم من مثالبـــهم، **كما يتنقّى الذهب من الشوائب بالانصهار فى النار، ليصير إيمانهم لائقاً بالمجـــد فى اليوم الأخير** "**أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مـــستعد أن يعلـــن فى الزمان الأخير**. الذى به تبتهجون مع أنكم الآن إن كان يجب تُحزنون يـــسيرا بتجارب متنوعة لكى تكون **تزكية إيمانكم – وهى أثمن من الذهب الفانى مع أنه يمتحن بالنار– توجد للمدح والكرامة عند استعلان يسوع المسيح**"(١بط١: ٥– ٧).

فالتجربة تكشف الأركان الضعيفة وتراجُع الثقة فى الله وإهمـــال العبـــادة وقراءة كلمة الله، وربما أيضاً الانزلاق إلى ما لا يليق، وهكذا تعجّل التجربـــة بالتوبة المطهرِّة وتصحيح المسار "**لأن الحزن الذى حسب مشيئة الله ينشئ توبـــة لخلاص بلا ندامة**" (٢كو ٧ : ١٠).

(٥) إن أفراح العالم جسدية سطحية مؤقتة : فجلسات الضحك والسرور واللذات والحفلات الساهرة بكل ما فيها من ألوان الترفيه مداها قصير وتتـــرك الإنسان خاوياً مجهداً ينشد الراحة. ويعقب ذلك الكآبة بالرجوع إلى الواقـــع

بمشاكله وهمومه التى لم تتغير.

والفرح باقتناء الغالى والثمين من الأشياء والتفاخر بها سرعان ما يفتر بعد أن تفقد الأشياء رونقها وبهاءها وإثارتها الأولى ويتطلع بعدها إلى المزيد. والأموال تُشتهى حتى تتراكم وتتحول إلى مجرد أرقام غير قادرة على إعادة الصحة الضائعة أو السعادة العائلية المفقودة أو الحياة التى يغيبّها الموت، وغيرها وغيرها.

بينما تعزيات الروح فى الصلاة والتوبة والاعتراف واللهج فى كلمة الله والاشتراك فى القداسات واجتماعات المؤمنين تترك راحة وسلاماً وطمأنينة بإيداع النفس والأعمال وكل الحياة بين يدى الراعى الأمين وضابط الكل. فحتى لو كانت الدموع فى المآقى والحزن فى سطح القلب فإن الأعماق يغمرها السلام واليقين فى تدخل الله فى الوقت المعين مع ثقة "**بأن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله**" (رو ٨ : ٢٨).

وبالنسبة للمؤمنين الأغنياء فهم لا يكترون هنا وإنما فى السماء (مت٦ : ٢٠)، فهم متجنبّون لمحبة المال التى هى "**أصل لكل الشرور**" (١تى٦: ١٠)، وإنما يسخّرون أموالهم لخدمة الله والقريب فينشئون مشروعات يعمل فيها الناس، وينتشلون الفقراء من فقرهم وهامشيتهم ليأخذوا موضعهم بين سائر المؤمنين، ويقدمون الكثير للكنيسة واحتياجاتها، ويقيمون المؤسسات لخدمة المجتمع وهكذا تصير أموالهم خيراً عميماً. ومن هنا تمتلئ قلوبهم فرحاً باستثمار هبات الله لخدمة العالم مع دوام تبعيتهم للرب الذى أفاض عليهم الخير فلا يستبدلون بالرب عطاياه. فاتكالهم ليس على أموالهم وإنما على الله الذى تظل عبادته فى المقام الأول. ولهم أوقاتهم لقراءة الكلمة وممارسة النسك. وهكذا يظل المال عبداً لهم وكلما أعطى الرب أكثر أنفقوا أكثر. وكلما أنفقوا أكثر زاد فرحهم أكثر. وحتى لو فقدوا كل أموالهم فلن يغير ذلك من الأمر شيئاً. فالرب يبقى لهم كل شئ "**الرب أعطى والرب أخذ ليكن اسم الرب مباركاً**" (أى١: ٢١).

(٦) إن ما تلوّح به الخطية من ألوان السرور والتنعم هو خداع وكـــذب. فإبليس رئيس العالم، الموضوع فى الشرير، هو الكذاب وأبو الكذاب (يو٨ : ٤٤).

فالذين يتزلقون إلى الخمر والمخدرات والقمار سعياً وراء التحليق فى عوالم السعادة هم مخدوعون واهمون. فهؤلاء تنتظرهم الأمراض التى تفتك بالجـــسد والعقل والنفس، أو الفقر والخراب، أو التشرد، أو الجريمة والسجن، وفى النهاية الموت الأبدى، لا يختلف فى ذلك كبـــار القـــوم وعامتـــهم، المـــشهورون أو المجهولون، والأسماء الكبيرة أمامنا تتساقط كل يوم .

والشباب الذين لا يسعون إلا للذة الجسد ويتحللون مـــن كـــل المبـــادئ الأخلاقية باعتبارها تراثاً متخلفاً، هادفين فقط إلى إشباع غرائـــزهم دون أى التزام أو تحمل للمسئولية، هم يضيعون أحلى أيام عمرهم فى لذات لا تـــشبع أبداً، وسيظل جوعهم وعطشهم لا يتوقف كأنما هم ينهلون من ماء البحـــر، والنتيجة خسارة أنفسهم، وتدمير وظيفتـــهم كآبـــاء وأمهـــات للمـــستقبل، وخضوعهم للأمراض باستهلاكهم لنعمة الجسد الذى وهبهم الله إياه **"فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه"** (أف٥: ٢٩) وفقدان فرص التعلم والعمل المناسب فهم خسروا أنفسهم كما خسرهم المجتمع .

على العكس من ذلك، فإن المتمتعين بالخلاص قد **صار جسدهم هيكلاً للـــروح القدس** أى تقدست أعضاؤهم وصارت للمسيح، وهم **لا يجرأون أن يأخذوا أعضاء المسيح ويجعلوها أعضاء زانية** (١كو ٦ : ١٥). وفى هذا فإن الروح القدس يؤازرهم فى حربهم الروحية ويهبهم النصرة مدبراً لهم الأسلحة المناسبة التى بها يغلبون "فاثبتوا ممنطقين احقـــاءكم **بالحق** ولابسين **درع البر** وحاذين أرجلكم باســـتعداد **إنجيـــل السلام**. حاملين فوق الكل **ترس الإيمان** الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا **خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله"** (أف٦: ١٤- ١٧).

فالإنسان هو الإنسان والجسد هو الجسد، ولكن المؤمن قد تقدس بالروح فى سرى المعمودية والميرون، ويحيا بالإيمان وكلمة الله والصلاة، ثابتاً فى المسيح بشركة الجسد والدم ورفقة الروح وحضور المسيح واستخدام الأسلحة الموهوبة لنا مجاناً وهى التى تمنح المؤمنين اجتياز ساحة الحرب ذاتها – ربما بخسائر مادية– ولكن بخروج النفس سالمة منتصرة ومحفوظة لحضور حفل الانتصار الأخير بمجئ الرب وانضمامها إلى عرس المفديين الذين ينشدون تسبحة الغلبة والخلاص بلا نهاية.

(٧) إن كل آلامنا هنا كمؤمنين هى جزء أصيل من خلاصنا ومن ثم فهى محسوبة أمام الله الذى سيجازينا عما عانيناه – سواء هنا على الأرض أو فى الحياة الأبدية. والذين اشتركوا مع المسيح هنا فى حمل صليبه سيتمتعون بمجد قيامته الأخيرة "**إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه. لأنى أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا**" (رو ٨ : ١٧، ١٨)، "**بل كما اشتركتم فى آلام المسيح افرحوا لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين**" (١بط ٤: ١٣). بل إن الآلام التى اشترك فيها المؤمنون مع إخوتهم (غير المؤمنين) الذين فى العالم (١بط ٥ : ٩)، والتى لم تكن بالنسبة لهؤلاء غير الثمار المُرة لدخول الخطية إلى العالم، فهى قد دمرت حياتهم هنا كما أسلمتهم إلى الهلاك الأبدى، هذه الآلام – رغم ارتباطها أصلاً بالخطية والتى حمل الرب عبئها عنا بالصليب (كو ٢ : ١٤) – قد أضيفت إلى رصيد آلامنا التى حملناها من أجل المسيح وتبعيته والإيمان به ونشر ملكوته. فلم تعد عبئاً نحمله صاغرين وإنما داعياً لقيامة أفضل ومجدٍ أبهى وأعظم "**حينئذ يضئ الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم**" (مت ١٣ : ٤٣).

(٨) وحتى الموت – وهو قمة المعاناة الإنسانية – له عند المؤمنين أثر يختلف. فهو عند **غير المؤمنين** نهاية الحياة الحاضرة وبداية الموت الأبدى والدخول إلى عالم

الظلمة بلا نهاية.

أما عند **المؤمنين** فهم متمتعون بانتصار المسيح على الموت بقيامته، فبموتهم على الأرض يبدأون حياتهم الأبدية. وهذا اليقين يجرد الموت من جبروته ولا يبقى من سطوته غير الدموع فى المآقى إن وجدت. ولكنه يأتى ويمضى. والنفوس المؤمنة تودع أحباءها المنتقلين بالفرح لأنهم أكملوا أيامهم وسعيهم وأتعابهم ومضوا إلى سكنى النور مع الرب المنتصر. والذين يواجهون الموت هم أنفسهم لم يعد يخيفهم لقاء الموت المجهول لأن الرب عندما جازه جرّده من رعبه ووحشته، ويرددون مع داود "**إذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى**" (مز ٢٣ : ٤)، ويهتفون مع بولس : **لنا اشتهاء أن ننطلق ونكون مع المسيح "ذاك أفضل جداً"** (فى١ : ٢٣)، وهم قد أعدوا أنفسهم لهذا منذ زمان : بأن **ليس لهم هنا مدينة باقية ولكنهم يطلبون العتيدة** (عب١٣: ١٤) **مبتغين الوطن الأفضل السماوى** (عب ١١ : ١٦).

آلام المؤمنين إذاً أكثر. فإضافةً إلى ما يشتركون فيه مع غير المؤمنين من آلام يختمها الموت بكل قسوته، يحتملون آلام تبعية الرب التى يثيرها عليهم العالم بقيادة عدو كل خير. ومع هذا فإن المحصلة النهائية لآلام المؤمنين تختلف عما لغيرهم سواء فى حدود تأثيرها على المؤمنين وبركاتها وجدواها هنا على الأرض أو بما تؤول إليه فى الأبدية من مجد أعظم بما لا يقاس من كل ما تألموا به. وها نحن قد فصّلنا الأسباب.

وبقى أن نشكر الله على كل ما يسمح لنا به من آلام منشدين مع القديس بولس :

"من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عـــرى أم خطر أم سيف.. فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا" (رو ٨ : ٣٥، ٣٨، ٣٩).

مواقف لاختبار الإيمان

بعد التخرج من الجامعة والانخراط فى سلك العمل يتغير إيقاع الحياة ويودّع الشاب (أو الشابة) حياة الدراسة محدودة المسئولية، محدودة الهموم، حيث الوقت متسع لصحبة الأصدقاء والترفيه واللهو البرئ وإشباع الهوايات، وحيث لا يعكر الصفو سوى فترات الامتحانات وهى محدودة.

وفى هذا السن الغض يندمج كثير من الشباب فى حياة مسيحية نشطة، أعضاء فى اجتماعات الشباب أو شمامسة أو خدام أو خادمات، وربما انتظموا فى دراسة الكتاب أو اختبروا التوبة ومارسوا حياة الاعتراف المنتظم والتناول.

ولكن يمكن القول إن نوع الحياة فى حضن العائلة ونمطية الحياة الدراسية قد لا تكون هى الفترة المثلى لاختبار الإيمان والتوجه الحقيقى نحو الله والاتكال الكامل عليه.

ولا شك أنه مع دخول الشاب إلى حياة العمل واستغراقه فيه وتحمله

مسئوليته، وبدء تكسّبه بجهده، ومحاولة إثبات الذات، وتنوع نشاطه واحتكاكه مع أنواع مختلفة من البشر، مع نمو طموحه وتطلعه إلى المستقبل، يتعرض الشاب (أو الشابة) من ثم لعديد من المواقف، يمتحن فيها صدق مسيحيته وأصالة إيمانه وثبوت أقدامه فى طريق الحياة الأبدية، نختار منها المواقف التالية: العمل، المال، اختيار شريك الحياة، الهجرة.

(١) العمـــل

يتراجع النشاط الروحى والانشغال بالله بالنسبة للبعض انشغالا بالعمـــل، فالعبادة تتعثر وتفقد انتظامها، ولو كان الشاب خادما ربما توقفت خدمته جزئيا أو كليا. وربما لا يثير القلق أن تتوقف خدمة الخادم فى فصل التربية الكنـــسية بسبب مواعيد العمل الطويل، ولكن الخوف هو أن تتراجع أهـــداف الـــشاب (أو الشابة) التى كانت روحية وتتحول الآن إلى العمل كهدف فى ذاته، وليس كموقع يسمح به الله له لتمجيد اسمه، وممارسة محبة الآخر وخدمته.

إن العمل بركة أفاضها الله على الإنسان منذ خلقة آدم وحتى قبل السقوط (ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها – تك٢: ١٥)، وهو ضـــرورة لنمـــو الشخصية الإنسانية وبدء استقلال الفرد عن عائلته ليتحمل مـــسئولية حياتـــه وخدمة المجتمع الذى يعيش فيه ردًّا واستثمارا لما ناله من مجتمعه مـــن تعلـــيم وخدمات ورعاية خلال سنى حياته.

والنفس المؤمنة، التى أسلمت قيادها لروح الله، لن يكون عملها ونزولها إلى العالم بخيره وشره عقبة أمام استمرار حياتها فى المسيح بنفس حرارتها الروحيـــة والتزامها بالإنجيل وممارستها للتوبة كل يوم، معتبرة مجال عملها حقلا للمناداة باسم المسيح فى سلوكها ومعاملاتها. لقد اتسع فصل مدارس الاحد – الذى لم يتح العمل للخادم العودة إليه – ليصبح هو العالم الرحب من حوله. فالخـــادم

سيظل خادما كل الأيام، وإذا كان عمله يقتضى تعاملا مع الناس (طلابا كانوا أو مرضى أو زملاء أو جمهورا من أى نوع) فهم جميعا إخوته ومجال خدمته الذين يعاملهم بالحب والحزم والتوجيه والعطاء السخى، وليس بالتعالى أو التمييز أو الإهمال أو فقدان الصبر.

لقد أُرسلنا إلى العالم **"نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا"** (٢كو٥: ٢٠). ونحن فى مواقع عملنا (خاصة لو كنا معلمين أو أطباء - كما كان المسيح) متاح لنا فرصة ممتازة لخدمة إخوة المسيح الذين هم كل من تضعهم ظروف الحاجة أمامنا (**بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم** - مت٢٥: ٤٠).

النفس المؤمنة التى اختبرت حبها لشخص المسيح لن تسمح للعمل (خاصة لو كان مضنياً ملتهما للوقت والجهد) أن يكبلها عن ممارسة عبادتها: صلاةً وصوما وتوبةً، ومعرفةً مستمرة لكلمة الله والتزاماتها كمرشد للطريق كل الأيام، والاستعداد الدائم للاشتراك فى عشاء الرب، ولن تسمح لأمراض المجتمع وانحرافات العمل أن تتسلل إلى قلبها، أو لزملاء السوء أن يكون لهم موقع فى حياتها، أو للرئيس المتعنت أن يسلبها سلامها أو يهز ثقتها فى إلهها.

(٢) المال ورفاهية الحياة

يحذرنا الكتاب من محبة المال، أصل الشرور والأوجاع (١تى٦: ١٠)، ويدين الأغنياء المتكلين على أموالهم ويشير إلى صعوبة دخولهم الملكوت (مر١٠: ٢٤، مت١٩: ٢٣)، وينهى عن الشهوات وتعظم المعيشة (١يو٢: ١٦). ولكن المال ليس شرا فى ذاته فهو أداة ووسيلة وضرورة حياة. والأفراد والمجتمعات والحكومات والكنائس والأديرة فى حاجة إلى المال لسد المطالب والإنفاق على كل ما يفيد الإنسان ويؤّمن له يومه وغده ورقى الحياة

وتقدمها. فالفقر أحد أعداء الإنسان، يسلبه كرامته ويصيبه بالتعاسة ويعطل علاقته بالله. ومن ناحية أخرى فإن المال يمكن أن يتحول إلى إله معبود (**لا تقدرون أن تخدموا الله والمال**- مت٦: ٢٤)، ووسيلة للانحراف وانتهاك القوانين ووصايا الله، والإغراق فى الحياة الجسدية والتمتع الشره بملاذ العالم، مما يقود الإنسان إلى فقدانه حريته وسقوطه فى هاوية الهلاك.

وللمؤمن موقف من المال. فهو يجتهد فى العمل ليحصل على ما يكفل له حياة كريمة ولكنه لا يتزلق إلى الطمع أو الشراهة، وهو تعلم أن يكون مكتفيا ويعرف كيف يعيش بالقليل أو الكثير (فى٤: ١١-١٢) دون أن يتسلط عليه شئ (١كو٦: ١٢). فالمال عنده هو خادم جيد وليس سيداً شريرا. وهو إن أعطاه الله المال الكثير يراه بركة لإنفاقه فيما يمجد الله، ويخدم به بيته وكنيسته والعالم من حوله. وهو قد تعلم كيف يفرح بتقديم العشور حتى تجاوزها أضعافا، وهو وإن تطلع إلى حياة لائقة بوضعه الاجتماعى فلن يسمح بغرور الغنى(مت١٣: ٢٢) أن يقتحم حياته. وحضور المسيح فى حياته يحفظ له قناعته (١تى٦: ٦) وغناه الحقيقى بالإيمان. وهو رغم وفرة ما يملك وقدرته أن يملك أكثر لكن هذا كله لا يحيا فيه ولا يشغله، ودوره هو دور (**الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على جميع أمواله**- مت٢٤: ٤٥-٤٧، لو١٢: ٤٢). وهو يعرف كيف يعيش حياة النسك، والعفة، وكيف يصوم وكيف يخدم القديسين وكيف يسهم فى الإنفاق على الكنيسة والمجتمع.

(٣) اختيار شريك الحياة

هذا مجال أساسى لاختبار الإيمان المسيحى. فالزواج غريزة إنسانية، وعدا الأقلية المدعوة للبتولية، فإن كل الشباب سيواجهه، فى مرحلة ما، أمر اختيار شريك الحياة.

ولا شك أن هذا الاختيار أمر مصيرى ويقع البعض إزاءه فى حيرة. فمن لهم

بضمان حسن اختيارهم خاصة أن البعض يغريه الظاهر من جهة الجمال أو المال أو المركز الاجتماعى، ومن لهم بالتعرف الحقيقى على "الشخص" ومدى مناسبته. ولأن حالات الإخفاق لا تنتهى والمشاكل الزوجية أكثر من أن تحصى، يظل القلق والحيرة قرين من يفكرون فى اختيار شريك الحياة.

ولكن الإيمان المسيحى يقدر أن يعبر هذه الحيرة. فمطالب المؤمن المسيحى الأولى فى شريكة الحياة (أو العكس) ليست هى ما يشغل غيره. **فهو ينشد من تشاركه إيمانه ومبادئه الإنجيلية ومن اختبرت حياة القداسة مثله، وبعدها يطلب توافقا فكريا وعاطفيا وثقافيا وشخصيا واجتماعيا – على قدر ما يمكن إدراكه – بحيث تتراجع القيم المادية والشكلية من موقع الصدارة. وهو يتوسل بالصلاة والتوبة لكى يختار له الله، وسوف يتيقن أنها مشيئة الله لو سارت الأمور دون عقبات، ولو توقفت أو حاصرتها المصاعب فسيذعن لإرادة الله وينتظر الاختيار الإلهى.**

وعلى قدر أمانة الشاب (أو الشابة) فى عدم التنازل عن مطالبه الأولى فى إيمان الشريك، وعدم خضوعه لتدخلات الآخرين الذين يهونون من مسألة الإيمان والسلوك الروحى وأن هذا سوف يأتى مع الأيام تأثير الشريك، وأنه يكفيه مالها أو جمالها أو مستواها الاجتماعى..الخ، فإن الله لن يخيب رجاءه، وسوف يهبه فى الوقت المناسب من تسانده جهاده المخلص فى الحياة وتبنى معه هيكلا للروح القدس للكنيسة الصغيرة (**الزوجة المتعقلة فمن عند الرب**- أم١٩: ١٤).

وحتى لو انتهى الأمر أن المؤمنة لم تجد زوجا مناسبا (أو العكس) فإنه من الخير لها أن تبقى هكذا، وتجتهد فى إشباع عواطفها فى خدمة الآخرين وحفظ عفتها بالقداسة، من أن تتزوج بأى شكل فتتعثر حياتها وتضطر للتنازل عن مبادئها الإيمانية، فتكون قد فقدت كل شئ.

(٤) الهجرة

دخلت هذه الكلمة (بمعناها المقصود هنا أى النزوح خارج الوطن) قاموس حياتنا منذ حوالى نصف قرن. ولكنها ليست غريبة فى العالم كله ومن أول الدهور إن اختياراً أو إجباراً. فالإنسان يسعى دوما للعيش الأفضل ولو احتاج إلى الانتقال إلى بلاد جديدة لبعض الوقت أو كل الحياة (وفى بلادنا الهجرة دائمة من الريف إلى المدن).

وبالنسبة للمؤمن المسيحى، لاغضاضة أن يفكر فى الهجرة إلى بلاد الفرص الأفضل للحياة الكريمة. فللرب الأرض وملؤها (مز٢٤: ١، ١كو١٠: ٢٦،٢٨). ولكن هناك تحفظا أساسيا. فالمؤمن قد يقبل الهجرة إلى بلد يُشبع رغبته فى الحصول على درجة علمية، أو يجد فيه تقديرا أفضل لتخصصه، أو من أجل دخل أعلى، أو إلى غير ذلك خاصة لو توفرت الكنيسة فى ذلك المكان؛ ولكن المؤمن لن يسمح لنفسه أن يفكر فى الهجرة هربا من الصليب او تبرما من حمله أو ضيقا بالاضطهاد أو الظلم أو التمييز بسبب إيمانه. فالهجرة هنا إنكار للإيمان وتحلل من التزاماته وتخلٍّ عن تبعية المخلص (**لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه**- مت١٦: ٢٦).

وفى يقين المؤمن أن الحياة فى بلاد المهجر ليست نزهة هانئة، ولن تخلو من المصاعب والسلبيات، فضلا عن أحاسيس الغربة الأليمة، مع ما يتهدده من شيوع الانحلال والسقوط فى مستنقع الحياة المادية والانشغال بالجسديات، إضافة إلى ضرورة بذل الجهد المضاعف من أجل تحقيق النجاح. إن كل ما يهم المؤمن فى أى موقع كان أن تستمر علاقته بمخلصه إيجابية نشطة، وأن يلتمس إرادة الله الصالحة قبل أى خطوة فى أى اتجاه مسلّما قياده للرب ضابط الكل.

وسواء سمح الرب بالهجرة والاستقرار، أو أن يمضى الشاب بعض السنين بعيدا ثم يحاصر بالإخفاق أو لا تروقه الحياة هناك فيعود، أو يشاء الله له البقاء فى وطنه رغم المصاعب. فراحة قلب المؤمن هى فى طاعته لإرادة الله والثقة فى مواعيده، والقبول بكل الشكر لترتيبات الله الذى ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء (رو١١: ٣٢) والذى يبقى أمينا لن يقدر أن ينكر نفسه (٢تى٢: ١٣).

◈ ◈ ◈

والمواقف التى ستقابلنا خلال مسيرة الحياة كثيرة. وفى كل مرة سيتعين علينا أن نمتحن أنفسنا ونختبر إيماننا، ولا بديل من أن تكون النتيجة لنا لا علينا.

ولنسأل رئيس إيماننا و مكمله أن يسندنا فى كل مواقف الحياة كى نظل له شهوداً حتى الساعة الأخيرة.

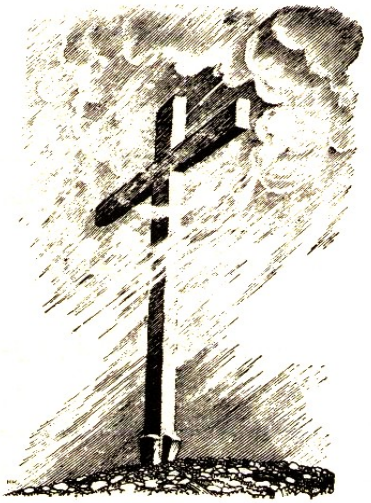

ثمار الحياة المسيحية

+افرحوا

+ جدية الحياة المسيحية

+ الإيجابية سمة مسيحية

افرحـوا

نقول: "**الفرح المسيحي**" تحديداً، لأن الفرح في المسيح يختلف بالقطع عن الفرح الذي يعرفه العالم. ففرح العالم علامته السرور الظاهر، ويـــرتبط بلـــذة الجـــسد السطحية والمسرَّات، في الطعام والمال والممتلكات وشهوة الجنس والسلطة وتحقيق الأهداف المتصلة بالعالم الحاضر. وهذا الفرح قصير العمر، وإن تعالَى فهو يفتر بعد حين، وتطوِّح به الهموم والتجارب والهزائم وخوف الغد والأمراض والوحدة وتغيُّر الأحوال واقتراب الموت.

والمسيحي في العالم يختبر شيئاً من هذا الفرح في مناسبات كثيرة: في الأعيـــاد والحفلات واجتماعات الصحاب. وهو يقبله ويسعد به، ولكنه لا يعوِّل عليه، لأنه يعرف أن هذا يأتي ويذهب. وإنما فرحه الحقيقي، الذي وهبه له الروح بموت الابن وقيامته وملكوته الأبدي، ثابت دائم، تعبُر به صروف الحياة وآلامها (التي تعبُر على كل الناس)، ولكنها لا تنال منه إلاَّ كما تنال الرياح من الجبال، ووجوده لا علاقة

له بحضور الابتسام والضحك أو غيابهما، فمكانه أعمق، وهو يبقى حتى ونحن في الظلام، وهنا لا ينقطع تسبيحنا وتبقى أصوات الحمد مُرنِّمة. **ودوام الفرح المسيحي يرتبط بعمل فوق الطبيعة البشرية، لأنه ليس نتاج عواطف، وإنما هو عمل الروح القدس وثمره. إنه فرح في الرب** (مز ٣٢: ١١؛ ٣٥: ٩؛ ١٠٠: ٢، إش ٦١: ١٠، رو ١٤: ١٧، في ٣: ١؛ ٤: ٤، ١تس ١: ٦، فل ٢٠).

حياة الرسل كنماذج للفرح في الروح

والمرء يَدهش عندما يتابع حياة خادم مناضل كالرسول **بولس** يتعرَّض في خدمته لكل صنوف الآلام والاضطهاد، فضلاً عن شوكة مرض جسده؛ ولكن الفرح لا يُفارقه سواء في سلوكه أو في كتاباته. فهو مع **سيلا** في السجن لا يطويهما ظلامه وكآبته وأغلاله، وإنما هما قائمان نحو نصف الليل "**يصليان ويُسبِّحان الله والمسجونون يسمعونهما**" (أع ١٦: ٢٥). فلم تكن صلاتهما أنيناً خافتاً، وإنما تسبيحاً عالياً مستنداً إلى إله يؤمنان بقوته وانتصاره المحتوم حتى أن السجن تزعزع من أساسه.

وهذه مقتطفات من رسائل **القديس بولس** يُعبِّر فيها عن فرحه كما يحث فيها المؤمنين أن يفرحوا في الرب كل حين، مع أن بعضها يكتبه من السجن أسيراً في سلاسل، أو وهو يُصارع الآلام والاضطهادات: "**كحزانى ونحن دائماً فرحون**" (٢كو ٦: ١٠)، "**لذلك أُسَرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح**" (٢كو ١٢: ١٠)، "**افرحوا في الرب... افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا**" (في ٣: ١؛ ٤: ٤، ١تس ٥: ١٦)، "**الآن أفرح في آلامي لأجلكم**، وأُكمِّل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة" (كو ١: ٢٤).

.. وها هما **القديسان بطرس ويعقوب** يحثّان المؤمنين على الفرح الحقيقي في الروح حتى ولو كانوا يجتازون التجارب: "ذلك وإن كنتم لا ترونه (أي الرب) الآن **لكن تؤمنون به، فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد**" (١بط ١: ٨)، "**احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة**" (يع ١: ٢).

منابع الفرح المسيحي

(١) التمتُّع بالخلاص والنصرة

إذا كانت الخطية هي مصدر التعاسة والشعور بالإثم وسيادة الظلام، فإنَّ التمتُّع بخلاص المسيح وحضوره ورفقته وعنايته ورعايته كل الأيام، وعمل الروح القدس، هو الينبوع الرئيسي لفرح المسيحي ودوامه. والرب أذاع هذا السر لتلاميذه قبل الصليب والقيامة قائلاً: "المرأة وهي تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت، ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح، لأنه قد وُلد إنسان في العالم. **فأنتم كذلك، عندكم الآن حزن. ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم، ولا ينزع أحدٌ فرحكم منكم**" (يو ١٦: ٢١و٢٢). وها هم **تلاميذ الرب يفرحون "إذ رأوا الرب" بعد قيامته** (يو ٢٠: ٢٠)، ثم يودِّعونه صاعداً إلى السماء، ولكنهم **يرجعون من لقائهم الأخير معه بالجسد "بفرح عظيم"** (لو ٢٤: ٥٢)، فسيدهم المنتصر على الموت بقيامته والعائد إلى مجده؛ **نفخ فيهم من روحه، كما وعدهم أن يكون معهم كل الأيام إلى انقضاء الدهر** (مت٢٨: ٢٠).

والخاضعون لسطوة العالم والطامعون في أمجاده يظلون معذَّبين بإذلاله لهم وتدلُّله عليهم؛ يمنحهم فيسرهم، ويمنع عنهم فيتولاَّهم الهم. أما الذين خرجوا عن طاعته ولا آمال لهم عنده ولا حاجة، والذين شعارهم : "**جلست على قمة العالم لَمَّا صرتُ لا أشتهي شيئاً ولا أخاف شيئاً**"، فهؤلاء لا ينقطع فرحهم.

فنصرتهم على العالم قد أُعلنت منذ إعلان تبعيتهم للسيِّد ولا انقطاع لتيار الفرح عندهم كل الحياة.

دوام التوبة يؤدِّي أولاً بأول إلى التخلُّص من الخطية المسببة للهمِّ وثقل الضمير. كما أن التوبة لغير السائرين في طريق النور هي الباب المفتوح للِّحاق بمواكب المنتصرين واختبار حياة الفرح الحقيقي والتمتُّع بالحرية في المسيح: **"فإن حركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحراراً"** (يو ٨: ٣٦).

(٢) السلوك بالإيمان

بمعنى الاتكال على الله والثقة في مواعيده وتسليم كل الحياة له وقبول كل ما يسمح به الله بالشكر، هو أيضاً أحد منابع الفرح المسيحي. فالذي يتيقن **"أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله"** (رو ٨: ٢٨)، يحيا فَرِحاً، مطمئناً إلى محبة المسيح وتحنُّنه. أما مَن غاب عنهم الإيمان وإلقاء أثقالهم على كاهل المسيح، فكيف يختبرون الفرح بينما الهموم تقتحم قلوبهم؟ كما أن قلقهم، بل رُعبهم، من جهة الغد، لن يتيح للفرح أن يسود حياتهم يوماً.

ويتصل بهذا أن **السلام** الذي يتمتع به أولاد الله ولا يعرفه الأشرار (إش ٤٨: ٢٢؛ ٥٧: ٢١)، ولا يستطيع العالم أن يعطيه، قد وهبه الله لمؤمنيه: **"سلاماً أترك لكم، سلامي أُعطيكم. ليس كما يُعطي العالم أُعطيكم أنا"** (يو ١٤: ٢٧)، **"جاء يسوع في الوسط وقال لهم: سلامٌ لكم"** (لو ٢٤: ٣٦، يو٢٠: ٢١و٢٦)؛ وهو ناجمٌ عن حالة المصالحة بين المؤمن والله ومع نفسه ومع الآخرين كإحدى ثمار الخلاص وثمار الروح، وهذا أيضاً يُهيئ النفس للفرح في الروح.

ولكن هذا لا يعني أن الآلام لا تعرف طريقها إلى حياة المؤمن أو أنها لا تمدد سلامه

وفرحه، فإبليس يترصد أولاد الله ويضيق بهم، إلاَّ أن الآلام مع هـذا لا تستطيع أن تقتحم مركز السلام في القلب. والحزن إن جاء (على فقدان الأحباء أو تعثُّرهم، مثلاً)، فهو يبقى عاطفة خارجية لا تمز استقرار القلب في يد القدير. على أن الكتاب يشير إلى **حزن "حسب مشيئة الله"** على الخطية الملوِّثة لنقاوة المؤمنين والمهينة للكرامة الإنسانية، وهذا الحزن النبيل **"يُنشئ توبة لخلاص بلا ندامة"** (٢كو ٧: ١٠).

(٣) التقوى مع القناعة

وهي تجارة عظيمة، كما يصفها معلِّمنا القديس بولس (١تي ٦: ٦)، تثمر كل سلام وفرح، بينما التطلُّع إلى الغِنَى والرفاهية والطمع لا يجلب سوى الآلام. خلال الحياة يحدث نمو طبيعي في الوظائف والدخول والممتلكات، ويتم التدرُّج في المراكز، وعلى قدر العزائم والاجتهاد ينال المرء نصيبه في خيرات هذه الدنيا. والكسول الذي يريد أن يأخذ دون أن يتعب سيبقى في الظل. ولكن هذا كله غير الانحصار والسعي إلى جمع المال بكل طريق، وعقد المقارنات مع مَن صعدوا في المراتب أو صاروا أغنياء. هنا تأتي التعاسة والهموم ويتوارى الفرح ويُفقد السلام وتتعثَّر العلاقة مع الله. وليس من مُنقذ غير أن يثوب الإنسان إلى رشده ويصحح مساره بالتوبة ويترك العالم لأهله، راضياً بعطايا الله ومعها التقوى وسلوك الإيمان، فـ **"ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه"** (مت ١٦: ٢٦، مر ٨: ٣٦، لو ٩: ٢٥).

(٤) الخروج من الذات

الخروج من الذات إلى الآخر، عطاءً وخدمةً، أحد المنابع الرئيسية للفرح. والرب نفسه قال إنه **"مغبوطٌ هو العطاء أكثر من الأَخْذ"** (أع ٢٠: ٣٥). فالأنانية حزن وهمّ وخوف وقلق وفقر إنساني وحرمان من الاتحاد مع الله. بينما الخروج إلى رحابة حب الله والقريب وخدمة الفقير واليتيم والغريب والضيف والسجين والمسنّ

والمريض والمُعاق، وضحايا الحروب والمجاعات واضطرابات الطبيعة، هو الطريق إلى إسعاد هؤلاء وتخفيف ويلاتهم، فيأتي الفرح في الحال كمكافأة لا تُقدَّر بثمن.

ويا كلَّ منطوٍ على ذاته، يحبها ولا يهتم بغيرها، تقدَّم إلى الآخرين ومِدّ يدك إليهم واغترفْ من غِنَى فرح وسلام لم تعرفه حياتك الفقيرة الأولى. ويا كلَّ حريصٍ على ماله، مغرور به، خائف من فَقْده، ضنين به على المحتاجين؛ جرِّب غبطةَ العطاء وإسعاد الآخرين، بما لا تملكه في الحقيقة وإنما هو عطية الله ،كي تستثمرها في خدمة المسيح وإخوته الأصاغر كما دعاهم (مت ٢٥: ٤٠و٤٥). **وبدل أن يصبح مالُكَ باباً للشرور، خانقاً للكلمة، ملتصقاً بالموت؛ اجعله باباً للدخول إلى فرح السيِّد الأبدي.**

(٥) التطلُّع إلى الأبدية

هذا هو الينبوع الأبدي للفرح. فالأبدية هي النهاية السعيدة التي تتصاغر أمامها كل آلام الزمان الحاضر التي يصفها القديس بولس أنها **"لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا"** (رو ٨: ١٨).

بالتطلُّع دوماً إلى الساعة الأخيرة، حيث الاحتفال بنوال إكليل البر تمجيداً لحياة شاركت المسيح آلامه وحفظت كلمته وذاقت حلاوة عشرته، تعبُر على النفس رياح الهموم والتجارب والأحزان دون أن تخصم شيئاً من رصيد الفرح المستقر في الأعماق ولا تلمس غير سطح الأمواج التي قد تعلو وتهبط، ولكن الفرح والسلام هناك لا يطالهما شيء. المقابلة بين خفة ضيقتنا الوقتية وثقل المجد الأبدي (٢كو ٤: ١٧)، تجرِّد التجارب من أشواكها الحادة، وتجعل من دموعنا مجرد متنفس طبيعي لضغوط التجارب، ولكنها مع هذا لن تكون منسية قدَّام الله. انتظارنا لمجيء الرب في خلاصه الأخير يحوِّل آلامنا وأسقامنا وأحزاننا من أدوات لتكديرنا وسحقنا (كما هي للبعيدين عن الله) لتكون رصيداً لحسابنا نتمجَّد به في اليوم الأخير **"إن كنا نتألَّم معه لكي نتمجَّد أيضاً معه"** (رو ٨: ١٧)؛ وهكذا لا تعطِّل استمرار فرحنا وسلامنا ونحن هنا على الأرض.

يقين الحياة الأبدية هو ما ساند كل شهيد في ساعته الأخيرة، ووهبه أن ينتصر على رُعب الموت المتشح بالدم.

* * *

الذين هم خارج دائرة المسيح يظنون أن الحياة المسيحية في أعماقها تتسم بالكآبة والتجهُّم وفي ظنهم أن هذا ما يؤول إليه المسيحي، وهو ينشد تنفيذ الوصية، عندما يكتشف قصوره والبون الشاسع الذي يفصله عن بلوغ أبديته.

والمسيحي بالفعل لا يستطيع وحده أن ينفِّذ أصغر الوصايا أو أن يغلب أهواءه ومحبته للعالم، فهذا هو عمل **"نعمة الله المخلِّصة لجميع الناس"** (تي٢: ١١). وبقبوله لهذه النعمة والانصياع لها تحدث المعجزة ويصير المؤمن خليقة جديدة تغلب الضعف والنقص والهوان وحتى الآلام والأحزان والتجارب. والمؤمنون الذين يلوذون بالكآبة والتجهُّم خوفاً من السقوط هم مؤمنون مدَّعون، وما يجتازونه سقوط نفسي وحالة مَرَضيَّة وانحصار في الذات وضعف إيمان وتغرُّب عن النعمة.

النفس المؤمنة غير المثقلة بالهمِّ يسهل عليها أن تبتسم وتمرح دون أن تخطئ. نعم، لم يذكر الكتاب عن الرب أنه ضحك، ولكننا لا نشكّ أنه كان مبتهجاً وهو يُشارِك في عرس قانا الجليل ويصنع فيه أولى معجزاته ويزيل الحرج عن أهل العُرس الذين نفد خمرهم. ولابد أنه ابتسم عندما نظر إلى الشاب الغني "وأحبه" (مر ١٠: ٢١)، ولابد أن وجهه كان يطفح سروراً عندما "تهلَّل يسوع بالروح" (لو ١٠: ٢١). وأغلب الظن أنه أَبْدَى فرحه وهو يذكر في أمثاله فرح السماء بتوبة الخاطئ (لو ١٥: ٧و١٠)، وفرح الراعي الصالح بعثوره على خروفه الضال (لو ١٥: ٥و٦)، وفرح المرأة التي وجدت درهمها المفقود (لو ١٥: ٩)، وفرح الأب وسروره بعودة ابنه الشارد (لو ١٥: ٣٢). وهو الذي أوصانا – على لسان بولس الرسول – بالفرح مع الفرحين (رو ١٢: ١٥).

والكتاب حافل بكلمات من قبيل "**العريس والعروس**" (مر ٢: ١٩و٢٠)، و"**العشاء العظيم**" (لو ١٤: ١٦)، و"**العُرْس**" (مت ٢٢: ٢-١٢)، و"**عشاء عُرس الخروف**" (رؤ ١٩: ٩)، و"**تسابيح وأغاني روحية**" (أف ٥: ١٩، كو ٣: ١٦)، وكلها تشي بالبهجة التي تسود الحياة في المسيح.

الفرح المسيحي – مع هذا – لا يعرف الهزل أو النكات القبيحة، ولا يجرؤ على كسر الوصية، ولا يتشح بوسائل الفرح المصطنع كالخمر والصخب(١)، ولا بتغييب الوعي بالمخدرات. الإنسان الطبيعي لا يعرف غير الفرح السطحي المفتعل، بينما الهموم لا تفارقه أينما سار مهما اجتهد أن يهرب منها.

حياة الفرح المسيحي هي من أعمال النعمة، وهي متاحة لكل مَن يؤمن "**فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله**" (رو ٨: ٨). فالمسيحي ليس إنساناً أسطورياً، ولكنه إنسان أدركته نعمة الخلاص، فتغيَّر حاله من البؤس إلى الفرح المجيد. وباسم كل البعيدين الحائرين كانت صرخة القديس بولس: "أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحُسنى أن الشرَّ حاضرٌ عندي... وَيْحِي أنا الإنسان الشقي، مَن ينقذني من جسد هذا الموت" (رو ٧: ١٢و٢٤)، ثم كان إعلانه عن سر الفرح: "**لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت... وإن كان المسيح فيكم، فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما**

---

(١) نشير هنا إلى بعض الاتجاهات العالمية التي تسود حفلات الزواج التي تعقب صلوات الإكليل في الكنائس. فما أن ينتقل الحفل إلى قاعة الفندق حتى ينسلخ الكثيرون عن وقار المسيح ونقاوته كأنهم ليسوا أبناء النور، ويتحوَّل المكان إلى هيكل للأوثان تُهان فيه الفضيلة المسيحية وتنتصر الخلاعة. ولكن يُعزِّينا أن البعض القليل يعرف كيف يفرح مسيحياً في مثل هذه المناسبات بالتعقُّل والبر والتقوى (تي ٢: ١٢)، فيتوِّجون فرحهم بحضور المسيح وملائكته ويستخدمون – إذا شاءوا – الفنون الراقية والأغاني والتسابيح الروحية، ولا يلوثونه بحضور إبليس.

الروح فحياة بسبب البر" (رو ٨: ٢و١٠).

هذه دعوة للفرح.

جدّية الحياة المسيحية

الجدية – أخلاقياً – هى أساس نجاح الفرد فى الحياة، كما أنها دعامة تقدم الأمم ونهضتها. ويقترن بالجدية معانٍ كالاجتهاد والاحتمال والشجاعة والصمود والأمانة والالتزام والدقة والمثابرة والشعور بالمسئولية، ويتنافى معها اللهو والهزل والعبث والاستهتار والتخاذل والكسل وغياب الوعى والانحلال وغيرها.

وإذا تحولنا إلى الحياة المسيحية نرى أن **الجدية هى إحدى سماتها البارزة**، وهى روح السلوك المسيحى الملتزم بالإنجيل وطاعته.

ورغم أن الكلمة لم ترد بشكل صريح فى الكتاب المقدس، إلا أن آيات كثيرة تنم عليها بوضوح، نذكر هنا بعضها على سبيل المثال :

"**اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق**" (لو ١٣: ٢٤)؛

"إن أراد أحد أن يأتى ورائى **فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعنى. فإن من**

أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلى فهذا يخلصها (يجدها)، لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه" (مت ١٦: ٢٤ – ٢٦، لو ٩ : ٢٣ – ٢٥)؛

"**ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الــوراء يــصلح لملكــوت الله**" (لو ٩: ٦)؛

"فاشترك أنت فى احتمال المشقات **كجندى صالح ليسوع المسيح**" (٢تــى٢: ٣)؛

"**احملوا نيرى عليكم**" (مت١١: ٢٩).

"**كل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شئ... أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً**" (١كو٩: ٢٥، ٢٧)؛

"لم تقاوموا بعد **حتى الدم** مجاهدين ضد الخطية" (عب ١٢: ٤)؛

"**كن أميناً إلى الموت**" (رؤ ٢: ١٠)؛

"**إن أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك**" (مت ١٨: ٩، مر ٩: ٤٧)؛

"**من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى. ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى**" (مت ١٠: ٣٧)؛

"**إن كان أحد يأتى إلىَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً**" (لو ١٤: ٢٦)؛

"**لاتحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم**" (١يو ٢: ١٥)؛

"**ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة**" (إر ٤٨: ١٠)؛

"**اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة**" (مت ٢٦: ٤١)؛

"**اخرجوا من وسطهم واعتزلوا**" (٢كو ٦: ١٧)

جوانب من جدية الحياة المسيحية

كما تشير الآيات السابقة، فالحياة المسيحية التى دعانا إليها الرب لم تحاول أن تتملق الإنسان أو تستميله بالسهل، بل هى – على العكس – تصارحه أنها ليست **ترفاً ويسراً**، وإنما هى سباحة ضد التيار، **ودخول من الباب الضيق إلى الطريق الكرب، ومجاهدة ضد الذات والجسد والعالم. وهى حياة تجعل المخلص محور الحياة وقطبها الأوحد، وهدفها ونموذجها ووسيلتها. وهى تسعى إلى إعلان الإيمان به – لا إخفائه ومواراته – باقتفاء خطواته وحمل صليبه كل يوم**. وهى دعوة لرفض الأهواء الجسدية لإنقاذ النفس من الموت وتمتعها بالخلاص الأبدى. وهى حياة لا تعرف التراخى أو السلبية أو الغفلة أو النعاس أو النكوص، وإنما التأهب والسهر والاستعداد وطاعة الجندى لقائده. وهى حياة تعلّى من قيمة النفس لتصير أثمن من كل العالم، ومن هنا تأتى المقاومة الباسلة – حتى الموت – لكل عدو متربص لإسقاط النفس فى الخطية.

نماذج مضيئة

وتحفل صفحات الكتاب وتاريخ الكنيسة بنماذج باهرة للجدية والالتزام فى صرامة لا تعرف التخاذل أو المهادنة أو الهرب من المواجهة أو تدليل الذات وإنما طاعة كاملة لصوت الرب مهما تكن النتائج.

+ فها هو **الرب** نفسه – وقد ثبت وجهه نحو الصليب – يرفض التخلى عن رسالته بأية حجة، وينتهر بطرس الذى يحثه على تجنب الموت (مت١٦: ٢٢، مر٢٢: ٢٣) مؤكداً أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليَخدم "**وليبذل نفسه فدية عن كثيرين**" (مت ٢٠: ٢٨). وقد ألزم الرب نفسه بكل وصية قالها لتلاميذه: فهو لم يمتلك شيئاً، ولم يحمل كيساً (مت ١٧: ٢٧)، ولم يكن له أين يسند رأسه (مت ٨: ٢٠، لو ٩: ٥٨).

+ وفى العهد القديم نرى أبانا **إبراهيم** لا يعرف إزاء كلمات الرب غير الطاعة مهما بدا الأمر شاقاً. فالرب يطلب إليه أن يذهب من أرضه وعشيرته إلى أرض غريبة فيذهب (تك ١٢، عب ١١: ٨ - ١٠). وبعد أن وهبه الرب اسحق فى شيخوخته يطلب أن يقدمه له محرقة فلا يتردد ويمضى جاداً فى تنفيذ أمر الله (تك ٢٢، عب ١١: ١٧ - ١٩، يع ٢: ٢١) الذى لم يدعه يذبح اسحق بل باركه وجعله "أباً لأمم كثيرة" (تك ١٧: ٤، رو ٤: ١٧).

+ **ويوسف** لم يبال بعواقب رفضه لغواية امرأة فوطيفار ولم يبرر نفسه باعتباره لم يسع إلى الشر وأنه مجرد خادم لا يملك من أمر نفسه شيئاً، ولكنه انفلت **"وترك ثوبه فى يدها وهرب"** (تك٣٩: ١٢)، واحتمل الاتهام الظالم وتبعاته دون أن يندم يوماً. ولكن هذا كله لم يُنس قدام الله. وجاء الوقت لكى ينتقل من السجن ويصبح نائباً لفرعون (تك ٤١: ٤٠ - ٤٤).

+ وكان **موسى** بحكم مولده منتمياً لشعب إسرائيل، الذى سامه فرعون العذاب، ولكنه بحكم الظروف نشأ فى قصر الملك ابناً بالتبنى لابنة فرعون. وعندما صار شاباً أدرك حقيقة هويته، ولم تغره رفاهية الحياة أن ينفصل عن معاناة شعبه وإنما اختار الطريق الكرب **"مفضلاً بالأَحرى أن يُذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتى بالخطية حاسبا عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر"** (عب ١١: ٢٥، ٢٦). وبجدية لا تعرف التخاذل واجه فرعون وحارب عماليق وقاد شعباً متمرداً طيلة عقود أربعة، عابراً البحر والقفر إلى أرض كنعان.

+ وهذا **دانيال** (ومعه **الفتية الثلاثة**) لم يضع فى اعتباره الاحتفاظ بموقعه المتميز عند ملك بابل - رغم أن سائر إخوته كانوا تحت السبى - فيقول عنه

الكتاب أنه "**جعل فى قلبه أن لايتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه**" (دا ١: ٨)، كما لم يحاول الفتية أن يتظاهروا بتنفيذ أمر نبوخذ نصّر بالسجود للتمثال الذهب رغم التهديد بأتون النار المتقدة والتى أنقذهم الله فيها فلم تحترق شعرة من رءوسهم. ولما أمر الملك داريوس بأن توجّه كل الطلبات إلى شخصه لم يعر دانيال موقعه الأثير عند الملك اهتماماً و لم يوارِ إيمانه بل صلى إلى الله فى بيته "**وكواه مفتوحة فى عليته نحو أورشليم**" (دا ٦: ١٠) وانتهى به الأمر إلى جب الأسود. ولكن الله "**أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود**" (دا ٦: ٢٢) وطُرح المشتكون عليه هم وأولادهم ونساؤهم فى الجب "و لم يصلوا إلى أسفل الجب حتى بطشت بهم الأسود وسحقت كل عظامهم" (دا ٦: ٢٤).

+ **والمعمدان** لم يكن لينجح فى مهمته الخطيرة، كسابق للرب ومهيئ للنفوس بقبول الخلاص، لو لم يلتزم بالجدية والصرامة. فعاش فى البرية ناسكاً متجرداً، ملتحفاً بقوة الروح وهو يدعو إلى التوبة، وينذر المقاومين بالهلاك. وهو لم يركن الى سكنى الجبال لتفادى مواجهة الرؤساء وما ستجلبه عليه من متاعب، وإنما – كشاهد للحق يعرف واجبه – مضى إلى هيرودس فى عقر داره.. وجابهه بخطيئته بكلمات لم يجتهد فى تزيينها ولكنه أطلقها مدوية "**لايحل لك**" (مر ٦: ١٨). وقادته شجاعة قول الحق إلى السجن، وبعدها قطعت رأسه. وصار شهيد الحق على مدى الأجيال ونموذجاً لصاحب الرسالة الذى يظل أميناً لسيده حتى النفس الأخير. وهذه هى الجدية فى أسمى صورها.

+ ولو لم يكن **التلاميذ والرسل** على قدر عالٍ من الجدية لما استجابوا لدعوة الرب بترك أعمالهم فى الحال وتبعيته للبشارة بالملكوت. وكان التزامهم وراء استمرارهم فى الخدمة، ذلك أن غيرهم قد رجعوا إلى الوراء، أما هم فقال بطرس عنهم "**يارب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك**" (يو٦:٦٦-٦٨).

وقد ظلوا على تكريس حياتهم لخدمة المخلص دون خوف الموت حتى النفس الأخير ونالوا جميعهم – عدا القديس يوحنا – إكليل الشهادة.

ولو أخذنا من بينهم – على سبيل المثال – معلمنا **القديس بولس**، وإن كان آخر من اختارهم الرب ليكون إناءً مختاراً يحمل اسمه (١كو١٥: ٢٨، أع ٩: ٤-٦، ١٥، ١٦)، فهذا الذى كان قبلاً – وبنص كلماته – مجدفاً ومضطهداً لكنيسة الله ومفترياً (غل ١: ١٣، ١تى ١: ١٣) صار أعظم المبشرين بنعمة الخلاص لليهود والأمم، ولم يعرف فى كل خدمته غير الجدية والالتزام والجهاد بغير حدود واحتمال الآلام والاضطهاد بكل فرح. وهو أحياناً – ليؤكد صدق إرساليته وأمانته للرب – يسجل قائمة معاناته من أجل سيده (١كو٤: ١٠- ١٣، ٢كو٦: ٤- ١٠، ١١: ٢٣- ٢٨) مؤكداً أنها مهما بلغت لا يمكن أن تفصله عن محبة المسيح (رو ٨: ٣٥ – ٣٩). وقد امتدت خدمته من أورشليم وآسيا الصغرى إلى أقصى أوربا، مؤسساً الكنائس ومتابعاً وخادماً للفقراء، دون أن يثقّل بحاجاته على أحد وإنما عمل بيديه لكى يقوت نفسه ومن معه (ع ٢٠: ٣٤). بل أنه فى تكريس حياته للخدمة عاش بتولاً، وصارت الكنيسة هى عائلته الكبيرة. وفى رسائله قدم نفسه النموذج والمثال لكل المؤمنين كما يتمثل هو بالمسيح (١كو ١١: ١). ولم يخجل أن يقول إنه يقمع جسده ويستعبده (١كو ٩: ٢٧) فهو يلزم نفسه بما يوصى به كل الكنيسة.

وظل القديس بولس على مجاهرته وخدمته الدءوبة حتى وهو فى السجن فكتب منه رسائل أربع تحفل بالفرح (رسالة فيلبى) واليقين (٢تى ١: ١٢، ٤: ٨) إلى أن ختم إرساليته على مذبح الشهادة.

+ كما يقدم لنا **الشهداء** فى كل العصور صوراً رائعة من الجدية والالتزام ومحبة الرب أكثر من الحياة. وبغير ذلك – مع مساندة نعمة الله – ما استطاعوا مواجهة ألوان العذاب السابقة على الموت الذى يصير بالمقارنة نوعاً من الرحمة.

+ ونختم هذه النماذج **المشرقة** بكوكب البرية اللامع القديس **الأنبا أنطونيوس**، الذى لما سمع فى الكنيسة أثناء قراءة الإنجيل الآية التى تقول "**إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى**" (مت١٩: ٢١، مر١٠: ٢١، لو١٨: ٢٢)، لم يفعل مثل الشاب الغنى الذى "مضى حزيناً" (مت ١٩: ٢٢، مر ١٠: ٢٢) ولا مثل كثيرين قبله سمعوا هذه الآية و لم تمثّل لهم شيئاً، وإنما فى جديته اعتبر هذا الصوت موجّهاً إليه هو، فذهب على الفور وتخلص مما يملك وأودع أخته أحد بيوت العذارى، ومضى ليعبد الرب فى المدينة أولاً ثم فى سكون البرية الداخلية. ولما اجتذب نوره الآخرين بدأت أعظم حركات العبادة والخدمة فى الحياة المسيحية وهى **الرهبنة**، التى انطلقت بعدها من شمال صعيد مصر لتنتشر فى الشمال والجنوب ثم إلى العالم كله شرقاً وغرباً. وهكذا فالنفوس الملتزمة الصامدة تجذب بنورها الآخرين.. وكما أن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة (١كو ١٥: ٣٣) **فإن أصحاب المثل العليا – دون أن يقصدوا – يصيرون نماذج لغيرهم. ومن هنا تأتى مسئولية كل مؤمن عن الآخرين واقتيادهم لطريق الحياة الأبدية .**

مواقف تقتضى الجدية

الحياة المسيحية حياة يقظة وسهر وعبادة: "فلا ننم إذن كالباقين بل **لنسهر وَنَصْحُ**" (١تس٥: ٦) "عابدين الرب" (رو١٢: ١١)، ومقاومة ورفض للخطية "إبليس عدوكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه **فقاوموه راسخين فى الإيمان**" (١بط٥: ٨)، وأمانة حتى الموت (رؤ٢: ١٠)، وتطلع إلى الأبدية (١تى٦: ١٢).

ومن هنا تحفل الحياة المسيحية – وهى حياة لا تعرف الهزل – بالمواقف التى تقتضى كل وعى الإنسان وجديته. وفيما يلى نعرض لبعض هذه المواقف :

(١) الوجود فى حضرة الله

كما فى وقت الصلاة، حيث يجاهد الإنسان خاشعاً لحصر الفكر فى الله وحده؛ وعند قراءة الكلمة، حيث يعمد البعض - كما فى الصلاة - إلى الركوع أو السجود إجلالاً للكلمة ومرسلها، وحثّاً للنفس على الخضوع للوصية وطاعتها والالتزام بها؛ وكذلك عند حضور القداس والتناول حيث يكون عمانوئيل إلهنا حاضراً بجسده ودمه على المذبح والملائكة تملأ المكان لخدمة السيد.

ما يتنافى مع الجدية الواجبة هنا الاستهتار وطياشة الأفكار والملل وقت الصلاة، وقراءة الكلمة بذهن مشتت وبغير فهم ودون أى تعهد بطاعة الإنجيل، وعدم الانحصار فى صلاة القداس، والتجاسر على التناول المتواتر دون استعداد بالتوبة ودون مخافة. والنتيجة أن هذه الممارسات تتحول إلى عادات شكلية لا صلة لها بالإيمان، وبالتالى تبقى النفس جامدة بلا تغيير مع إحساس كاذب بأداء الواجب.

(٢) التوبة والرجوع إلى الله

ليس أجدر بالجدية من موقف التوبة والاعتراف حيث تتعرى النفس دون تحفظ فى مواجهة الله فى لحظة مباركة رغم قسوتها. وهى تتضمن ندماً على الخطية ورفضاً لها وتعهداً بالرجوع إلى الله والتزاماً بحياة القداسة. وها هو **داود النبى والملك** لم يتحصّن وراء موقعه كنبى وملك وإنما استجمع كل شجاعته للوقوف أمام الله - بعد مواجهة ناثان النبى له - نادماً تائباً باكياً على سقوطه المرّكب. فنال الغفران رغم العقوبة "**الرب قد نقل عنك خطيتك. لا تموت**" (٢صم ١٢: ١٣).

والابن الضال الذى طلب أن يحصل على نصيبه من الميراث قبل الأوان ثم ترك بيت

أبيه بإرادته، وبعد أن فقد كل شئ جاءت لحظة مواجهة جادة اختار بعدها أن يقوم ويرجع إلى أبيه تائباً طالباً الغفران، فوجد الأحضان المتسعة المرحّبة بالعودة (لو١٥: ٢٠).

ولا نشك أن **المرأة الخاطئة** ذات الشهرة السيئة لم تبال بنظرة الآخرين إليها وإنما اتخذت موقفاً غاية فى الجدية : أن تدخل بيتاً يضمر لها صاحبه والمتكئون معه كل احتقار، وأن تقترب من وراء الرب لتبل قدميه بالدموع وتمسحهما بشعر رأسها وتقبلهما وتدهنهما بالطيب (لو ٧: ٣٧ – ٣٩) فتنال الغفران وتمضى بسلام.

التوبة موقف صعب بالفعل ويحتاج إلى حسم وتصميم وجدية لتنفيذه، ولكن نتيجته رائعة لأنها تعنى ببساطة التحرر من الخطية والعودة إلى الرب والنجاة من الهلاك.

ويقترن بحياة التوبة الجهاد ضد الخطية والضعف والتمسك بالطهارة مع طلب معونة الله. وهذه أيضاً تتطلب جدية وصرامة مهما كانت النتائج. كما ينسجم مع حياة التوبة أيضاً الالتزام بكلمة الله وطاعتها والسلوك بالتدقيق فى الكلام والتصرف (أف ٤: ١٥) مع حشمة المظهر والسلوك .

يتنافى مع الجدية المطلوبة فى المواقف التى ذُكرت آنفاً ازدواج الحياة والعرج بين الفرقتين (١مل١٨: ٢١)، ومحاولة خلط البر والإثم (وهما لا يختلطان – ٢كو٦: ١٤) كما يفعل المتدينون الشكليون، وهذا التردد بازاء دعوة الله والكنيسة للتوبة كما فعل **الشاب الغنى**، ومحاولة تبرير الخطية وتقديم الأعذار لحماية الذات كما **فعل آدم وحواء** (تك ٣: ١٢، ١٣)، أو محاولة التأجيل لإجهاض فرصة التوبة كما فعل **فيلكس** الذى أرعبه حديث بولس عن البر

والتعفف والدينونة العتيدة وأجاب "أما الآن فاذهب ومتى حصلت على وقت أستدعيك" (أع ٢٤: ٢٥)، وهكذا أفلتت منه فرصة الحياة وربما إلى الأبد.

كما يتناقض مع جدية الحياة فى هذا المجال الكسل ورفض السهر الروحى؛ وعدم التدقيق فيما يسمونه الأخطاء الصغيرة؛ وعدم ضبط الحواس؛ والانزلاق إلى علاقات تجرح العفة بدعاوى اجتماعية؛ والاستهتار بالحياة الروحية ووصايا الله إذا اقتضى الأمر التخلى عنها – عند الوجود فى مجتمعات مضادة – مثل المبالغة فى التزين، وارتداء الملابس الخليعة حتى فى بيت الرب (خاصة فى الأفراح والأعياد)، والرقص الشرقى الذى لا يليق بالمؤمنات؛ أو سهولة التحلل من العهود (مثل التخلى عن خدمة الرب) والتنازل عن المبادئ الروحية عند اختيار شريك (أو شريكة) الحياة بتفضيل المال أو المركز عن الالتزام الإيمانى. وفى هذا الصدد أمامنا **عيسو** النموذج الصارخ فى التهاون والاستهتار واحتقار النعمة والذى باع بكوريته الثمينة بأكلة عدس (تك ٢٥: ٣٣، ٣٤)، وفيما بعد فقد بركة أبيه اسحق (تك ٢٧: ٣٥) فالمستهتر بتخليه عن حقوقه لا يجنى سوى الخسائر.

(٣) التجارب

تتنوع التجارب التى يتعرض لها المؤمن بحسب درجة الإيمان والبيئة الاجتماعية والسن وغيره. وهى قد تأتى من الخارج أو من الداخل. فمنها ما يتصل بالمرض والألم والموت المبكر أو المفاجئ، ومنها مواقف الإغراء إزاء محبة العالم والمال والحياة الجسدية عموماً، ومنها مواقف الاضطهاد والظلم المتعصب ضد المسيح والمتراوح بين مجرد المضايقات والإهانات أو التمييز الاجتماعى أو الحرمان من الحقوق أو التعذيب البدنى أو النفسى والذى قد يصل إلى الاستشهاد، وهى كلها تستدعى استنفاراً جاداً لمجابهتها بإيمان مستند إلى عمل الصليب يسمح بقبول الاضطهاد بفرح من أجل المسيح، الذى تألم قبلاً لأجل

كل واحد، شهادة على انتمائنا له، واستدعاء لقوة الله بالصلاة، ورذل الثقة فى الذات لحصرها فى الله الأمين الذى "**لايدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا**" (١كو١٠: ١٣)، مع تعلّم الصبر والشكر اللذين يجردان التجربة، مهما عظمت، من أشواكها السامة "**قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب**" (يع ٥: ١١). وإذا بلغ الأمر إلى حد تهديد الحياة ذاتها فإن النفوس التى تدربت قبلاً على مواجهة التجارب الأقل عنفاً وجازتها دون أن تتعثر ستنعم فى هذه الساعات الصعبة بصحبة الرب القادر وحده أن يهب النفس صلابة وصموداً فائقين للطبيعة لتجتاز بهما بالفرح حاجز الموت إلى الحياة الأبدية.

أما النفوس التى لا تعرف الجدية وتحيا لاهية غير مستعدة للأيام الصعبة فهذه عندما تفاجئها التجارب تنهار تحت وطأتها وتسلّم سريعاً للمجرب.. فيجتمع مع التجربة القاسية نتائجها المدمرة للنفس. وتلك التى لا تشعر بانتمائها للمسيح والكنيسة تضيق حانقة بالاضطهاد ويرّوعها القلق على مستقبلها وأمنها فى الحياة، وما أسهل أن تستسلم وتتنكر لمخلصها من أجل حياة حسب الجسد غير عابئة "بالقيامة الأفضل" (عب ١١: ٣٥).

(٤) التكريس والخدمة

هذا أيضاً مجال يقتضى أعلى درجات الجدية والإحساس بالمسئولية. فالمدعوون للتكريس والخدمة يمثلون مقدمة السائرين خلف السيد، ورأس الحربة فى جهاد الكنيسة ضد رئيس هذا العالم. وهم المتمثلون بسيدهم والقدوة لسائر المؤمنين. ويشمل **المكرسون** : الأساقفة والكهنة والرهبان وكل المتفرغين للخدمة، ويشمل **الخدام**: المعلمين والمبشرين والشمامسة ومدرسى التربية الكنسية وكل من له تعب فى خدمات الكنيسة المتنوعة. وهؤلاء جميعاً مطالبون

بأن تتوارى ذواتهم ويصبح موضع اهتمامهم الأول مجد المسيح والكنيسة، والعبادة والتسبيح، والالتزام بالإنجيل، والسهر على خلاص النفوس، والعناية بإخوة المسيح الأصاغر، ومشاركة الكل فى الهموم والآلام، وتقدم الصفوف فى زمن الاضطهاد لحماية الإيمان.

من هنا كانت وصية القديس بولس لتلميذه الأسقف تيموثاوس أن يسلك **كجندى** صالح ليسوع المسيح لن ينال الإكليل إلا بالجهاد القانونى (١تى٢: ٣-٥).

نتوقع إذاً لمن يفتقدون الجدية والذين يحرصون على راحة أنفسهم ويتمسكون بالتنعم أن تتعثر خدمتهم أو تتجمد وأن يكونوا أول الفارين عندما يحاصر الاضطهاد الكنيسة. فهم كما يقول عنهم السيد مجرد أجراء لا يبالون بالخراف (يو ١٠: ١٢، ١٣).

(٥) الشهادة للحق

وهذه أيضا مجال لا يمكن بلوغه والاستمرار فيه دون أن تتصف النفس بالجدية والاستقامة والشجاعة، ورفض الكذب، والاستعداد لتحمّل ما قد تجرّه هذه الشهادة للحق على صاحبها والى حد الموت. كما تقتضى تجرداً كاملاً وتحرراً من المجاملة على حساب الحق، بل ومواجهة الذات والاعتراف بالخطأ إن هى تنكرت للحق. وهى فى هذا تتبع نهج السيد القائل "**لهذا قد وُلِدْتُ أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق**" (يو١٨: ٣٧). فالشهادة للحق هى عمل المؤمن ويسنده فى ذلك وعد الرب "**وتعرفون الحق والحق يحرركم**" (يو ٨: ٣٢).

الذين يضعون أنفسهم فوق الحق أو الذين يريدون أن يرضوا الناس لا يصلحون للشهادة للحق مهما ادّعوا.

كيف ننمو فى الجدية

إن الجدية، ككل سمات الحياة المسيحية وعناصرها، لا نحصل عليها بالجهد والمهارة الذاتية وإنما هى ثمرة من ثمار الحياة الجديدة التى نلناها بالنعمة والإيمان وعمل الروح القدس. فالحياة المسيحية مستحيلة بدون شخص المسيح "**لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً**" (يو ١٥: ٥). ونحن وحدنا سنخفق فى تنفيذ أصغر الوصايا. ولعلنا نردد مع التلاميذ "فمن يستطيع أن يخلص؟" فيجيئنا رد السيد " **هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شئ مستطاع**" (مت١٩ : ٢٥، ٢٦، مر ١٠ : ٢٦، ٢٧، لو١٨ :٢٦، ٢٧). وقد دبرت نعمة الله لنا الوسائط التى تحفظ وتنمى حياتنا الجديدة، ككلمة الله الحية الفعالة، والصلاة والطلبة "**اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا**" (مت٧: ٧) "**كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه**" (مت٢١: ٢٢، مر١١: ٢٤)، وحياة التسليم والتوبة، والتدقيق، والثبوت فى المسيح بالتناول، وعمل الله فى النفس لكى تنضج وفى الشخصية لكى تتكامل.

وعندما نضع عيوننا على الأبدية وما أعده الرب لمحبيه، والخلاص المستعد أن يعلن فى الزمان الأخير (١بط١: ٥) ليضم الرب إليه مختاريه، يتصاغر فى عيوننا هذا الاستنفار الدائم وما يتحمله المؤمن فى تنفيذ وصايا الرب من جهد وتغصب تعمل فيه النعمة أيضاً "**تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تُكْمَلُ**"(٢كو١٢:٩)، "**ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه**" (مت ١١: ١٢).

أهمية الجدية وثمارها

ربما تبدو الجدية للبعض شيئاً مرهقاً. وهى تصبح كذلك بالفعل إذا كانت جهداً ذاتياً، وهى فى هذه الحالة لا يمكن أن تستمر. ولكنها كما ذكرنا أمر ملازم للحياة الجديدة للمؤمن الحقيقى، أى المستسلم بكليته لعمل النعمة. وإذا كان الإيمان المسيحى يقتضى انسجام الإرادة مع عمل الله وألا تقاوم إرادته (وإلا صارت كالطابور الخامس الخائن الذى يعمل مع العدو) فإن أى جهد إيمانى فى هذه الحالة يستحق أن يُبذل لأننا افتُدينا بثمن غالٍ، وبالتالى فإن قيمة الإنسان فى نظر الله ثمينة جداً. فالإنسان مخلوق إلهى مهيأ للحياة الأبدية، ولم يكن أبداً للفناء والضياع. وإن حياتنا القصيرة وأيامها المحسوبة لا تجعل هناك وقتاً نضيعه فى التكاسل وتأجيل التوبة، وإنما تصير الجدية نصيبنا المبارك الذى نتمسك به. ويشجعنا على هذا أن الله ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة (عب ٦: ١٠). كما أن هناك وعود الرب الكثيرة للأمناء الملتزمين بوصاياه والرافضين للتخاذل والنكوص والتحلل من العهود:

"كن أميناً إلى الموت **فسأعطيك إكليل الحياة**" (رؤ ٢: ١٠)؛

"**نعماً أيها العبد الصالح والأمين** كنت أميناً فى القليل **فأقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك** " (مت ٢٥: ٢١)؛

"الذى يصبر إلى المنتهى فهذا **يخلص**" (مت ٢٤: ١٣).

وهذا القديس بولس المتيقن من أمانة الرب وصدق وعوده يقول عن نفسه وعن كل السائرين فى طريق الرب "**قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى حفظت الإيمان وأخيراً قد وُضِعَ لى إكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل. وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً**" (٢ تى ٤: ٧، ٨).

فطوبى للنفوس الجادة التى ثبتت عيونها على الإكليل السمائى، فعاشت ساهرة محتمية بالنعمة حتى أكملت سعيها فاستحقت أن تحيا فى النور إلى الأبد.

" وترك ثوبه في يديها وهرب وخرج إلى خارج " (تك ٣٩:١٢)

الإيجابية سمة مسيحية

تعاريف

الإيجاب لغةً هو القبول والموافقة، **والسلب** هو الامتناع والرفض (ومعانٍ أخرى). وفي علم الحساب، **فالموجب** يعني الجمع والإضافة، **والسالب** يعني الطرح والخصم. وقد اتسع مفهوم **الإيجابية والسلبية** كاصطلاحين اتساعاً كبيراً ويستخدمان في دائرة رحبة من المعاني كاتجاهين في الفعل. **فالإيجابية** يُعبَّر عنها بالموافقة والإضافة والحركة والفاعلية، بينما **السلبية** يمثِّلها الرفض والامتناع والسكون وغياب التأثير.

ولو توسَّعنا في التعريف لرأينا نماذج من **السلوك الإيجابي** فيما يلي (وسيكون عكسه السلوك السلبي): الإقدام والمبادرة، المشاركة والعمل الجماعي، إبداء الاهتمام وتقديم المساعدة، الالتزام بالحق والعدل والقانون، الدقة والأمانة في العمل، الاعتراف بالخطأ، العطاء، المثابرة والاجتهاد، الشجاعة، وغيرها.

تحفُّظ

ولكن هذه كلها لا تؤخذ على إطلاقها. فالمعاني تتداخل: فالمبادرة قد تكون اندفاعاً بغير دراسة وافية، ويصير التريث في هذه الحالة اتجاهاً إيجابياً. والهروب قد يكون موقفاً إيجابياً إذا كان إفلاتاً من الشر أو منعاً لكارثة. والسكون قد يكون موقفاً إيجابياً إذا قُصِدَ به الاستماع والتأمل، كما أن الصمت في ذاته قد يكون ردّاً بليغاً. ولكن ليس كل صمت ذهباً، وقد نندم أحياناً على سكوتنا حيث كان ينبغي الكلام.

والإيجابية تفترض اتفاق الوسيلة مع الغاية الطيبة وإلاَّ فقدت معناها. فلا يصحُّ أن ننشد الحق بوسائل تتنافى معه، أو أن نتحرك فنسحق الآخرين، أو أن نهتم فنقتحم خصوصية الآخرين ونعتدي على حريتهم.

إيجابية الحياة المسيحية

لو انتقلنا إلى تطبيق ما تقدَّم على ما في الحياة المسيحية، فهذه جوانب من إيجابيتها كما تجلَّت في حياة الرب، وكما سجلتها البشائر والرسائل.

أولاً: كمال الوصية في المسيح

في وصية المسيح، اكتملت توجُّهات العهد القديم، بمحاصرة الخطية في مهدها وبداياتها، واتساع قلب الإنسان ليشمل في اهتمامه وحبه كل البشر، متجاوزاً حواجز العداء والجنس والدين وغيره. فوصية "لا تقتل" أكملتها وصية "**مَن يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحُكْم**"؛ و"**لا تزن**" أكملتها الوصية "**مَن ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها في قلبه**"؛ و"**لا تحنث، بل أوفِ للرب أقسامك**" أكملتها الوصية "**لا تحلفوا البتة**"؛ و"**عين بعين وسن بسن**" أكملتها الوصية "**لا تقاوموا الشر، بل مَن لطمك على خدِّك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً**"؛ و"**تحب قريبك وتبغض عدوك**" أكملتها الوصية "**أحبوا أعداءكم،**

باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مُبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم" (مت ٥: ٢١-٤٦؛ لو ٦: ٢٧-٣٥). فالوصية هنا تكسر حلقة الشر وتُظهر التسامح كموقف أقوى من الانتقام والعنف، وتجعل المحبة تصرع العداء، والبركة تُطوِّح باللعنة. والمؤمن المولود من الروح وُهب الحياة الجديدة التي فيها يستطيع أن يحب الوصية ويطيعها وينجح في تنفيذها بنعمة من فوق، فلا تصير وهماً كما هي لغير المؤمنين والسالكين حسب الجسد.

وقد قدَّم الرب نفسه مثالاً لِمَا أوصى به لكي نتبع خطواته (١بط ٢: ٢١). فهو صاحب رسالة كلَّفته بأن يُخلي نفسه من مجده ويترل إلى البشر آخذاً صورة عبد مثلهم (في ٢: ٧). وجال بينهم يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلِّط عليهم إبليس (أع ١٠: ٣٨)، ومنادياً للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، ومُرسِلاً المنسحقين في الحرية (إش ٦١: ١؛ لو ٤: ١٨). وهو لم يعرف الراحة بل ظل يعمل كأبيه (يو ٥: ١٧)، وشعاره: "**طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأُتمم عمله**" (يو ٤: ٣٤). وكانت كلماته خلاصاً للخطاة وعزاء للمتعبين، وتبكيتاً للمتصلفين والمرائين والمعلِّمين الكَذَبَة.

وفي كل ما عمل وتكلَّم "**لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر**"(١بط ٢: ٢٢)، وألزم نفسه بكل ما علَّم به. فعاش متجرِّداً بلا كيس ولا مزود (لو ١٠: ٤؛ ٢٢: ٣٥)، ولم يكن له أين يسند رأسه (مت ٨: ٢٠؛ لو ٩: ٥٨). وهو قد أحب الجميع ومن أجل خلاصهم مضى إلى صليبه، ولم يسْعَ لإنقاذ نفسه بل أطاع حتى الموت (في ٢: ٨). **فالمسيح هو لكل المؤمنين مثال المحبة، والبذل والعطاء، والتجرُّد، والاتضاع، والخدمة، والاحتمال، والجهاد، والغفران والتسامح، والطهارة، وكل جوانب الحياة المسيحية.**

ثانياً: إيجابية العبادة والسلوك

(١) **العبادة تُقدَّم لله، ليس للذات أو الناس.** فلا يليق أن تكون الصلاة أو الصوم أو الصدقة قدَّام الناس، بل أن تُقدَّم لله "**في الخفاء**" وهو سيُجازي "**علانية**" (مت ٦: ١-١٨). والذي يطلب مجد الناس يستوفي أجره ولا نصيب له عند الله. فالعبادة يمكن أن تُزيَّف وتصير جهداً ذاتياً شكلياً، وبغير أن تقصد العبادة وجه الله، يمكن أن تتحوَّل هي والدين كله إلى ممارسات لحساب الذات والناس والعالم والأرض ولا علاقة لها بالله أو بالملكوت. وفي مثل الفرِّيسي والعشار دان الرب البر الذاتي والتديُّن الشكلي وانقسام القلب، وامتدح الخاطئ المتضع التائب (لو ١٨: ١٤). وهو قد أوصى "**متى فعلتم كل ما أُمرتم به فقولوا: إننا عبيد بطَّالون، لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا**" (لو ١٧: ١٠)، و"**ليس كل مَن يقول لي: يا رب، يا رب، يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات**" (مت ٧: ٢١).

(٢) **في الندم والرجوع والتوبة والاعتراف بالخطأ تصحيح للمسار وعودة إلى الحياة في النور** (موقف **داود** - ٢صم ١٢، ١٣ ؛ **الابن الضال** - لو ١٥: ١٧-٢٠؛ **بطرس** - مت ٢٦: ٧٥؛ مر١٤: ٧٢؛ لو٢٢: ٦١،٦٢). على العكس من ذلك اليأس والخوف وفقدان الرجاء (موقف **يهوذا** - مت ٢٧: ٥؛ أع ١: ١٨)، أو التبرير والتهرُّب (موقف **آدم وحواء** - تك ٣: ١٢،١٣)، أو المكابرة والإصرار على الخطأ (موقف **قايين** - تك ٤: ٩)، أو المراوغة (موقف فيلكس الوالي - أع ٢٤: ٢٥)، أو الرفض والمقاومة (**الكتبة والفرِّيسيين**)، فهذه كلها مواقف سلبية تضيع بها فرص النجاة. وبنفس القياس فإن الحذر والتحفُّظ من السقوط والسلوك بالتدقيق مواقف إيجابية تحفظ النعمة المساندَة، بينما الاستهتار والاستباحة نهايتها الهلاك (موقف **امرأة لوط** - تك ١٩: ٢٦؛ **عيسو**- تك ٢٥: ٣٣،٣٤؛ ٢٧: ٣٧-٤٠؛ عب ١٢: ١٦،١٧).

(٣) لابد للحياة الجديدة أن تكون لها انعكاساتها التي يراها العالم فيمجِّد الله (مت ٥: ١٦). وهكذا يُقدِّم المؤمنون شهادتهم **كنور للعالم وملح للأرض**. وهذه الأعمال هي ثمار الروح فيمَنْ يُسلِّمون حياتهم لله ولا ينسبونها لأنفسهم: **"لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمالٍ صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها"** (أف ٢: ١٠). فإذا خبا نورها أو حجبناه بفتورنا وإهمالنا للوصية نحرم العالم من أن يرى الوجه الإيجابي المُشرق للحياة المسيحية، وربما اقتنع "أن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور" (لو ١٦: ٨)، وهكذا نصير للعالم عثرة بدل أن نكون له نوراً هادياً.

(٤) السلوك المسيحي هو بالروح لا بالحرف "لأن الحرف يقتل ولكن الروح يُحيي" (٢كو ٣: ٦)، والرب يُنادي **"إني أريد رحمة لا ذبيحة"** (هو ٦: ٦؛ مت ٩: ١٣؛ ١٢: ٧). فالشكلية والحرفية تقتل الوصية لأنها تُفرغها من مضمونها. فالذين عشَّروا النعنع والسذَّاب والكمون ولم يبالوا بالحق والرحمة والإيمان، دانهم الرب إذ اهتموا بالقشور وتركوا أثقل الناموس (مت ٢٣: ٢٣؛ لو ١١: ٤٢). والعبادة القاصرة على أداء فرائض وتخلو من الحب وتسليم الحياة لا تؤدِّي إلاَّ إلى نمو الذات والتغرُّب عن الله، وليس الفعل في ذاته هو الأهم وإنما الهدف الذي يخدمه والروح الذي يؤدَّى به. فكل الأعمال كانت ممنوعة في السبت حتى عمل الخير، ولكن المسيح أكمل الناموس بقوله: **"إذاً يحلُّ فِعل الخير في السبوت"** (مت ١٢: ١٢) عندما شفى ذا اليد اليابسة في السبت.

(٥) الصمود أمام التجارب والشدائد واحتمال الآلام بشكر علامة عضوية حقيقية في جسد المسيح، والتزام بتبعيته، ورجاء يتجاوز الزمان الحاضر. الاضطراب وفقدان السلام، والضيق وبالتجربة، والانحصار في الحزن أمام الموت أو الفشل أو الخسائر؛ اتجاهات سلبية تشي بعلاقات زائفة لمؤمنين مدَّعين مهزومين داخلياً. والرب يحث مؤمنيه على الصمود إلى النهاية **"الذي يصبر إلى**

المنتهى فهذا يخلص" (مت ١٠: ٢٢؛ ٢٤: ١٣؛ مر ١٣: ١٣). والقديس بولس يُعلن لكل مؤمن **"فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا"** (رو ٨: ١٨)، ويُطالب الجميع **"لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم"** (١تس ٤: ١٣).

(٦) **النجاسة ليست فيما يدخل الفم بل فيما يخرج من الفم** (مت ١٥: ١١؛ مر ٧: ١٥)، لأنه **"من فضلة القلب يتكلم الفم"** (مت ١٢: ٣٤؛ لو ٦: ٤٥)، و**"لأن من القلب تخرج أفكار شريرة مثل زنى، فسق، سرقة (طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شريرة، كبرياء، جهل) شهادة زور، تجديف؛ هذه هي التي تنجِّس الإنسان"** (مت ١٥: ١٩،٢٠؛ مر ٧: ٢١-٢٣).

وفي هذا السياق يُضيف معلِّمنا بولس أنَّ **"كل شيء طاهر للطاهرين"** (تي ١: ١٥)، وأنَّ **"كل خليقة الله جيدة"** (١تي ٤: ٤). وبالتالي فالأطعمة التي نمتنع عنها في الصوم ليست نجسة (وإلاَّ ما سُمح بها في غير أيام الصوم). ويتعلَّق بهذا أن الأشياء بذاتها ليست حراماً أو حلالاً لأنها محايدة، والأمر يتوقف على مجال استخدامها (أن يكون مقبولاً، وأن يبني وألاَّ يتسلَّط - ١كو ٦: ١٢؛ ١٠: ٢٣). وحتى الخمر والتبغ والمخدرات ليست مرفوضة في ذاتها، وإنما بسبب تغييبها للعقل وسلبها للإرادة وإيقاعها الإنسان في فخ الإدمان، وفي نفس الوقت لها فوائدها كدواء أو لتخفيف الآلام أو للتخدير أثناء الجراحات وغيرها، حتى أن القديس بولس نصح تلميذه الأسقف تيموثاوس، الذي كان يُعاني من أمراض كثيرة بأن **"استعمل خمراً قليلاً لمعدتك وأسقامك الكثيرة"** (١تي ٥: ٢٣)، ولكن هذا ليس تصريحاً بشرب الخمر دون دواعٍ صحية (كما يدَّعي بعض المستهترين)، لأن القديس بولس نفسه أدان السُّكْر بالخمر **"ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة، بل امتلئوا بالروح"** (أف ٥: ١٨).

(٧) **الحرية الحقيقية هي في التحرُّر من الخطية.** والقانون المسيحي يقول إن "**كل مَن يعمل الخطية هو عبد للخطية**" (يو ٨: ٣٤). فحرية الخطية هي في واقعها عبودية كاملة تنسحق فيها الإرادة، والإيمان بالمسيح يُحرِّرنا من الخطية "**إن حركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحراراً**" (يو ٨: ٣٦)، "**وتعرفون الحق، والحق يُحرِّركم**" (يو ٨: ٣٢). والوصية تنبهنا إلى حقوق الآخرين من حولنا "**لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه، بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً**" (في ٢: ٤). فحدود حريتي تنتهي عند حدود حرية الآخرين، وهي تحذِّرنا أن نفقد حريتنا التي نلناها في المسيح: "**فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية... فإنكم إنما دُعيتم للحرية... غير أنه لا تُصيِّروا الحرية فرصة للجسد**" (غل ٥: ١،١٣).

(٨) **طبيعة الأشياء تجعل المسيحي في موقف مضاد للشر السائد في العالم، وهو بالتالي موضع اضطهاد العالم بشتَّى الوسائل،** والحياة المسيحية تهيئ المؤمن لذلك بقوة الروح والاستعداد للموت وشجاعة المواجهة وتسليم الحياة لله. الانهيار والانطواء والجُبن والهروب من الاضطهاد ليس من الإيمان، هو سلوك جسدي مناف للوصية "**لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد... فكل مَن يعترف بي قدَّام الناس، أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السموات**" (مت ١٠: ٢٨،٣٢). آلاف الشهداء على مدى العصور الذين قدَّموا حياتهم من أجل الإيمان دون أن يُقاوموا الشر بالشر أو يدافعوا عن أنفسهم بالسلاح؛ يؤكِّدون على أن الحق أقوى من العالم، وأن المسيح خرج غالباً ولكي يغلب (يو١٦: ٣٣؛ رؤ ٦: ٢).

(٩) **استثمار المواهب واحترام العمل وأداء الواجب.** في مَثَل الوزنات (مت٢٥؛ لو ١٩) كافأ الرب الذين استثمروا وزناتهم؛ أما مَن طَمَرَ وزنته فقد نعته بـ "الشرير والكسلان". فالرب مع استثمار مواهبنا بما يخدم الآخرين؛ أما تجميد الموهبة أو إهمالها فهو ليس كسلاً فقط، وإنما خطيئة يُعاقب عليها.

والقديس بولس جعل العمل قانون الحياة "**إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً**" (٢تس ٣: ١٠)، وأدان التواكل والبطالة، بل إنه شجَّع السارق أن يكفَّ عن السرقة ويجرب شرف العمل بعرق الجبين وبهجة العطاء "**بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يُعطى مَن له احتياج**" (أف ٤: ٢٨).

والمؤمن – سواء كان من أصحاب الكثير أو أصحاب القليل – فإنه يعمل ويستثمر ويؤدِّي واجبه قدر الاستطاعة "**لا بخدمة العين كمَن يرضي الناس... وكل ما فعلتم، فاعملوا من القلب، كما للرب ليس للناس**" (كو ٣: ٢٢،٢٣)، ودون أن ينتظر المكافأة أو المديح هنا "**لأنك تُكافَى في قيامة الأبرار**" (لو ١٤: ١٤)، "**عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث، لأنكم تخدمون الرب المسيح**" (كو٣: ٢٤).

(**١٠**) **الفصل وعدم الخلط بين الواجبات المدنية وأمور العبادة، بين الكنيسة والدولة**. والقانون الساري هنا هو قول المسيح المشهور: "**أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله**" (مت ٢٢: ٢١؛ مر ١٢: ١٧؛ لو ٢٠: ٢٥). فلا توجد حجَّة للتحلُّل من واجبات العمل وحقوق الدولة باسم الدين والعبادة، وخدمة الوطن والأمانة في العمل هي جزء من تنفيذ الوصية. في القرون الوسطى اختلط ما لقيصر بما لله، والتحمت الكنيسة مع الدولة. وكانت النتيجة وبالاً وتحوَّلت الكنيسة إلى إحدى مؤسسات العالم وتنازلت عن رسالتها لخلاص العالم. وفيما بعد صار الفصل بين الدين والدولة، وبين الكنيسة والسلطة الزمنية هو التنفيذ العملي لهذه الوصية. فلم تَعُد المؤسسة الدينية تستند إلى السلطة الزمنية أو تسعى إليها، ولم يَعُد الحاكم يحكم باسم الله وإنما باسم الدستور والقانون، ونَأَتْ الكنيسة بنفسها عن السياسة وويلاتها لتصبح شاهدة فقط لحق الإنجيل، ومبشرة بالخلاص وبحياة أفضل لكل البشر على الأرض وبالحياة الأبدية لكل مَن يؤمن.

ثالثاً: إيجابية العلاقة مع الآخر

يحكم العلاقة مع الآخر، فرداً أو مجتمعاً، المبادئ الإيجابية التالية:

(١) **المحبة للجميع** حتى للأعداء، وهي ليست بالكلام بل **بالعمل والحق** (١يو ٣: ١٨). الكراهية سجن وضعف وانهزام وسلبية مدمِّرة، بينما "**المحبة قوية كالموت**" (نش ٨: ٦)، وهي "**تكميل الناموس**" (رو ١٣: ١٠). هي تُسقِط الحواجز بين البشر وتجعل الجميع إخوة وأقرباء.

المحبة المسيحية ضد الانكفاء على الذات والتعصُّب والانحياز والطائفية والعنصرية وحصر الحُب في دائرة المنتمين إلينا أو ما ننتمي إليه أو إليهم (العائلة، الدين، البلد – دولة أو إقليماً أو قرية)، وهي في اتساعها تفترض الاتجاه نحو الآخر: خدمته وإعطاؤه لا الاستفادة منه أو الأخذ منه أو اشتهاء ما يملكه. هي مع احترام الآخر المختلف وضد استبعاده أو تهميشه أو كراهيته أو الحطّ من شأنه أو من عقيدته.

ورغم قول الرب إنه لم يُرسَل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (مت١٥: ٢٤)، وأوصى تلاميذه أيضاً أن يبدأوا بهم كرازتهم (مت١٠: ٦)؛ إلاَّ أنه منح قلبه للغرباء عن إسرائيل دون تحفُّظ. فامتدح إيمان المرأة **الكنعانية** (الفينيقية السورية) (مت ١٥: ٢٨، مر٧:٢٦)، وسار طويلاً ليلتقي **بالسامرية** عند سوخار وغيَّر مسار حياتها وأهل مدينتها (يو ٤)، وعن قائد **المئة الروماني** قال: "**لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا**" (مت٨:١٠ ، لو ٧: ٩). وفي ختام مَثَل السامري الذي اعتنى باليهودي الجريح، قال الرب لكلٍّ منا: "**اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا**" (لو١٠: ٣٧). والقديس بولس يؤكِّد نفس المعنى في أكثر من موضع: "**لا يطلب أحد ما هو لنفسه، بل كل واحد ما هو للآخر** (أيضاً)" (١كو١٠: ٢٤، في ٢: ٤)، ويطالبنا أن نؤْثِر الآخرين على أنفسنا:

"**مُقدِّمين بعضكم بعضاً في الكرامة**" (رو ١٢: ١٠)، ويقول عن نفسه: "**صرتُ للكل كل شيء، لأُخلِّص على كل حال قوماً**" (١كو ٩: ٢٢).

بين الآخرين هناك توجيه للاهتمام **بالعائلة**: "**إن كان أحد لا يعتني بخاصته، ولا سيما أهل بيته، فقد أنكر الإيمان، وهو شرٌّ من غير المؤمن**" (١تي ٥: ٨)، كما أن خدمة **الوطن** هي في قمة واجبات المؤمن والتي تتبدَّى فيها أمانته ومحبته ومشاركته في كل الظروف والهموم، فضلاً عن طاعة قوانينه والعمل من أجل المصلحة العامة. على أن هناك تحذيراً من الاندماج مع الأشرار دون أن يعني ذلك بالطبع عدم الاهتمام بخلاصهم وتبشيرهم "**لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين**" (٢كو ٦: ١٤)، "**المعاشرات الرديَّة تُفسِد الأخلاق الجيدة**" (١كو ١٥: ٣٣).

(**٢**) **الغفران والتسامح وعدم الانتقام**، هو حجر الأساس في بنيان العلاقات الإنسانية: بين الزوجين وأفراد العائلة والأصدقاء والجيران وعابري السبيل. وهذا هو القانون المسيحي الصريح: "**لا تدينوا فلا تُدانوا... اغفروا يُغفر لكم**" (لو ٦: ٣٧)، "**لا تنتقموا لأنفسكم**" (رو ١٢: ١٩)، "**لا تغرب الشمس على غيظكم**" (أف٤: ٢٦)، "**محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً... كما غفر لكم المسيح، هكذا أنتم أيضاً**" (كو ٣: ١٣)، "**إن لم تغفروا للناس زلاَّتهم، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاَّتكم**" (مت ٦: ١٥).

الغفران والتسامح واحتمال الآخر قوة ننالها من الأعالي، تُوقف تيار البغضة وتحطِّم الخصومة والعداء، وتتيح التواصُل وعودة المحبة؛ بينما الغيظ والميل للانتقام وامتلاء القلب بالضغينة (كما سلك قايين)، ضعف وسلبية وخضوع لأدنى ما في الإنسان الطبيعي وعلامة انفصال عن روح الله.

(**٣**) **المبادرة والمبادأة**: هكذا كانت وصية المسيح الشهيرة في موعظته على الجبل: "**فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأن هذا**

هو الناموس والأنبياء" (مت ٧: ١٢، لو ٦: ٣١)، وهي تُحمِّل المؤمن مسئولية أن يبدأ بنفسه لتغيير العالم والالتقاء بالآخر: **"إن أخطأ إليك أخوك فاذهب** (أنت) **وعاتبه"** (مت ١٨: ١٥)، وألاَّ ينشغل بعيوب الآخرين عن عيوبه هو: **"أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تُخرج القذى من عين أخيك"** (مت ٧: ٥)، أي ابدأ بتغيير نفسك لكي تستطيع تغيير الآخر، وأدِّ واجبك قبل أن تُطالب بحقوقك، وأعطِ قبل أن تأخذ.. أو أعطِ فقط وسوف تأخذ يوماً: **"ارمِ خبزك على وجه المياه، فإنك تجده بعد أيام كثيرة"** (جا١١: ١).

(٤) **التشجيع والمساندة**: العين البسيطة عينٌ مُحبَّة لا تقف عند العيوب، وإنما تتجاوزها إلى ما يستحق الإشادة، خاصة بالنسبة للمبتدئين وصغيري القلوب والبسطاء والمتعثرين. العين الشريرة تتجاهل الإيجابيات ولا تلتقط إلاَّ المثالب، وتنتقد وتُشهِّر وتسخر ولا تبالي إن أثارت الإحباط أو بعثت اليأس.

الوصية المسيحية مع التشجيع والمؤازرة وإنهاض النفوس الكسيرة وإشاعة الرجاء في اليائسين. فالمسيح مع السامرية، وخطاياها مكشوفة أمامه، يلتقط جانباً صغيراً من إجابتها المراوغة ويُفسِّره لصالحها ممتدحاً صدقها من أجل تشجيعها **"حسناً قلتِ: ليس لي زوج، لأنه كان لكِ خمسة أزواج، والذي لكِ الآن ليس هو زوجكِ** (أي أنه يعيش معها دون زواج). **هذا قلتِ بالصدق"** (يو ٤: ١٧،١٨). ولما رفض القديس بولس أن يرافقه مرقس في افتقاده للكنائس، آخذاً عليه أنه فارقه قبلاً في بمفيلية؛ تدخَّل برنابا ودعا مرقس لمرافقته في خدمته مُسانداً إيَّاه لئلا يؤثِّر عليه سلباً موقف القديس بولس منه، وأتاح له مواصلة خدمته (أع ١٥: ٣٨)، حتى أن القديس بولس رَضِيَ عنه فيما بعد وطلب من تيموثاوس أن يُحضِره معه: **"لأنه نافع لي للخدمة"** (٢تي ٤: ١١). وهكذا يكون بناء النفوس والدعوة المستمرة للمساندة: **"شجِّعوا صغار النفوس. أسندوا الضعفاء. تأنّوا على الجميع"** (١تس ٥: ١٤)، **"اذكروا المُقيَّدين كأنكم**

مُقيَّدون معهم، والمُذلّين كأنكم أنتم أيضاً في الجسد" (عب ١٣: ٣). والمسيح يُنادي: **"بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي فعلتم"** (مت٢٥: ٤٠).

(٥) **العظمة الحقيقية هي في الاتضاع وخدمة الآخرين** وليست في التملُّك والتسلُّط والرئاسة والسعي للمكان الأول. هكذا علَّم الرب: **"مَن أراد أن يكون (يصير) فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً. ومَن أراد أن يكون (يصير) فيكم أولاً فليكن لكم عبداً. كما أن (لأن) ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"** (مت ٢٠: ٢٦-٢٨، مر ١٠: ٤٣-٤٥). والرب نفسه انحنى على الأرض ليلة آلامه وغسل أرجل تلاميذه مُقدِّماً نفسه مثالاً: **"فإن كنتُ وأنا السيِّد والمعلم قد غسلتُ أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض"** (يو ١٣: ١٤،١٥)، أي أن يخدم كل منا الآخر حتى إلى غسل الأرجل.

وتحث الوصية المسيحية أن تُؤدَّى الخدمة بفرح وسرور لا عن اضطرار (٢كو ٩: ٧)، ودون دمدمة أو ملل، وبروح الميل الثاني، وأن تهتم خاصة بالضعفاء والفقراء والمرضى والمُعاقين والمُسنين والأيتام والغرباء والمشردين ومَن ليس لهم أحد يذكرهم.

كيف نبلغ إلى إيجابية الوصية وننمو فيها؟

رغم كمال الوصية المسيحية وبريقها اللافت بين مبادئ هذا الدهر، إلاَّ أن كثيرين من "المسيحيين" يخفقون في اختبار وصايا المسيح وتغلب عليهم الاتجاهات السلبية. فهُمْ منكفئون على ذواتهم، ويعيشون أسرى الكراهية والغضب والانتقام وآمال الزمان الحاضر، وعبادتهم آلية لا تُحرِّك القلب، وخوف الموت يملأهم ويُحلِّق فوقهم.

والأسباب ليست خافية وبعضها يتحمَّلها الإنسان نفسه الذي بعد أن وُلد بالمعمودية لم يُمارس الإيمان بالمسيح، الذي بدونه لا يمكن اختبار الحياة الجديدة والسلوك بحسب الإنجيل وتتميم الخلاص حتى الساعة الأخيرة. وبعض الأسباب يعود إلى التربية الخاطئة وغياب القدوة بما ينمي الذات، أو إلى المجتمع الذي يُشجِّع التمييز والتعصُّب ويدفع إلى الانطواء وعدم المشاركة.

على أيِّ حال، مهما كانت الأسباب، فالحياة حسب ناموس المسيح هي ممكنة فقط في المسيح: "**أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوِّيني**" (في ٤: ١٣). وهذه هي النعمة التي بها خلصنا (أف ٢: ٨)، وفيها نحن نتغيَّر من مجدٍ إلى مجد (٢كو ٣: ١٨)، وبها تصير الوصية "ليست ثقيلة" (١يو ٥: ٣)، والقداسة هبة ننتمي بها إلى السماء، والعبادة شركة حميمة مع السمائيين.

في المسيح نحن نكتشف الإنجيل ونعيشه، كما نعرف أنفسنا ونكتشف قصورنا ومواطن ضعفنا وإخفاقنا في بلوغ إيجابية الوصية؛ وفيه نوهَب أن نتمرَّد على سلبيتنا لأنها ضارة بنا، وهي ضد الإيمان المسيحي وضد الإنسانية.

وهذه بعض نقاط المساعدة للتمتُّع بإيجابية الحياة المسيحية:

(**١**) إن الانطلاق من سجن الخطية إلى حرية مجد أولاد الله ليس عسيراً على مَن لا يتنازلون عن بنوتهم لله، على مَن يتمسَّكون بحقهم في مخلِّصهم. بهذا تصبح **التوبة** الدائمة شعار الحياة، بها ننسى ما هو وراء ونمتد إلى ما هو قدَّام (في ٣: ١٣)، وبها نتغيَّر عن شكلنا بتجديد أذهاننا (رو ١٢: ٢)، ويُكملها اعترافنا الصريح أمام الكنيسة. هكذا نحا داود بتوبته الدامعة كل حياته، وهكذا عاد بطرس إلى أحضان معلِّمه عندما نظر إليه وهو في القيود فخرج وبكى بكاءً مُرّاً غسل به سقطته.

والمؤمنون الحقيقيون مطالبون **بالجهاد** ضد ما يكتشفونه في أنفسهم من الاتجاهات المضادة للوصية، ولابد أن يركضوا كالمتبارين الطامحين إلى الجعالة. وعلى عكس المتهاونين الخاضعين للأهواء، فهُم يضبطون أنفسهم في كل شيء، ويقمعون جسدهم (١كو ٩: ٢٥،٢٧)، ويصلبونه مع الأهواء والشهوات (غل ٥: ٢٤). فلا حرية هناك مع جسد غير منضبط.

(**٢**) سيتعيَّن أن تكون **الإرادة** متجاوبة تؤدِّي دورها، لا أن تكون سلبية أو مقاومة. وهكذا تبادر النفس وتواجه وتتشجَّع وتتقدَّم وتتعب وتمد يدها بالمساعدة والتعاون والخدمة، ولا تتهرب أو تسعى إلى الراحة، وتجرِّب فرح المشاركة والتحرُّر من قيود الذات، وتغامر بسخاء العطاء ومنهج الميل الثاني الذي يكشف غِنَى الحياة المسيحية.

(**٣**) مهما كانت الظروف مضادة، فلا بديل عن مقابلة التعصُّب والتمييز بالتسامح، والكراهية بالحب، والاستبعاد بالإصرار على المشاركة والخدمة لا بالتباعُد والانطواء؛ والهدف تقليص مساحة الشر في المجتمع: "**لا يغلبنَّك الشر، بل اغلب الشر بالخير**" (رو ١٢: ٢١).

(**٤**) لنتعلَّم من الآخرين ومن تجاربهم مستجيبين لصوت الرب: "**تعلَّموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم**" (مت ١١: ٢٩)، "**هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم**" (يو ١٥: ١٢)، ولوصية القديس بولس: "**كونوا متمثِّلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح**" (١كو ١١: ١).

وها هي **القديسة مريم** التي حملت في أحشائها ابن الله ترضى بالموضع الأخير، **والتلاميذ** يقبلون الآلام فرحين: "**لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه**" (أع ٥: ٤١)، **والمرأة الخاطئة وزكَّا** في سعيهما لتغيير الحياة لم يُباليا باحتمال انتقاد الآخرين لهما والتشهير بهما. وكما جلست مريم عند قدمي السيِّد، فلنتعلَّم أن نقترب من المختبرين ونتتلمذ للمرشدين الروحيين المشهود لهم.

(**٥**) لنحذر خداع أنفسنا والتحوُّل إلى التدين الشكلي الريائي والسلوك المظهري الكاذب دون تغيير القلب والفكر والأهداف، حيث يختلط التديُّن بمحبة العالم والتطلُّعات المادية. هذا انحراف عن الإيمان وافتقاد للطريق الصحيح. فلا مفر من إنكار الذات وحَمْل الصليب وتبعية المخلِّص إيماناً وعبادةً ومحبةً وخدمةً، إذا كنا بالفعل نريد أن نعكس نوره على هذا العالم، وندرك مسئوليتنا تجاه كل البشر.

* * *

نعم نحن مسيحيون ، بقدر ما نحن إيجابيون.

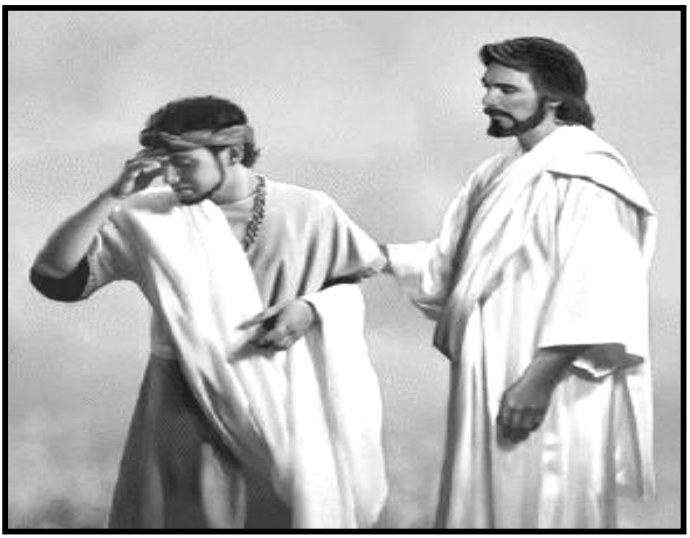

" **لا تخف، آمن فقط** " (مر ٥:٣٦)

محاذير في الطريق الروحي

+ ساعة الضعف

ساعة الضعف

لا نأتي بجديد عندما نقول بضعف الإنسان الطبيعي وهشاشته بصورة عامة "يُزرع في **ضعف**" (١كو ١٥: ٤٣)، فمهما بلغ الإنسان من القوة الجسدية أو العقلية أو السلطة أو التأثير الروحي أو الأدبي، يأتي وقت يمكن أن يفقد فيه الإنسان كل قواه الجسمية والعقلية، ويصبح كما يقولون كنبات ذابل vegetable فاقداً لحواسه وإدراكه(١). فالضعف والمرض والعجز والشيخوخة وكوارث الحياة وآلامها تترصَّد الجميع، وآجلاً أو عاجلاً يأتي الموت بكل طريق.

وقديماً قال أيوب: "**الإنسان مولود المرأة، قليل الأيام وشبعان تعباً. يخرج كالزهر ثم ينحسم ويَبْرَح كالظل ولا يقف**" (أي١٤: ١و٢). وكتب القديس يعقوب في رسالته: "**لأنه ما هي حياتكم؟ إنها بخار، يظهر قليلاً ثم يضمحل**"

---

(١) ظل الرئيس الأمريكي رونالد ريجان السنوات العشر الأخيرة من حياته لا يدري في مرضه بالألزايمر Alzheimer's disease أنه كان رئيساً للولايات المتحدة لثماني سنوات!!

(يع ٤: ١٤).

أخطر من ضعف الجسد: الضعف النفسي والروحي

نعرف أن الإنسان جسد وروح، وأن النفس هي مجال تلاقيهما، وهذه قد تتأرجح بينهما أو تميل إلى أحدهما. وعادة يمتد مفهوم الجسد الحي من الأعضاء والأجهزة والحواس إلى الميول والغرائز، وهذه أودعها الله في الإنسان لخيره طالما هي منضبطة بقوة الروح التي تميل إلى ما فوق. فإذا تمرَّدت الغرائز والميول وتجاوزت ناموسها، لتتحوَّل غريزة الجنس مثلاً (وهي أصلاً لاستمرار الحياة) إلى طلب اللذة المجرَّدة خارج حدود الوصية، وتصير غريزة التملُّك (وهي للدفاع عن الكيان والممتلكات) طمعاً وجشعاً، وحب الاستطلاع (الذي يُنمِّي المعرفة) فضولاً وتجسُّساً، والحاجة إلى الطعام (وهي لحماية الجسد ونموه) شراهة ونهماً، وهكذا؛ هنا يدخل الإنسان في التجربة. **فساعة الضعف** تأتي عندما يتغلَّب الميل الجسدي وتتراجع قوة الروح وقيادتها: "**ولكن كل واحد يُجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته**" (يع ١: ١٤).

ويُلخِّص معلِّمنا بولس العلاقة بين الجسد والروح في الآيات التالية:

"**وإنما أقول: اسلكوا بالروح فلا تُكمِّلوا شهوة الجسد. لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يُقاوم أحدهما الآخر، حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس**" (غل ٥: ١٦-١٨)؛

"**فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون، ولكن الذين حسب الروح فبما للروح. لأن اهتمام الجسد هو موتٌ، ولكن اهتمام الروح هو حياةٌ وسلامٌ. لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله... فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن**

يرضوا الله... لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستحيون" (رو ٨: ٥-١٣).

نقطة الضعف

يختلف نوع الضعف الإنساني تبعاً لنقطة أو نقاط الضعف، وهي الثغرات التي يتسلَّل منها العدو ليضرب ضربته. وهذه قائمة ببعض نقاط الضعف، نذكرها دون ترتيب معين، بقصد اكتشافها والحذر منها ومعالجتها، فهي التي ستقودنا - إذا لم ننتبه - إلى ساعة الضعف: سرعة الانفعال والغضب ، الثرثرة، الاندفاع في الكلام دون تروٍّ، المبالغة والكذب، حب المديح والمجد الباطل، الاستهتار وعدم الالتزام، شهوة الطعام والشراهة، النجاسة والخطايا الجنسية، شهوة العيون، تعظُّم المعيشة، محبة المال، التعالي والإعجاب بالذات (النرجسية)، الحساسية الزائدة للكرامة الشخصية، حب المكان الأول، الطمع، الكسل والإهمال وحب الراحة، الجهل والادِّعاء، إدانة الآخرين، الفضول وحب الاستطلاع المَرَضي، العادات الرديئة بأنواعها، الجُبْن، عدم الاحتمال وقلة الصبر، التسلُّط والاستبداد، العناد، صغر النفس، الغيرة، ضعف المحبة، التعصُّب، التردُّد، سهولة الانقياد، وغيرها كثير.

ساعة الضعف

يستخدم إبليس أحياناً عنصر المفاجأة، فيجد الإنسان نفسه في ساعة ضعفه من حيث لا يدري، ولكن نحن بأيدينا نستحضر ساعة ضعفنا إذا سمحنا للظروف أن تقودنا إليها.

فساعة الضعف كالخطية الرابضة عند الباب (تك ٤: ٧) تقتحم حياتنا عند الارتداد عن الإيمان وسيادة الخوف، أو عندما تمرُّ النفس بفترة من الضعف

الروحي والفتور والبُعد عن الله، أو عندما ترتد إلى الجسد وتبدأ في التحلُّل من الالتزام، أو عند توقُّف التوبة، أو عند الانصياع إلى الهوى والغريزة والعاطفة وتراجُع الإرادة؛ ساعتها تتصاغر دناءة الخطية كما تتضاءل قوة المبادئ وقيمة الالتزام وينهار الوازع الخُلقي، ويُسكَت صوتُ الضمير، ويتوقف العقل عن دوره بل ربما استخدم لتبرير هذا الانهيار بحجة أننا بشر تحت الآلام. فتخضع النفس الهشة للمؤثِّرات المادية، فتبيع كل شيء من أجل **الشهوة وإغراء الجسد**، أو من أجل **المال السهل** (كمَن تبيع جسدها وكرامتها)، أو تخضع **للخوف** (كالمضطهَد الذي يتنازل عن إيمانه)، أو تخضع **لمحبة العالم** (مثل ديماس والخدَّام الذين يتركون خدمتهم).

وفي حياتنا العملية، فالموظف الكبير والصغير **يرتشي** لأول مرة في ساعة ضعف، جشعاً أو احتياجاً، ثم قد لا يتراجع أبداً حتى يسقط يوماً في قبضة العدالة، والزوج (أو الزوجة) **يخون** في ساعة ضعف وفقدان عقل منجذباً منخدعاً من شهوته، وأحياناً بصورة مضادة لأي منطق (يستوي في ذلك أصاغر الناس أو الملوك ورؤساء الدول) فتتحطَّم أُسرة ويتعثَّر كثيرون، وهناك مَن يُقدِم على **القتل** لأسباب تافهة ودون تدبير مُسبق في ساعة ضعف فيُدمِّر حياته وحياة الآخرين، **والمختلس** عندما يكتشف سهولة الحصول على المال في ساعة ضعف يمدُّ يده أول مرة بصعوبة ثم يصير الحرام هو قانون الحياة، والذي يخون الأمانة **ويسرق** غيره يفعلها في ساعة ضعف عندما تغيب الإرادة والعقل والضمير، كما أن **المدمن والمقامر** يتزلقان إلى عادتهما المتسلِّطة في ساعة ضعف لا يعرف كل منهما بعدها كيف يخرج من هوة الدمار التي سقط فيها.

الكتاب المقدس وساعة الضعف

يذكر الكتاب المقدس عدداً من مواقف الضعف التي مر بها عدد من رجاله ونسائه. بعضهم نال بعدها قوة فنهض من كبوته وتعلَّم الدرس، وبعضهم الآخر طوَّحت به التجربة، ونحن نعرضها هنا لكي نأخذ منها درساً وعِبْرة: **"لأن كل ما سبق فكُتِب كُتِب لأجل تعليمنا، حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء"** (رو ١٥: ٤)، **"فهذه الأمور جميعاً أصابتهم مثالاً، وكُتِبَت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور"** (١كو ١٠: ١١).

+ **فحواء**، دخلت التجربة لأنها صدَّقت الكذب مُنخدعة بشهوة الجسد والعيون: "فرأت المرأة أن الشجرة جيِّدة للأَكْل، وأنها بهجة للعيون، وأنها شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضاً فأكل" (تك ٣: ٦). وكانت النتيجة تعاسةً وبؤساً، فطُرِدَت وآدم من الجنة، وحلَّت على الإنسان لعنة الخطية وموتها، ولم يأتِ الإنقاذ إلاَّ بمخلِّص العالم.

+ **وقايين**، اشتعلت في قلبه نار الغيرة والحسد والبغضة على هابيل الذي شهد الله ببرِّه وإيمانه "إذ شهد الله لقرابينه" (عب ١١: ٤)، "فقام قايين على هابيل أخيه وقتله" (تك ٤: ٨). وهكذا تمَّت أول جريمة قتل على الأرض، نال قايين بسببها اللعنة ومعه الأرض التي قبلت دم هابيل.

+ **ولإبراهيم** "خليل الله" (يع ٢: ٢٣) ساعة ضعف ارتدَّ فيها إلى فكره الشخصي دون مشورة الله. فعندما التجأ إلى مصر هرباً من المجاعة، طلب من ساراي امرأته الجميلة أن تقول للمصريين إنها أخته لئلا يتخلَّصوا منه ويقتلوه إذا عرفوا أنها زوجته لتصير لهم. وبالفعل دخلت ساراي بيت فرعون، لكن الله "ضرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبراهيم" (تك ١٢: ١٧)، حتى أن فرعون نفسه لام إبراهيم ووبَّخه على خديعته. وتعلَّم إبراهيم فيما بعد ألاَّ يعتمد إلاَّ على ذراع الرب الرفيعة، وصار لكل شعب الله نموذجاً

في الإيمان وطاعة الله وتصديق وعوده.

+ **وعيسو**، في ساعة جوع عابرة وهو عائد مرهقاً من الحقل، بينما أخوه التوأم الأصغر يعقوب يطبخ عدساً، رَضِيَ أن يتنازل بسهولة عن بكوريته واحتقرها مقابل أن يسدَّ جوعه. وفيما بعد فَقَدَ أيضاً بركة أبيه إسحق بسبب حيلة يعقوب وأُمه رفقة، ولم تشفع له دموعه وصوت بكائه. فباستهتاره واستباحته وتهاونه حقَّق نبوَّة الله عنه "كبير يُستعبَد لصغير" (تك ٢٥: ٢٣).

+ **وموسى** نبي الله العظيم، وقائد مسيرة بني إسرائيل من مصر عَبْرَ سيناء إلى كنعان، رأى أرض الموعد من فوق الجبل، ولكنه مات دون أن يدخلها بسبب تصرُّف في ساعة ضعف. ففي قادش، بعد دفن مريم أخته ولم يكن ماء للجماعة – التي لم تكفَّ عن الشكوى والتهجُّم على موسى – طلب الرب من موسى وهارون أنْ "**كلِّما الصخرة** أمام أعينهم أن تعطي ماءها" (عد ٢٠: ٨)؛ ولكن موسى – الذي شهد الكتاب بحلمه (عد ١٢: ٣) – في ضيقه وغضبه من شعبه، رفع يده "**وضرب الصخرة** بعصاه مرتين، فخرج ماء غزير. فشربت الجماعة ومواشيها". فقال الرب لموسى وهارون: "**من أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدِّساني أمام أعين بني إسرائيل، لذلك لا تُدخِلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتهم إيَّاها**" (عد ٢٠: ١١و١٢)، وقد كان.

+ **وشمشون** نذير الله والمولود بوعد إلهي، والذي وهبه الله قوة عظيمة لتأديب الفلسطينيين ضعُف ونَسِيَ نذره ووقع في حب امرأة غريبة. وفي ضعفه باح لها بسرِّ قوته، ولكنها خانت محبته وأذلَّته وحلقت شعر رأسه، ففارقته قوته (قض ١٦: ١٩). ولكن الله لم يتخلَّ عنه بل سانده في آخر أيامه وأعاد إليه قوته وتمجَّد في موته "فكان الموتى الذين أماتهم في موته، أكثر من الذين أماتهم

في حياته" (قض ١٦: ٣٠).

+ **وداود** مرنِّم إسرائيل الحلو، الذي قال عنه الله: "**وجدتُ داود بن يسَّى رجلاً حسب قلبي**" (أع ١٣: ٢٢)، وكان ملكاً عظيماً لإسرائيل، حدث أنه "رأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً" (٢صم ١١: ٢). وكانت هذه بداية الانحدار، إذ استدعاها واضطجع معها فحملت منه، وامتد التدبير للتخلُّص من زوجها "أوريَّا" الجندي المحارب، الذي لَمَّا لم يشأ – رغم المحاولات – أن ينزل إلى بيته (بقصد التغطية على خطأ الملك)، اضطر الملك في النهاية أن يأمر بأن يجعلوه "في وجه الحرب الشديدة... فيُضرب ويموت" (٢صم ١١: ٦-١٥). ومات أوريَّا، وكان داود راضياً بقتله، وضم "بشبع" إلى بيته. ولكن داود تعرَّض لغضب الله الذي كان يحبه، وصدر فيه الحُكْم: "... والآن لا يُفارِق السيف بيتك إلى الأبد... هأنذا أُقيم عليك الشر من بيتك" (٢صم ١٢: ١٠و١١)، وبدأت سلسلة معاناته وآلامه. ولكنه عاد إلى الرب من باب التوبة والدموع، وهكذا سمع صوت الغفران: "**الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك، لا تموت**" (٢صم ١٢: ١٣)، ووضع خبرته للآتين بعده في عشرات المزامير.

+ **وسليمان** الذي بدأ مع الرب بداية طيبة، وكانت طلبته "قلباً فهيماً لأحكم على شعبك، وأُميِّز بين الخير والشر" (١مل ٣: ٩)، فكان أن "أعطى الله سليمان حكمةً وفهماً كثيراً جداً" (١مل ٤: ٢٩)، بل وارتبط اسمه ببناء بيت الرب (١مل ٩: ١). ولكن تمضي الأيام فلا تسعفه الحكمة، بل يتدلّه في حب النساء الغريبات، "فأمالت نساؤه قلبه... وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب... وعمل سليمان الشر في عيني الرب" (١مل ١١: ٣-٦). وكان عقاب الرب أن مزَّق مملكته فيما بعد. ولكن سليمان ندم على سقوطه

وخيانته لعهد الله الذي تراءى له مرتين، وسجَّل في أسفار الكتاب المقدس خبرة حياته الحافلة مُشدِّداً على السلوك في مخافة الرب وقبول تأديبه، وطلب الحكمة لا أباطيل هذا العالم، وحذَّر كثيراً من الميل إلى النساء الغريبات وشركة الخطاة وما تجرُّه هذه العلاقات من مآسٍ وآلام قد تؤدِّي إلى الهلاك، يستوي في ذلك الفرد والمجتمع، **"البر يرفع شأن الأُمة، وعار الشعوب الخطية"** (أم ١٤: ٣٤).

+ **وبطرس،** مندفعاً كعادته، أمسك بيد الرب وسار على الماء بالفعل، ولكن ساعة ضعفه جاءت عندما اهتزَّ إيمانه وارتدَّ إلى واقعه فابتدأ يغرق، ولكنه استطاع أن ينجو لَمَّا التجأ إلى إلهه: **"يا رب نجِّني"** (مت ١٤: ٣٠). إلاَّ أن كبوته الكبيرة جاءت عندما أنكر الرب ثلاثاً وقت آلامه رغم تحذير الرب المُسبق له، ولكنه لم يسمح بشماتة إبليس، فما أن نظر إليه الرب المتألم حتى **"خرج إلى خارج، وبكى بكاءً مُرًّا"** (مت ٢٦: ٧٥)، وأعلن له الرب قبول توبته عندما دعاه بعد القيامة لرعاية شعبه. ومن ناحيته فقد ظلَّ بطرس أميناً لمخلِّصه حتى النَّفَس الأخير، وساعة استشهاده لم يحسب نفسه مستحقاً أن يموت مصلوباً كسيِّده، فصُلِبَ منكَّس الرأس.

+ وعلى العكس، فإن **يهوذا،** الذي التصقت آماله بتراب الأرض، لم ينجح مرة في الإفلات من فخ التجربة، فسرق (يو ١٢: ٦)؛ بل إنه مضى وعرض سيده للبيع وأخذ مقابله ثلاثين من الفضة! ولما جاءت الساعة كي يكتشف خيانته وضياعه، لم يعرف كيف ينجو كما فعل بطرس، وبَدَلَ ترقُّب قيامة الرب والالتجاء إلى حنانه كمخلِّص كل الخطاة، اختصر الطريق ليفقد حتى المستقبل أيضاً.

نحن وساعة الضعف

من هذا العرض الكتابي، الممتد عَبْرَ القرون، من حواء وإبراهيم وموسى

وداود إلى بطرس ويهوذا؛ نرى أنه ليس لأحد مناعة ضد التعرُّض للتجارب – خاصة ما يتعلَّق بشهوات الجسد – ولكن المهم أن نعرف كيف ننجو منها؟

+ وأحداث الكتاب المقدس تكشف أن الإفلات من التجربة دون التعامل معها هو عين الحكمة مما يُجنِّب الإنسان آلاماً كثيرة ويمنع تداعيات غير مرغوب فيها. وهذا ما عَمَدَ إليه يوسف مستهولاً السقوط – رغم الظروف الكثيرة المضادة – فنجا.

+ والرب يحثُّنا على أن نمارس إيماننا وثقتنا في قوته ساعة التجربة، وهذه هي كلماته: **"كيف لا إيمان لكم"** (مر ٤: ٤٠)، **"تشجَّعوا (ثقوا)، أنا هو. لا تخافوا"** (مت ١٤: ٢٧، مر ٦: ٥٠)، **"لا تخف، آمن فقط"** (مر ٥: ٣٦).

+ والرسول بولس ينبِّه إلى دور مقاومة المؤمن ضد الخطية في تحقيق القصد الإلهي: **"لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية"** (عب ١٢: ٤). فالبعض يدخل التجربة مهزوماً (أي متوقِّعاً هزيمته)، فيسقط بالطبع. وبينما كان "جيحزي" ممتلئاً رُعباً من جيش آرام الذي يحاصر المدينة، كان "أليشع" مطمئناً وقال له: **"لا تخف، لأن الذين معنا أكثر من الذين معهم"**، وصلَّى من أجله قائلاً: "افتح عينيه فيبصر" (٢مل ٦: ١٥-١٧). فجيحزي لم يتعلَّم الدرس عندما اشتهى فضة نعمان السرياني، فعوقب بالبرص (٢مل ٥: ٢٧)، واستمر لا يعرف كيف يُقاوم ضعفه!

+ والكتاب المقدس يؤكِّد على حقيقة أن الله مُتهيِّئ دوماً لمساعدتنا. فهو **"يعطي المُعيي قدرة"** (إش ٤٠: ٢٩)، وهو **"قادر أن يرثي لضعفاتنا"** (عب٤: ١٥)، كما **"يَعلَم الرب أن يُنقذ الأتقياء من التجربة"** (٢ بط ٢: ٩).

+ إن حياتنا بالإيمان لابد أن تملأنا دوماً بحقيقة أننا أولاد الله (يو ١: ١٢، ١يو ٣: ١)، وأننا مدعوُّون للقداسة (١تس ٤: ٣و٧)، ومآلنا أن نستوطن

عند الرب (٢كو ٥: ٨، عب ١٣: ١٤)، فلا يليق أن نلوِّث حياتنا بالنجاسة، لا فكراً ولا قولاً ولا فعلاً. وعلى الجانب الإيجابي، فإن تتميم خلاصنا بخوف، وممارسة حياة القداسة: توبة، وعبادة، وحفظاً للكلمة، وخدمة للرب، وتجنُّباً لأوساط الشر وأبوابه؛ يحفظنا من الخيانة والميل إلى الخطية.

على أن البعض قد يتحفَّظ من الخطية، لا من أجل الله، وإنما تحت تأثير الضغط الاجتماعي السائد، أو خشية القانون، أو خوفاً من الفضيحة، أو حفاظاً على السمعة، وهو بالتالي يصير أكثر تحرُّراً في وحدته، أو عندما ينتقل أو يسافر إلى مكان لا يعرفه فيه أحد؛ فيتحلَّل من التزاماته ويصبح أكثر استجابة لفكر الشر الذي لا يزال قابعاً و لم تقتلعه التوبة. فعلينا، إذاً، تنمية الإحساس بمعيَّة الله، بغض النظر عن المكان والزمان، وحضور الناس أو غيابهم. ومثالنا يوسف الصِّدِّيق الذي درَّب نفسه على الشعور بحضور الله، فأَبَى أن يُخطئ رغم الضغوط عليه كعبد، ورغم الأبواب المغلقة، وغياب الشهود، وإغراء الخطية السهلة. وهكذا إن جاءتنا التجربة، يستطيع كل منَّا أن يُردِّد **"كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله"** (تك ٣٩: ٩). من الأهمية بمكان، إذاً، أن نجعل خطوط الاتصال بالنعمة حيَّة نشطة ومفتوحة على مدار الساعة، واثقين من وعد الله أنَّ **"الروح أيضاً يُعين ضعفاتنا"** (رو ٨: ٢٦).

+ إن عقلنا وإرادتنا هبة إلهية، وعلينا أن نحتفظ بهما كأسلحة للمقاومة لا للتبرير. ومن أوجب الواجبات أن يكون العقل مقتنعاً بجدوى الحياة مع الله وأركانها من إيمان وأمانة وطهارة وقناعة وترفُّع عن الدنايا، وهذا يضع حدًّا لتأثير ساعة الضعف لا تتجاوزه، فالعقل هنا يصير حليفاً لا عدواً.

+ نحن لا نعرف متى تأتي التجربة، ولا من أي اتجاه تأتي سهامها: من الخارج (من مشهد أو صورة أو خبر أو كلمة أو حتى في حلم يرسله عدو

الخير)، أم من الداخل: **"لأنه من الداخل، من قلوب النـــاس، تخـــرج الأفكـــار الشريرة: زنى، فسق، قتل، سرقة، طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل"** (مر٧: ٢١و٢٢). وبالتالي فإن تنقية الفكر أولاً بأول، وعـــدم السماح لأفكار الشر أن تستقر أو تتروي أو تختبئ؛ يمـــنح الهـــدوء، ويحفـــظ السلام. ولنتعلَّم ضبط ميولنا، لأن **"مالك روحه خـــير ممَّـــن يأخـــذ مدينـــة"** (أم ١٦: ٣٢). التوبة، وشركة الجسد والـــدم، ودوام عـــشرة الله بالـــصلاة والكلمة؛ تغسل القلب من رواسب الخبرات السيئة القديمة، وحتى من أخطـــاء التربية وظروف الحياة المضادة.

ساعة التجربة ليست النهاية

رغم خطورة ساعة الضعف، لأنها ساعة التجربة التي لا ندرك عمق هوَّتها، إلاَّ أنه عندما تفتقدنا نعمة الله ونثوب إلى رشدنا وتتراجع سطوة الجسد، فهي تبقى سقطة مؤقتة قد عبرت ونأخذ منها العِبْرة. فالضربة التي لا تقتلني، تقوِّيني، كما يقولون.

الخطورة، إذاً، ليست في الخضوع للعدو ساعة الضعف، وإنما في الاستسلام بعدها للحزن ولوم النفس على عثرتها دون النهوض بعد الكبوة. وفي العـــرض الكتابي الذي ذكرناه في هذا السياق، رأينا البعض مثل داود وبطـــرس، وقـــد خرج كلٌّ منهما من تجربته قوياً مُجاهداً، وتوارت نزوته في زوايا الحياة بعـــد تمتُّعه بالغفران. وبعض كبار التائبين ممَّن عاشوا هزيمة طويلة وتحـــالفوا مـــع الشيطان، تغيَّرت حياتهم إلى الضدِّ بعد لقائهم بالمخلِّص، وصاروا نجوماً في سماء الكنيسة ونماذج للقداسة مثل مريم المجدلية ومريم المصرية وأوغسطينوس وموسى الأسود. والبعض مثل قايين وعيسو ويهوذا، كانت في سقطتهم نهايتهم بعد أن

أفلتت منهم فرصة التوبة والنجاة.

ومن هنا يلزم أن نعرف كيف نتعامل مع ساعات ضعفنا: بالإفلات منها إذا التحفنا بالنعمة أو استجمعنا جوانب قوتنا، أو بأن نلاشي آثارها إذا تعثَّرنا رغم التحذير المعلَن عن الخطية (خاصة شهوة الجسد) أنها "**طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلاها أقوياء**" (أم ٧: ٢٦).

الوقوع في التجربة، إذن، ليس هو النهاية؛ نقولها لا تهويناً من بشاعة الخطية، وإنما حثّاً على الخروج من المستنقع سريعاً، والاغتسال والجهاد ضد آثار الخطية في الفكر والكيان. فالتوبة تزيل تداعياتها؛ فنخرج من التجربة أقوى إيماناً، وأعمق اختباراً، وأكثر احترازاً وحذراً وصحواً وسهراً.

وسوف نتعلَّم من التجربة ألاَّ نسمح بتكرارها لئلا نعطي فرصة للشيطان أن يشمت بنا، بل نردِّد المكتوب: "**لا تشمتي بي يا عدوتي. إذا سقطتُ أقوم. إذا جلستُ في الظلمة، فالرب نورٌ لي**" (ميخا ٧: ٨)؛ فنلتفت إلى ضبط الميول وسدّ المنافذ والثغرات التي يتسرَّب منها العدو، بالجهاد والتوبة وطلب المعونة والتحفُّظ من فتور الحياة وبرودة المحبة.

+ الله يسمح لنا بالتعرُّض للتجربة أحياناً، لكي نتيقن أننا وحدنا ضعفاء وأن مصدر القوة في حياتنا هو الله، وأمانتنا تضمن مساندة الله لنا في قادم التجارب؛ فيتمجَّد الله في ضعفنا: "**ولكن لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية، ليكون فضل القوة لله لا منَّا... لذلك لا نفشل، بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدَّد يوماً فيوماً**" (٢كو ٤: ٧و١٦)، "**لأنك حفظتَ كلمة صبري، أنا أيضاً سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله، لتُجرِّب الساكنين على الأرض. ها أنا آتي سريعاً. تمسَّك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك**" (رؤ ٣: ١٠و١١).

+ الله ينسى خطايا التائبين: **"لا أذكر خطيتهم بعد"** (إر ٣١: ٣٤)، **"لن أذكر خطاياهم وتعدِّياتهم في ما بعد"** (عب ٨: ١٢؛ ١٠: ١٧)، كي يجعلنا نبدأ ثانية ونرفع أعيننا إلى فوق دون أن ننظر إلى الخلف: **"أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدَّام"** (في ٣: ١٣). فإرادة عدونا أن يُفقدنا رجاءنا، ويُذكِّرنا بجوانب فشلنا، وأنه لا جدوى من توبتنا المتكررة. وعلينا – كما نطرح همومنا وأحزاننا – أن نطرح أيضاً خطايانا السابقة التي تُبنا عنها وندمنا على فعلها، ولا نعود نذكرها إلاَّ لكي نحذر من الوقوع في نفس الفخ، أو لرذل أي ارتداد إلى الذات.

+ لنحذر الخطايا الصغيرة ولا نستخف بها، فهي كالثعالب الصغيرة المفسدة الكروم (نش ٢: ١٥)، والتي تتسلَّل إلى الحياة خفية، وربما كانت أخطر من الخطايا الكبيرة الظاهرة (التي لا يمكن أن تتخفَّى)، لأنها تفعل فعلها في الظلام.

+ ولنتحرَّز من أوقات ضعفنا الطبيعية، مثل المرض والإرهاق والملل والوحدة والهموم والفشل (التي قد يستغلها عدو الخير مستخدماً نقطة الضعف)، لكي نضبط ردود أفعالنا (وإلى حدِّ الصمت) إزاء ما يعترضنا من مواقف صعبة أو ضاغطة في مثل هذه الظروف لكي لا ندخل في تجربة.

+ وبحسب توجيه الكتاب المقدس، علينا نحن أيضاً عند التعامل مع مَن يعانون ضعفاً[٢] في الجسد (مثل المرضى والمسنِّين والمُعاقين بدنياً وذهنياً) أو في النفس (صغر النفس أو ضعف الرجاء أو انهيار المعنويات)؛ أن نُقدِّم لهم كل حبنا وألاَّ نضغط عليهم بأي حال، بل نُحسن تقدير ظروفهم (فلا نفاجئهم مثلاً بما يُكدِّرهم من أخبار) ولنضع في اعتبارنا أن طول فترة المرض قد يُفقِد

(٢) في الكتاب المقدس قد تأتي كلمة "الضعفاء" بمعنى الخطاة أو الأدنياء (في المجتمع) أو ضعاف الإيمان أو الفقراء أو الذين بلا قوة أو كرامة أو حظوة.

الكثيرين الصبر أو الإيمان (وإن كان أيوب قد اجتاز امتحانه بنجاح)، ولنستخدم القانون الذهبي: "**فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم**" (مت ٧: ١٢)، ولنسترشد بآيات الكتاب: "**أسندوا الضعفاء**" (١تس ٥: ١٤)، "**فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء**" (رو ١٥: ١)، "**صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء**" (١كو ٩: ٢٢)، كي نجنِّبهم الانزلاق إلى التجربة.

خطورة عثرة القادة والخدَّام

رغم تأكيد الرب أنه "لابد أن تأتي العثرات" إلاَّ أنه في نفس الوقت دان مَن يتسبَّب فيها (مت ١٨: ٧). ولكن إذا كان الخضوع للضعف بالنسبة لعامة الناس هو خطأ، **فهو يصير خطيئة وكارثة في حالة القادة والرؤساء والآباء والمربين وكل الخدَّام، لأنهم القدوة والموجِّهون، وعثرتهم تؤثِّر بالسلب على الكثيرين**، وهي إحزان للروح القدس، وإهدار لدم المسيح، مثلما هي فرح وراحة لقلب إبليس، وتشجيعاً لأتباعه من مُحبي الخطية على تبرير أنفسهم. من هنا يحتاج مثل هؤلاء المتقدمين في الجماعة إلى جهاد أكبر والتزام أشدّ كي يسندهم راعي الخراف العظيم (عب ١٣: ٢٠) في ساعات الضعف من أجل سلامة رعيتهم. كما أنهم يحتاجون إلى صلوات كل الكنيسة لمؤازرتهم، لأن في انتصارهم ونموهم بركة وسنداً للكنيسة كلها، خاصة أعضاؤها المجاهدة أو الضعيفة.

ربما جاز أن نقول في النهاية أن في الضعف، رغم كل شيء، فضيلة مركَّبة: ففي ضعفنا نكتشف حاجتنا إلى الله، كما نكتشف أن القوة ليست جزءاً من طبيعتنا، وإنما هي عطية الله القوي. وهذا يجعلنا ننكر ذواتنا، ونضع كل اتكالنا

على الله، ونتعلَّم أن نحترس ونتحرَّز وندقِّق بحكمة (أف ٥: ١٥).

كان بولس الرسول قريباً إلى قلب الرب حتى أنه اختُطِف إلى السماء الثالثة حيث الفردوس، وسمع ما لم يستطع أن يفوه به. ولكن إبليس ظل يترصَّده ويلطمه بما سمَّاه بولس: "شوكة في الجسد"، والتي من أجلها تضرَّع إلى الرب ثلاث مرات أن تُفارقه هي والعدو، ولكن الرب كلِّي الحكمة تركها ولم يرفعها، لأنه رأى فيها بركة لحياة بولس وخدمته ("لئلا يرتفع بفرط الإعلانات")، وقال له: **"تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكْمَل"**، وكان رد بولس مُلهماً لنا كلنا: **"فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي، لكي تحلَّ عليَّ قوة المسيح. لذلك أُسرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح، لأني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي"** (٢كو ١٢: ٢-١٠).

فكلما اتضعنا عملت فينا قوة الله وهي تعالج ضعفنا. وبعض المتقدِّمين روحياً لا يسألون من أجل رفع التجربة، وإنما هم - تسليماً لمشيئة الله - يطلبون فقط حضور الله فيها، فهذا يترع منها أشواكها، ويهبهم بركاتها، ويجعل لمداها سقفاً لا تتعدَّاه؛ واثقين من الوعد أنَّ **"الله أمين، الذي لا يَدَعُكُم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ، لتستطيعوا أن تحتملوا"** (١كو ١٠: ١٣).

نعم، يمكن أن يصير ضعفنا قوة **"لأني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي"**